فلسفة

إميل سيوران

غسق الأفكار



ترجمة: عبد الوهّاب ملوّح

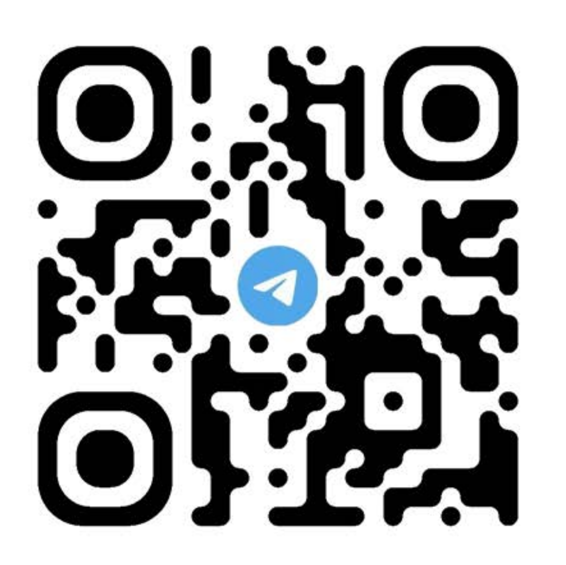
مكتبة

صفحة

غَسَق الأفكار

لن ننسى تشرين . 23

لن ننسى غزة والشهداء





الكتاب
غسق الأفكار

المؤلف
إميل سيوران

الطبعة الأولى
2020
الترقيم الدولي
978-603-91478-0-0
رقم الايداع
1441/12549

Le Crépuscule des pensées
Emil Cioran

E-mail : admin@page-7.com

Website : www.page-7.com

Tel.: (00966)583210696



Le Crépuscule des pensées

Emil Cioran



غَسَق الأفكار

تأليف

إميل سيوران

ترجمته عن الرومانية: ميريلا باتيرو - نيديلكو

ترجمه عن الفرنسية: عبد الوهاب الملوح



«أطعمه بخبز الحزن ومائه»

حوليات2، XVIII، 26

1



إنك لن تُثير غضب أحد عندما تقول إنّ الكون بدون معنى، لكن أن تؤكده وتنسبه لأحدهم، فسيكون ذلك دافعا للاحتجاج، بل قد يصل الأمر لاتخاذ إجراءات ضدك.

نحن كلّنا هكذا: فما إن يتعلّق الأمر بمبدأ من المبادئ العامة حتى نضع أنفسنا خارج القضية، ولن يزعجنا إن ادَّعينا حقا استثنائيا. وإن كان الكون بلا معنى، فهل هناك من استطاع الافلات من لعنة هذه الحكمة؟

كلّ سرّ الحياة يمكن اختزاله في هذا: إنّ الحياة لا معنى لها، ورغم ذلك فكلّ واحد منّا، يجد لها معنى ما.

لا تُعَلِّم العزلة كيف يمكن أن تكون وحيدا، بل كيف تكون المنفرد.

من مصلحة الله أن يحمي حقائقه؛ إذ يكفي، أحيانا، مجرد رفع الكتفين لتدميرها كلّها؛ فلقد مرَّ زمن طويل منذ أن جعلتها أفكارنا

تنهار. مجرد دودة يمكنها أن تقضَّ مضجعه، إن كان قادرا على الحيرة الميتافيزيقية ولو قليلا.

تنتصب فكرة الله عائقا أمام الانتحار، لكن ليس أمام الموت أبدا. لن تستطيع تدجين العتمة التي يمكنها أن ترعبه وهو يبحث عن نبضه داخل رعب اللاشيء.

يقولون إن «ديوجين – Diogène» كان يمكن أن يكون ضارب نقود مزيف، فمن لا يؤمن بالحقيقة المطلقة له الحق في تزوير كل شيء.

لو وُلد ديوجين بعد المسيح لكان قديسا. إلى أين يُمكن أن يأخذنا إعجابنا بالكلبيِّين وبألفي سنة من المسيحية؟

إلى شخص مثل ديوجين رئيف.

لقد نعت أفلاطون ديوجين بـ «سقراط مجنون». من الصعب إنقاذ سقراط.

لو أنّ هذا التهيَّج الأصم يعبر عن نفسه بصوت عال، فستكون كل حركة تملقا عند حائط المبكى.

منذ ولادتي وأنا أحمل جنازة؛ جنازة هذا العالم.

كلّ ما لا يُنسى يُتلِف جوهرنا؛ النّدم نقيض النسيان. لذلك ينتفض مهددا مثل وحش قديم، بنظرة واحدة يُدمرك، أو يملأ كل لحظاتك بأحاسيس من الرصاص المذاب في الدم.

يكابد الناس البسطاء الندم تبعا لحدث ما؛ فحين يرون أسبابه بوضوح، يعرفون منشأه. فمن اللاجدوى التحدث معهم عن «منفذ»؛ فلن يدركوا قوّة ألم عبثي.

الندم الميتافيزيقي هو اضطراب بلا سبب، حيرة أخلاقية على هامش الحياة.

أنت لم تقترف أيّ خطأ تأسف عليه، ورغم ذلك تشعر بالنّدم.

أنت لا تتذكّر أيّ شيء، غير أنّ الماضي يجتاحك بألم لا نهائي. دون أن تكون قد قمت بأيّ فعل شر، تشعر بنفسك مسؤولا عن كلّ شرور الكون. إحساس شيطاني يهذي بالوسواس. مبدأ الشر محجوز بين الإشكاليات الأخلاقية والرّعب الفوري للحلول.

كلما أظهرت لامبالاة أكثر بالشر، اقتربت أكثر من النّدم الأساسي؛ ندم مضطرب أحيانا، مبهم: وهو ما يعني أنّك تحمل ثقل غياب الخير.

البنفسجي، لون النّدم. (الغريب فيه أنّه يأتي من المقاومة بين الطيش والمالنخوليا، التي تنتصر في الأخير).

النّدم هو الشكل الأخلاقي للأسف. (وهو ما يجعله يصير إشكالية وليس حزنا). لا يحل أسف تم الارتقاء به إلى درجة الألم أي شيء، بل إن كل شيء يبدأ منه.

تظهر الأخلاق عند أوّل ارتجاف للندم.

ديناميكية متألمة هي في الأصل تبذير فاخر وغير مفيد للروح. وحده البحر ودخان السجائر يعيدان إرسال صورته إلينا.

الإثم هو التعبير الدّيني عن النّدم، أمّا الأسف فتعبيره الشعري: هذا حدّه الأدنى، والأول حدّه الأعلى.

تنتحب من أجل شيء أنت السبب فيه... لقد كنت حرا حين وجَّهت الأحداثَ نحو مسار آخر، غير أنّ جاذبية الشرّ أو الفظاظة غلبت ردّ الفعل الإخلاقي.

يوجد في الندم مزيج من اللاهوتية والفظاظة: من هنا منشأ مأزقه.

لن ندرك بألم شديد عدم قابلية الزّمن للانعكاس إلا في الندم. واللاممكن إصلاحه هو التّأويل الأخلاقي لغياب قابلية العودة.

يكشف لنا الشرُّ عن الجوهر الشيطاني للزمن؛ في حين ينفتح الخير على الممكن الأبدي للصيرورة. وإذا كان الشرُّ متوفّرا بغزارة، فإنّ الخير تصرُّفٌ مُلهِم. لا أحد بإمكانه التّمييز جذريًّا بين هذا وذاك، غير أنّنا كلّنا نُحس بالحرارة الموجعة للشر، والبرود الانخطافي للخير.

يتغيّر موضع ثنائيتهما في عالم القيم ليصبح في عالم آخر أكثر عمقا: براءة أو معرفة.

وما يُميز الندم عن اليأس، والكراهية، والذعر هو الحنان؛ ذلك المرض العضال المُشْجِي.

عديدون هم أولئك الذين لم يفارقوا الموت إلا من خلال الحنين إليه!

يختلق الموت مرآة للحياة يمكنها أن تتأمل نفسها من خلالها.

الشعر: أداة لنرجسية مأتمية.

الحيوانات حزينة، وكذلك النباتات أيضا، غير أنها لم تجعل من حزنها أداة معرفة. وبهذا الاستعمال تدقيقا، كفَّ الإنسان عن كونه طبيعة. وحين ننظر من حولنا، من ذا الذي لا يمكنه أن يلاحظ أننا والنباتات والحيوانات وعدة جمادات لسنا أصدقاء، لكننا لم نكن كذلك مطلقًا مع الإنسان.

العالم موضع- لا كوني. لهذا السبب ليس هناك إطلاقا أي مكان تمضي إليه...

كلّ هذه اللّحظات التي تسكت فيها الحياة لتتركك تصغي إلى عزلتك...

ينسحب الزمن في باريس كما في قرية نائية، يتقلّص في ركن من الوعي، وتمكث مع نفسك، مع ظلالك وأنوارك. انعزلت الروح، وصعدت إلى السطح عبر اختلاجات مبهمة مثل جثّة التُقطت من الأعماق. عندئذ ندرك أنّه من الممكن فقدان الروح بمعنى آخر غير المعنى الإنجيلي.

كلّ فكرة هي شبيهة بتأوهات دودة داس عليها الملائكة.

إن لم تتعوّدوا الإصغاء للصمت، فلن يكون بإمكانكم أن تدركوا معنى «التأمل»؛ فصوته يدعو إلى التخلي.

كل التلقينات الدينية إنما هي انغماسات في أعماقها.

بدأت أفهم عقيدة «بوذا» منذ اللحظة التي استولي فيها عليَّ رعب الصمت. يُعَلِّم الصمتُ الكوني أشياءَ عديدةً؛ من ذلك أنّ الجبن فقط يُلقي بنا بين ذراعي هذا العالم.

الدّيانة تَجَلٍّ مُخَفَّف بالصمت، تلطيف لدرس العدمية التي توشوشه لنا، مُصَفًّى بحيرتنا وحذرنا...

هكذا يستقر الصمت بين نقائض الحياة.

يظهر الإنسان الذي في داخلي كلما خطرت ببالي كلمة «ضلال»، وهكذا تبدو لي الجبال وقد لانت على جبيني.

في سيرته اليومية، يروي «هاينريش زويزه – Heinrich Seuse» كيف حفر بالتّفصيل اسم المسيح في قلبه. لم ينزف الدم عبثا، إذ سرعان ما لمح نورا في هذه الحروف التي سارع بإخفائها حتى لا يراه أحد غيره. وما الذي سأكتبه أنا على قلبي، إن لم تكن كلمة تعيس؟ سوف نشاهد تكرار مفاجأة «سوسو» من قرن إلى آخر. لو فقط كان النور للشيطان رمزا. هكذا سيكون قلب الإنسان لافتة مضيئة للشيطان.

هناك فرجات ضوئية تدخل الملائكة منها وتتوقف عندها: سوف أغرس ورودًا على حواف الصحاري، لأستطيع الارتياح

تحت ظل هذا الرمز.

لا بد من أن تمتلك ذهنا شكوكيا إغريقيا وقلب «جوب – Job» لتشعر بالأحاسيس في ذاتها: إثم بلا شعور بالذنب، حزن بلا سبب، ندم بدون أي موجب، كراهية بدون وجود [شخص/ شيء] مكروه.

الأحاسيس الصافية هي تلك التي لها معادل في فلسفة بلا إشكاليات. هكذا، تفقد الحياة والفكرة كلّ صلة لهما بالزمن، ويصبح الوجود معلّقا. لا صلة لما يحدث بدواخلك بأي شيء آخر، فهو لا يؤدي إلى أي مكان، بل إنه يُستَنزَف في الغاية الدّاخلية للفعل عينه. ستصير أكثر جوهرية إن انتزعت من تاريخك شرطه الزمني. وإذا كانت النظرات نحو السماء لازمنية، فإنّ الحياة في حدّ ذاتها أقلّ قابلية للتحديد من العدم.

لنوستالجيا المطلق بعض نقاوة اللامُحَدَّد، الذي يجب أن يُشفينا من عدوى الزمنية، ويصلح نموذجا لهذا التوقف المُلِح. ذلك أنّ هذه النوستالجيا تقوم في الأساس بتخليص الوعي من هذا المتطفل الذي هو الزمن.

حالما تصل أفكاري إلى الإنسان، تجتاحها الشفقةُ. وهكذا لا أتمكّن بأيّ وسيلة كانت من العثور على أثرها. إنّ قطيعة في الطبيعة تفرض نفسها في التّأمل.

كالموسيقى تماما، يعوّض شغفُ القداسة الكحول. نفس الشيء

بالنسبة إلى الإيروتيكا والشعر؛ باعتبارهما شكلانِ متنوعين من النسيان، يمكنهما، بكل تأكيد، أن يتبادلا المواقع [فيما بينهما].

سيجد السّكارى، والقدّيسون، والعشّاق، والشعراء أنفسهم في البداية على نفس المسافة من السماء، أو بالأحرى على نفس المسافة من الأرض، لا تفرق بينهم سوى السُّبُل، غير أنهم ينتهجون عن بكرة أبيهم مسارا إلى حيث لا يكونون، البتة، أناسا. ولذلك تُدِينُهم لذةُ المحايثة أيضا.

الحياء ازدراء غريزي للحياة، أمّا الكلبية فازدراء منطقي. الحنان غسق الصفاء، و«تقهقهر» الرّوح على مستوى القلب.

يصطبغ كلّ حياء بلون ديني. والخوف من الانتماء إلى أي أحد، على ألا يكون هذا الأحد هو الله؛ وفيما يخص منجزه... يخلق الارتياب الميتافيزيقي في داخلنا ما يُنفر المجتمع من الضيق. ينبع نقص الجرأة تجاه الناس – حين تتجلّى القوّة في الازدراء – من حيوية، مثقلة بالارتيابات، تحمل شكوكا حول ما هو جوهري في العالم. سوف تمنحك غريزةٌ واثقةٌ وإيمان صلب الحقّ في الوقاحة، بل ويفرضانه عليك.

الحياء طريقة لإخفاء النّدم؛ ذلك أنّ الجرأة ليست سوى الشكل الذي يتخذه انعدام الندم.

في كلّ وهم ضائع، يتملّكنا الإحساس أننا قمنا بدور مرآة للنظافة الشخصية للحياة. ليس هناك من لغز أشدُّ حنانا من حب

الحياة، هو وحده الذي يدوس على كل البديهيات. لا يجب الانتماء إلى أي شيء في العالم حتى تبدو الحياة مُطْلَقا. من السماء، هذا هو البعد الذي نمتلكه.

تموت المنظومة وتنتصر الحياة حين تنبثق المفارقة. ومن خلال هذه المفارقة، ينقذ العقل شرفه أمام اللامنطقي. التجديف أو النشيد، وحدهما بإمكانهما التعبير عما في الحياة من اضطراب. من ذا الذي مازال يعرف كيف يحافظ على هذا المخرج: المفارقة بوصفها شكلا ضاحكا للا منطقي.

ما المقصود بالمنطق، إن لم يكن لعبا غير مسؤول. وما المقصود بالمعنى السليم، إن لم يكن أبدية نظرية؟ ولكن، ألا تحرق المفارقة كل أمر معقد، كل خِلْوٍ من المعنى وكلّ النّزاعات التي تبلبل الحياة بشكل خفي؟ وبمجرد ما تبوح هذه الظلال المضطربة للعقل بأسرارها، حتى يُخفي أصل وشوشاتها تحت دثار أناقة المفارقة. أليست مفارقة غرفة الاستقبال سوى التعبير الأبلغ عمقا الذي يمكن للهشاشة أن تتأثر به.

ليست المفارقة حلا، كما أنها لا تجد حلا لأي شيء؛ فهي لا تصلح إلا حلية للمتعذر ترميمه. بيد أنه بفضلها يمكن تعديل بعض الأشياء، وهذه، لعمري، أكبر المفارقات. لا أستطيع أن أستعرض المفارقة دون الكشف عن بصيرة العقل الذي بافتقاده للكلام المُنمَّق مجبر على الإصغاء لوشوشات الحياة والتخلّي عن استقلاليته. يلغي العقلُ نفسَه في المفارقة؛ وما إن يفتح حدوده، لن

يصبح قادرا على إيقاف هجوم الأخطاء التي تنبثق مختلجة.

ليس علماء اللاهوت سوى طفيليي مفارقة؛ فقد كانوا سيضعون أسلحتهم لولا استعمالهم اللاواعي لها. وليست الشكوكية الدينية سوى تطبيقها الواعي.

كل ما لا يدخل ضمن حدود العقل هو حجة مريبة، لكن لا شيء بداخله؛ ومن هنا ينبعث الحماس المُولِّد لفكر المفارقة، الذي عبَّأ شكل المحتوى ومنح العبث قيمة.

تهب المفارقة الحياة سحر عبث دال... بحيث يرد لها ما أعطته إياه في البدء.

لو كنت موسى، لضربت بعصاي الصخرة لاستخراج الندم. وعموما، هذه طريقة لإرواء ظمإ البشر.

لا يتعلق الأمر في المسائل الدينية بالمحتوى، بل بشدة [وقعها]. ويتحدد الله بوصفه لحظة من لحظات اختلاجاتنا، ونادرا ما يغدو هذا العالم الذي نعيش فيه موضوع حساسية دينية، بما أننا لا نفكر فيه إلا في اللحظات المحايدة.

بدون «حمّى» لن نتجاوز حقل الإدراك. بعبارة أوضح، نحن لا نرى شيئا؛ فالعيون لا تخدم الله إلا حين لا تميز بين الأشياء؛ فالمطلق يخشى الفردانية.

وما تكثيف إحساس ما كيفما كان سوى علامة ورع ديني. وقرف في أعلى درجاته يكشف لنا الشرّ (الاتجاه السلبي نحو الله).

أما الإثم فأقرب للمطلق من غريزة لم يطلها إفساد؛ فنحن لا نستطيع المشاركة فيما هو إلهي إلا في حال ابتعادنا عن الطبيعة.

يقيس شخص صافي الذهن «حُمّياته» في كل خطوة، ويتابع باستمرار شغفه الخاص في التّخلي المبهم لابتكارات أحزانه. أما المعرفة فهي، إبان الصفاء، إعادة اعتبار للفيزيولوجيا.

كلّما عرفنا أنفسنا أكثر، انخرطنا أكثر في طلب قواعد صحية تعمل من أجل الحصول على شفافية عضوية. وبفضل هذا القدر من النّقاء، استطعنا أن نرى من خلالنا: هكذا أمكننا أن نتابع عرضا لأنفسنا.

وليس منبع هستيريا القديسيين شيئا آخر سوى الإصغاء إلى الصمت، وتأمل صمت العزلة. ولكن ماذا عن اختلاجات الزمن الداخلية، وفقدان الوعي في تموجات الزمن؟ الحقيقية أنها منبع اللائكيين.

ليس الزمن سوى بديل ميتافيزيقي للبحر؛ بحيث لا نفكر فيه إلا من أجل الانتصار على النوستالجيا.

إنّ افترضنا أن الكون يحتوي على حقيقة في منتهى الصغر، فكل شيء حقيقي؛ فإن لم يكن هناك «شيء ما»، فلا شيء هناك. وتقديم تنازلات للتعدد واختزال كل شيء في سلمية للمظاهر، إنما هو انتقاص في الشجاعة على الركون إلى النفي. وما نحمله من مسافة نظرية وضعف عاطفي تجاه الحياة، فهو يؤدي إلى الحل الوسطي

لدرجات اللاواقعية؛ باعتباره موافقا للطبيعة ومعاكسا لها في نفس الآن.

تُعَبِّر وجهة نظر المفارقة عن لا تحديد جوهري للكائن؛ حيث لم توجد الأشياء بعد. تمتلك المفارقة، باعتبارها وضعا حقيقيا أكثر منها شكلا نظريا، شرطها في عدم الاكتمال. ومفارقة واحدة تكفي لنسف فكرة الفردوس عن بكرة أبيها.

لا يمكن ترميم الاحتمال - هذه الواحات التعسفية في صحراء الضرورة - داخل أشكال العقل إلا من خلال الخفة التي تدمجها حيوية المفارقة. أليست المفارقة اقتحاما شيطانيا في العقل، ونقل دمٍ للمنطق، وتعذيبا للأشكال؟

ما الدليل على أنّ المتصوّفين لم يقدموا أيّ حل، لكنهم فهموا كل شيء؟ إنه هذا الوابل من المفارقات حول الله لطرد الخوف من اللامفهوم. وعلى هذا الأساس يكون التصوف بمثابة التعبير الأسمى عن فكر المفارقة. حتى القديسيون أيضا تلاعبوا بالمبهم لتحديد الإلهي المُطَلْمَس.

إحساس أثيري للزمن حيث الفراغ يبتسم لنفسه...

المالنخوليا - هالة متبخرة للزمنية.

وفي كل مرة، يصعد الوجود الشيطاني إلى مرتبة الأحداث. والحركة، بوصفها موتا للروح، تصدر عن مبدأ شيطاني، بالشكل الذي يجعلنا نقاوم إن كان لدينا ما نُكَفِّر عنه. هكذا يتضح، وأكثر

من أي شيء آخر، أن النشاط السياسي هو كفّارة لاواعية.

الحساسية تجاه الزمن تتبع العجز عن الحياة في الحاضر. وفي كل لحظة، نستوعب الحركة الشرسة للزمن، الذي يتحور إلى دينامية فورية للحياة. فنحن لم نعد نعيش في الزمن، بل معه بشكل متواز.

حين لا نكون إلا واحدا مع الحياة، نكون نحن أنفسنا الزمن. وحين نعيشه نموت معه، بلا ارتياب أو آلام. وتتحقق الصحة الجيدة بتمثُّل الزمن، بينما المرض يفككهما. وعليه، كلما كان إدراكنا للزمن أحسن، كلما تقدمنا أكثر في عسر التناسق العضوي.

من الطبيعي أن يضيع الماضي في أحداث الحاضر، فيتجمع ويذوب فيه. أمّا الندم – باعتباره تعبيرا عن الحدّة الزمنية، وعدم اندماج الحاضر- فهو يعزل الماضي بما هو راهن؛ بحيث يهبه الحياة من منظور رجعي حقيقي. فالندم يُكسب الماضي ممكنا افتراضيا؛ فما هو متعذَّر ترميمه يتحول إلى افتراضي.

حين نعرف باستمرار أي عامل هدْمٍ هو الزمن، تنبعث أحاسيس من حولنا لمحاولة إنقاذه بشتى الوسائل. النبوءة هي راهن المستقبل، كما هو الندم بالنسبة إلى الماضي.

وإذا كنّا غير قادرين على الإقامة في الحاضر، نحول الماضي والمستقبل إلى حضور متعدد، بحيث تُسَهِّلُ عطالة الزمن الحالية العبور نحو لا محدوديته.

أن تكون مريضا فذلك يعني العيش في وعي الحاضر، في حاضر

شَفَّاني لنفسه، لأنّ الخوف من الماضي والمستقبل يمطّط اللحظة حسب حدة الزمن.

كل مريض يستطيع أن يعيش ببساطة، هو ليس مريضا حقيقيا؛ فقد نكون مصابين بالسرطان، ورغم ذلك، إذا لم نعاني رعب الخاتمة - هذا المستقبل الذي يهرول نحونا، عوض أن نهرول نحن خلفه- فسنظل أصحاء. ليست هناك أمراض إلا من خلال وعينا بها، مصحوبة على الدوام بتضخم في معنى الزمنية.

يحدث لنا أحيانا أن نجس الزمن، وأن نجعله ينزلق بين الأصابع في لحظات تكثيف قصوى تمنحه هالات مادية. أو نشعر به، أحيانا، كما لو أنه نسمة نافذة في الشّعر. هل من الممكن أن يكون متعبا؟ هل يبحث له عن ملاذ؟ ثمة قلوب أكثر إرهاقا منه، غير أنها لن ترفض، رغم ذلك، أن تكون له ملجأ...

وبينما يتخلّى عن اللامبالاة الأصلية فيه، انتحل الشرُّ اسم الزمن.

لقد شيَّد الناس الفردوس باصطفاء الأبدية، باستخلاص «عصاراتها». وبتطبيق نفس الطريقة على الزمنية، تصير المعاناة أمرا مقبولا. أليس الألم في حقيقته جوهر الزمن.

بعد منتصف الليل، نفكر كما لو لم نكن أحياء - وفي أفضل الحالات - كما لو لم نكن نحن أنفسنا. نصبح مجرد أداة للصمت، للأبدية، أو للفراغ: فإنْ كنّا نعتقد أننا حزينون، فإنّ الصمت ورفيقيْه يتنفسون، في الحقيقية، من خلالنا. كما لو أننا ضحايا مؤامرة

قوى الظلام، ذلك أنّ الحزن لا ينبعث من شخص ما إلا إذا كان يسكنه: فكلّ ما يتجاوزنا يجد منبعه خارجنا، المتعة في ذلك سواء والألم. لقد أرجع المتصوّفة طفح ملذّات الانتشاء إلى الله، لأنهم لم يستطيعوا أن يقبلوا أنّ العجز الفردي قادر على مثل هذا القدر من الامتلاء. هكذا هو الأمر بالنسبة إلى الحزن، وبالنسبة إلى ما تبقى. فعلا نحن وحيدون، ولكن مع العزلة في كُلِّيتها.

حين يصبح كلُّ شيء معدنيا، تغدو النوستالجيا في حدّ ذاتها هندسة، ويبدو الصخر سائلا أمام تحجر المبهم في الروح، والدرجات اللونية أشد وعورة من الجبال. لن نحتاج عندئذ سوى إلى النظرة المرتجفة لكلاب منكسرة، أو لساعة معطلة لقرن آخر؛ سنحتاج وسادة لجبين مجنون.

أكتشفني بسهولة في كل مرة أتجوَّل فيها وسط الضباب؛ فالشمس تجعلك غريبا عن نفسك، لأنه باكتشافك للعالم، يشدك إلى خُدَعِه. غير أن الضباب هو لون المرارة.

تسبق حالة من الضعف منافذ الشفقة الكونية، مثلما نمشي مع خشية التعثر في الأشياء. فالشفقة هي الشكل المرضي للمعرفة الحدسية. ومع هذا، لا نستطيع تصنيفها ضمن الأمراض، بما أن الشفقة غيبوبة... عمودية. نسقط في اتجاه عزلتنا الذاتية...

الليالي البيضاء – وهي الوحيدة السوداء – تجعل منك غواص زمن. نهبط، نهبط في اتجاه اللاقرار... ويظل الغطس الموسيقي وغير

المحدد نحو جذور الزمنية شهوة غير مكتملة، فلا يمكن مس حدود الزمن إلا بالقفز من خارجه. غير أن هذا القفز يجعله خارجا عنا: ندركه في الهامش، لكن دون أن تكون لنا تجربة فعليا معه. يُحوله التوقف إلى لا واقع، ويسلب منه القدرة على اقتراح اللانهائي. هذا هو ديكور الليالي البيضاء.

ليس من هدف آخر للنوم سوى نسيان الزمن، نسيان المبدأ الشيطاني الذي يسهد فيه.

عادة ما أفكر، وأنا داخل الكنائس، أن الدين كان من الممكن أن يكون شيئا مهما لو لم يكن ثمة مؤمنون، بل فقط الخشية الدينية من الله على حد تعبير الأَرْغُن.

يمكن تفسير رداءة الفلسفة بحكم أننا لا يمكن أن نفكر إلا في درجة حرارة منخفضة. فحين نتحكم في ارتفاع حرارتنا، نصفف أفكارنا مثلما نفعل بالدمى متحركة، نحرك الأفكار بالخيط دون أن يرفض الجمهور الخدعة. لكن حين تكون النظرة داخلية حريقا أو غرقا، وحين يُظهر المشهد الداخلي التدمير الفاخر للشعلات الراقصة عند أفق البحار- وقتها تنفلت أفكار هي أشبه بأعمدة تمزقت بـ «صَرع» النار الداخلية.

لو سنح لي، ولو لمرة واحدة، أن أعلم أن الناس عرفوا كيف يجعلونني حزينا، فمن فرط الخجل [والإحساس بالمهانة] سوف أضع أسلحتي. من الممكن أن نحبهم أحيانا أو نكرههم، أن نعطف

عليهم دائما، لكن أن نمنحهم شرف أن يحزنوننا فذلك تنازل مذل. إن هذه اللحظات من المأثرة السماوية، والتي نتشوق إلى معانقتها كلنا، لهي حالات إلهام نادرة، بله «نِعَمٌ» حقيقية.

حب الناس مرض منشط، وفي نفس الوقت غريب؛ لأنه لا يستند إلى أي معطى واقعي. وكن على يقين، لا يمكن أن نجد، حالا أو مستقبلا، عالم نفسٍ محبًّا للناس. ورغم أن المعرفة لا تمضي بما يتوافق ومصلحة الإنسان، فثمة لحظات توقف في الوضوح، استراحات من أجل المعرفة، وأزمات العين الشرسة التي تدفع نحو هذه الغرابة: أعني بذلك الحب. يريد أن يستلقي وسط الشوارع، وأن يُقبِّل أقدام البشر، ويحل أربطة الباعة والمتسولين، ويستكين [بالتالي] داخل كل الخدوش والجراح الدامية، مانحا لنظرات المجرم بياض أجنحة الحمام؛ أن يكون آخر الناس باسم الحب!

بصعوبة بالغة، تجعل معرفة الناس والقرف منهم من عالم النفس ضحية لجثثه الخاصة. فكل حب بالنسبة إليه هو بمثابة كَفَّارة. يموت الناس بداخلك وقد أبادتهم المعرفة؛ بينما يتعفن ضحايا قرفك في قلب فؤادك. وكل هذه المقبرة تحيا وسط هذيان الحب، وانقباضات الكفارة!

الأسمى غير قياسي بما أنه اقتراح موت. والبحر، والتخلي، والجبال، والأرغنات هي تتويج، بشكل آخر، رغم أنه الشكل عينه، لخاتمة تحمل، رغم فنائها في الزمن، دمارها فيما وراءه. ذلك أن الأسمى هو أزمة زمنية للأبدية.

وينبع الأسمى، في حالة المسيح، من تسكع الأبدية عبر الزمن، وتقهقره المغالى فيه. ولكن، كل ما يعتبر هدفا في وجود المخلص، فهو يضعف الأسمى، الذي يُبعد التلميحات الأخلاقية. فإن كان قد نزل بمحض إراداته لإنقاذنا، فلن يهمنا أمره إلا بقدر ما نستمتع جماليا بحركة أخلاقية. وإن كان مروره بيننا، في المقابل، مجرد خطأ من الأبدية، وغواية موت، لاواعية، غواية للكمال، كفارة عن المطلق في الزمن، ألن يسمو حجم عدم الصلاحية هذه إلى درجة السمو، ليأتي الجمالي مرة ثانية لنجدة الصليب بوصفه رمزا للأبدية؟

ليس هناك من متعة أكبر من أن تعتقد أنك كنت فيلسوفا ثم توقفت عن ذلك.

أن تتألم يعني أن تتأمل إحساسا بالألم، والتفلسف تَأَمُّل هذا التَّأَمُّلِ.

الألم هو خراب المفهوم: انهيار كلي للمشاعر التي تبعد كل شكل.

كل شيء في الفلسفة هو في مرتبة ثانية، أو في مرتبة ثالثة... لا شيء مباشر.

لن نكون كرماء مع أنفسنا، إلا إذا لم نُقتِّر الحرية التي نخص بها أنفسنا. إذا لم نضع لأنفسنا عقبات، فكم من لحظة ستكون لنا بمثابة حياة جديدة! أليس من الواجب أن نبقى كما نحن عند إمكانيات حدودنا؟ ذكرى بائسة لفردانية مضت، مجرد خرقة لفردانيتنا الخاصة... مثل شيء يبحث له عن اسم في طبيعة بلا هوية. لقد

خُلق الإنسان - مثل بقية الكائنات - على قدر بعض الأحاسيس. لكن يحدث أنها لا تصطف منتظمة، في تتاليها الطبيعي، بل تنبثق في هيجان أولي، تدور حول بقية هي الأنا. أين سيتبقى إذن مكان للطخة الفراغ التي هي الوعي؟

تحبل أعمال «شكسبير» بجرائم متعددة وشعر كثير إلى درجة أن مسرحياته تبدو كما لو أن زهرة مجنونة هي التي أَعَدَّتْها.

كيفما كانت مرارتنا، فهي ليست كبيرة إلى درجة إعفائنا من أحزان الآخرين. لهذا السبب كانت قراءة الوُعَّاظ الفرنسيين كما لو أنها مرهم في الساعات المتأخرة.

لقد عرفوا دائما معنى أن تكون وحدك بين الناس؛ ونادرا ما أدركوا ما هي العزلة في العالم، حتى الفيلسوف «باسكال» نفسه لم يستطع الانتصار على وضعه كإنسان، فاعتزل المجتمع. كان من الممكن تسجيل ذكاء فائق لو كان الأَلَمُ أقل - هناك دائما غرفة استقبال ما بين الفرنسيين والله.

شيئان يملآنني بهيستيريا ميتافيزيقية: ساعة معطلة وأخرى سليمة.

كلما قلَّ اهتمامنا بالناس، صرنا أكثر حياء أمامهم، وحين نصل إلى درجة الازدراء منهم، نبدأ في التلعثم؛ فلن تغفر الطبيعة أي خطوة أبعد من لا مسؤوليتها، وتلاحقك في كل مسالك الكبرياء زارعة الندم. وإلا كيف يمكن تفسير أنه وعقب كل انتصار خارج الشرط البشري، يستبد بالشخص شعور بالندم؟

يمنح الحياء الكائن البشري شيئا من التكتم الحميمي للنباتات، ويمنح لذهن ثائر من ذاته نفسها مالنخوليا خاضعة، مستمدة من العالم النباتي. وفي الحقيقة، لا أغار من زنبقة إلا عندما أكون بعيدا عن الخجل.

إذا لم يكن الألم أداة معرفة، فسيصبح الانتحار إجباريا. ومن ذا الذي سوف يتحمل الحياة - بوجعها الباطل، وعتمتها الحيوانية المتوحشة التي تجرنا في الأخطاء، لتعلقنا من وقت لآخر في حقيقة ما - إن لم تهبنا مشهدا معرفيا متفردا؟ إنما نواسي أنفسنا بحدة حين نعيش أخطار الذهن؛ لغياب الحقيقة المكتملة.

كل خطأ هو حقيقة قديمة، بيد أنه لا وجود لخطأ أولي، فما يميز الحقيقة عن الخطأ مشدود إلى النبض، وإلى التنشيط الداخلي، والإيقاع الخفي. وهكذا يتضح أن الخطأ حقيقة بلا روح، حقيقة متآكلة تنتظر من يدعمها.

تموت الحقائق نفسانيا، وليس شكلانيا؛ فهي تحتفظ بصلاحيتها من خلال استمرارية «لا – حياة» الأشكال، رغم أنها فقدت قيمتها بالنسبة إلى كل شخص.

فكل ما هو حياة فيها يحدث في الزمن؛ بحيث تموضعه الأبدية الشكلية في فراغ مصنف.

كم تدوم حقيقة ما بالنسبة إلى شخص ما؟ ليس أكثر من عمر فردتي حذاء؛ فليس هناك سوى المتسولين الذين لا يغيرونها أبدا. ولكن، ولأننا نمشي مع الحياة، فلا بد من تغييرها باستمرار؛ ذلك

أن الامتلاء بالوجود يُقاس بمجموع الأخطاء المسجلة، مقارنة بحجم الحقائق السابقة.

لا شيء مما نعرفه يبقى دون كفارة؛ فنحن عاجلا أو آجلا، ندفع ثمن كل مفارقة، أو تشجيع للتفكير، أو بوح من الذهن. ثمة سحر غريب في هذا العقاب الذي يتبع كل تطور للمعرفة. هل مزقتَ حجابا يغطي لاوعي الطبيعة؟ سوف تُكَفِّر عن ذلك بحزن لن ترتاب في مصدره. هل تركت فكرة مشحونة بالاضطراب والتهديد تفلت منك؟ لا يمكن لبعض الليالي إلا أن تكون ممتلئة بتطورات التوبة. هل بالغت في طرح أسئلة على الله؟ لماذا، إذن، تستغرب من عبء عدم الإجابة؟

وبالنظر إلى نتائجها، فالمعرفة فعل ديني بطريق غير مباشر.

باستسلامنا لما هو حتمي، فإنما نُكَفِّر عن الذهن بلذة. ولن نعرف كيف نشفى من سموم المعرفة، طالما أن مجموع الأعضاء نفسها تطالب بها، غير قادرة على التعود على جرعات صغيرة منها. لنجعل، إذن، من رد الفعل موضوع تأمل؛ وسيجد الظمأ اللانهائي للذهن، تبعا لذلك، كفارة موازية.

تشبه عبادة الجمال جبنا ناعما، أو انفلاتا رقيقا. ألسنا نحب الجمال لأنه يدخرنا من أجل الحياة؟ تحت تأثير سحر سوناتة موسيقية أو مشهد طبيعي، وبابتسامة فرح موجع وتعالٍ حالم نُعفي أنفسنا من الحياة. وفي قلب الجمال يظل كل شيء خلفنا، ولن نستطيع رؤية الحياة إلا بالالتفات إليها. وكل انفعال لامبال، لا اتصال مباشر له

بالوجود، يُبطيء مشية القلب. وبالفعل، ما الأثر الذي يمكن أن يتركه القلب، بما هو عضو من أعضاء الزمن، في الجمال بما هو ذكرى للأبدية!

نحبس أنفاسنا قدام ما لا ينتمي للزمن. وظلال الأبدية، التي تقع حالما يتم استلهام العزلة من مشهد الجمال، تقطع أنفاسنا: كما لو أن هذه الأبخرة تدنس الجمود اللامتناهي...

لو أن كل ما ألمسه يصبح حزينا، لو أن نظرة عابرة للسماء تهبها لون الأشجان، لو لم يعد هناك من حولي سوى عين واحدة جافة، لو مشيت في الشوارع الفسيحة كما لو كنت أمشي على الشوك؛ حيث تمتص الشمس ظلال خطاي لتنتشي بالألم، عندئذ من حقي أن أؤكد وجود الحياة بفخر. كل موافقة تستوجب من أجلها شهادة سرمدية الآلام، وكل فرح يتطلب دعما من الحزن. زد على ذلك أنه من البشاعة والتقزز بمكان أن نستمد قوة التأكيد مما ليس هو امتلاء بالألم، وبالوجع، وبالشجن: فالتفاؤل يُقلِّل من قيمة الذهن؛ لأنه لا ينهمر من الحمى، من الأعالي ومن حالات الدوار. كذلك هو الشأن بالنسبة إلى شغف لا يستمد قوته من ظلال الحياة. تنبع من البصقة، والقاذورات، والغبار المجهول للأزقة عين أكثر نقاوة وخصبة للغاية، بشكل يفوق ما يوجد في التقارب المتسامح والعقلاني مع الحياة. لدينا ما يكفي من الشرايين لتصعد عبرها الحقائق؛ تمطر فيها، وينهمر الثلج داخلها، وتعصف الريح في أرجائها، وتشرق الشموس في أرجائها وتغرب. ولكن، ألا تسقط في دمائنا نجوم لتعثر على بريقها؟

ليس هناك من مكان تحت الشمس يمكن أن يغريني، وليس هناك من ظل يمكن أن يأويني؛ لأن الفضاء يصبح ضبابيا في حماسة التسكع وفي الانفلات غير المشبع. لتقيم في جهة ما، لتجد مكانا في العالم، لابد أن تَتَوَقَّق إلى معجزة أن تتموقع في نقطة من الفضاء، بدون الانحناء تحت ضغط المرارة. حين نجد أنفسنا في موضع، لا نقوم سوى بالتفكير في آخر، بطريقة تتموقع فيها النوستالجيا عضويا مؤدية وظيفة نباتية. وهكذا فالرغبة في شيء آخر، في رمز روحي، يغدو أمرا طبيعيا.

وعليه، تنتهي النوستالجيا بإلغاء الفضاء وهو يعبر عن شراهته. أما ذاك الذي يتألم بشكل استثنائي من الشغف بالمطلق، فهو ليس في حاجة لهذا الانزلاق الأفقي على الفضاء الممتد. ينبع الوجود الثابت للنُّسَّاك من شبكة القنوات العمودية، المتجهة نحو السماء، لهذه الرغبات الغامضة نحو أماكن نائية. لا ينتظر الانفعال الديني مواساة من الفضاء؛ ناهيك عن أنه لا يكون كثيفا إلا إذا وجد فيه ظروفا مناسبة للسقوط.

حين لا نجد موضعا نتألم فيه، ما الحجة الأخرى التي نستعين بها لدعم التسكع؟ وما الذي سيربطنا بالفضاء حينما ينحل الأزرق - الأسود للنوستالجيا من تلقاء نفسه.

لو كان الإنسان غير قادر على منح العزلة لذة شهوانية، وذلك منذ زمن طويل، لكانت العتمة قد احترقت.

إن التفكك الأشد رعبا في مقبرة مجهولة، هو تلك الصورة

الشاحبة للتخلي حيث نوجد عندما يكشف صوت غير منتظر، آت من الأجواء أو نابع من أعماق الأرض، عزلتنا.

أن تكون محروما من أي كان لتتكلم معه! مجرد أشياء فقط، بدون أي كائن يذكر. وينبع شقاء العزلة من الشعور أنك محاط بأشياء غير حيوية، ليس في مقدورنا أن نوجه إليها ولو كلمة.

وليس من قبيل الشذوذ، ولا الكلبية، أن يتنزه «ديوجين» حاملا مصباحا في عز النهار، باحثا عن إنسان ما. نعلم جيدا ذلك في العزلة...

حين يصبح من غير الممكن تجميع أفكارنا، ونخضع، منهزمين لمآلِها الحي، نتفتت والعالمَ مثل ضبابة، بشكل يمكننا على ضفاف بحر في حالة جزر، من الاستماع إلى قراءة ذاكراتنا مكتوبة في حياة أخرى... أين يركض التفكير؟ نحو أي عدم يذيب حدوده؟ هل يذوب الجليد في الشرايين؟ بل في أي فصل من فصلي الدم والذهن توجد؟

هل أنت نفسك؟ ألا يرتعش صدغاك خوفا من المُخالف [الضد]؟ أنت آخر، أنت آخر...

العيون ضائعة في اتجاه الآخر في مالنخوليا الحدائق الطاهرة.

مجبرون نحن، في الآن عينه، على التفكير سلبا وإيجابا في أي شيء، ولكن بادئ ذي بدء في العزلة.



2

هل كان من الممكن، لولا الحزن، أن نمتلك الوعي بالجسد وبالذهن معا في نفس الوقت؟ تلتقي الفيزيولوجيا والمعرفة في مأزقهما التكويني، بشكل يجعلنا غير حاضرين البتة من أجل أنفسنا، وغير متضامنين مع أنفسنا إلا في لحظات الحزن. وكما الوعي، فالحزن يستلب العالم ويجعله خارجيا، غير أنه متى ما يبعدنا عن أي شيء، يجعلنا نلتقي بذواتنا. أما الجِدُّ – باعتباره حزنا بدون نبرة عاطفية - فيُصيِّرنا أشد حساسية تجاه مسار عقلاني فقط؛ لأن حياده لا يمتلك ذلك العمق الذي يجمع نزوات الأحشاء باهتزازات الذهن. إن الكائن الجادَّ حيوانٌ بشروط إنسان؛ فبمجرد ما يختل في لحظة ميكانيزم التفكير، فلن يرَ البساطة التي سيعود فيها إلى الحيوان الذي كانه قديما. لكن ما إن ننزع الحزن عن التأمل حتى نجد الكثير من الغباوة المعتمة الكافية ليلقي بك علم الحيوان بعيدا عنه.

أن نأخذ الأشياء بجدية فذلك يعني أن نزِنها دون أن نساهم فيها؛ أن نتعامل معها بشكل تراجيدي، وأن ننخرط في مصيرها.

وبين الجِدِّي والتراجيدي (**يُنْظَر إلى الحزن بوصفه فعلًا**)، فالبون شاسع أكثر من الفرق بين موظف وبطل. الفلاسفة أعوان بائسون للمطلق، يتقاضون أجورهم من خلال مساهمات أشجاننا، ممارسين مهنة التعامل مع العالم بجدية.

يأتي الحزن - في شكله الأولي - من عبقرية المادة: إلهام بدئي دونما تفكير. لقد انتصر الجسد على شرطه، ويطمح إلى مشاركة أرقى، وتكتمل، ضمن الأشكال الارتدادية للحزن، سيرورة سريان الذهن داخل الشرايين، ليبرهن إلى أي درجة نحن ننتمي إلى أنفسنا عضويا.

وفي ابتهاجنا بالطبيعة وبعودتنا إلى أنفسنا، يظهر الحزن عزلا جوهريا من طبيعتنا، خلافا للتبعثر الوجودي للسعادة.

تتجلى في «منافذ» الشفقة جاذبية سرية نحو «العادات السيئة»؛ وذلك من قبيل القذارة أو الانحلال. وكل وحشية هي تجويد لهذا النقص في الشفقة بوصفها «ذوقا سليما». إن الوحشية شر يسبغ على نفسه المظاهر الحقيقية للنعومة.

لن تجدوا في انحرافات الطبيعة أو الإفراط في دقة التفكير ضلالا أشد ظلامية، ولا أشد اضطرابا من الشفقة. لا شيء يبعدنا بهذا القدر عن الجمال غير «منافذه». هذا إن تعلق الأمر بالجمال فقط! غير أن الفضائل الخفية لهذا الإثم تُحرِّفنا عن أهدافنا الأساسية، وتصنف إفسادا كل ما لا يصدر عن تلك الرغبة في [تنسم] رائحة

المستنقعات والقاذورات؛ وهو مبرر للشهوانية الجحيمية للشفقة.

ولأن الشفقة مرض عملي، ولأن العلم كان على الدوام في خدمة الحكام، فلم يسبق لتخصص طبي أن خصَّها بالدراسة. أما ذاك الذي يُعَمِّق من الاضطرابات الداخلية، ومن جحيم الحب المنحرف للناس، أبإمكانه أن يمد يده لشخص رحيم؟

يروم المفكر تقليب الحياة في كل أشكالها، وعرض أوجهها في مختلف تلوُّناتها، والعودة باستمرار إلى كل مخابئها، وعبور كل مسالكها طولا وعرضا، مُشاهدا نفس المظهر ألف مرة، ومكتشفا كل جديد فقط فيما لم يره بوضوح، ممررا نفس المحاور من خلال كل الأعضاء، ومازجا الأذهان في الجسد. هكذا يُقطِّع الحياة مِزَقا صغيرة مفكرا فيها إلى أقصى حد.

أليس هناك شيء أكثر دلالة لما هو غير محدد في ما تعجز عنه الحياة، أكثر من شظايا مرآة مهشمة تستطيع أن تعيد إلينا أيقونتها؟

عندما أدركنا عدم قدرة الناس على منحنا أي شيء، ورغم ذلك مازلنا نتردد عليهم، فكما لو أننا نسفنا أي خرافة، مستمرين رغم ذلك في الإيمان بالأشباح. ومن أجل أن يُجبِر المنعزلين على الجبن، خلق الله الابتسامة، فاقدة للحيوية وهوائية لدى العذارى، وحسية ومباشرة عند النساء الضائعات، حنونة عند العجائز، وقاهرة عند المحتضرين. ناهيك عن أنه لا شيء يُثبت أن الناس ميتون بقدر الابتسامة؛ بوصفها تعبيرا عن الملتبس حين يمزق المؤقت. أليست

الإبتسامة في كل مرة تنطبع على شفاهنا شبيهة بلقاء أخير؟ أليست تعبيرا عن الوصية المعطرة للفرد. يجعل الضوء المترعش للوجه والشفتين، وبلل العينين الارتسامي، من الحياة ميناء أمينا؛ حيث تبحر السفن نحو عرض البحر بلا وجهة محددة، تحمل عوض الناس انفصالات. ولعمري، ما الحياة إن لم تكن موضعا للانفصالات؟

وفي كل مرة أستسلم فيها لعذوبة ابتسامة، أجد نفسي أبتعد مثقلا بعبء المتعذر ترميمه، فلا شيء يكشف بشكل رهيب ذلك الخراب الذي ينتظر الإنسان أكثر من هذا الرمز الظاهر للسعادة، والذي يجعل من قلب مُتَعَرٍّ يشعر بقشعريرة المؤقت في الحياة بوصفه أكثر فظاظة من الحشرجة الكلاسيكية للموت. وفي كل مرة يبتسم فيها أحدهم في وجهي، أميز على جبينه البرّاق نداء يمزق نياط القلب: «اقترب، أنظر جيدا فأنا أيضا فانٍ» - أو حين تعتم عيناي- يطفو صوت الابتسامة في أُذُنَيَّ الشرهتين في عناد: «تمعن فيَّ، للمرة الأخيرة!».

...ولهذا السبب تفصلك الابتسامة عن العزلة الأخيرة. وكيفما كانت الفائدة لشركائه المتواطئين بالتنفس أو التعفن، فسنعود إليهم لامتصاص سرهم، للغرق فيه، وحتى لا يعلموا، لا يعلموا إلى أي درجة هي مثقلة بالزائل تلك المحيطات التي يحملونها داخلهم، والغرق الذي يسحبنا إليه الدوار اللاواعي والعضال لابتسامتهم، وأي إغواء للغياب يمارسونه عليك، وهم يفتحون أرواحهم لك؛

بحيث تزيح وهي تصطك ألمًا، بلاطة الابتسامة!

يأخذ تولُّد أي فكرة جسدنا إلى المعصرة: ذاك أنه في كل مرة نتأمل نعتصر حياتنا. وهكذا، لن يكون المفكر المطلق سوى هيكل عظمي يخفي عظامه في طيات شفافية الأفكار.

الشحوب هو اللون الذي تأخذه الفكرة على الوجه البشري.

ليس هناك من مصير إلا في الحركة، ففيها نجازف بكل شيء دون أن نعلم أين سنصل. والسياسة – بما هي سخط عارم تجاه كل ما هو تاريخي في الإنسان – هي بمثابة فضاء للحتمية، للتخلي التام للقوى البناءة والهدامة للصيرورة.

في العزلة أيضا نجازف بكل شيء، لكن بما أننا في هذه الحالة نعرف ما سيحصل، فالوضوح يخفف من لامنطقية المصير. نتوقع حياتنا، نعيش قدرنا مثل شيء محتم بلا مفاجآت، فما هي العزلة في الحقيقة، إن لم تكن رؤيا شفانية للحتمية، مزيدا من الإشراق في الحركية العمياء للحياة؟

يرفض رجل السياسة الوعي؛ أما المنعزل فيرفض الحركة. الأول يعيش النسيان، والآخر يبحث عنه.

لا يمكن لفلسفة للوعي أن تنتهي إلا في فلسفة للنسيان.

يغدو الشخص الذي يمارس الوضوح طيلة حياته صورة من الصور الكلاسيكية لليأس.

تقدم المرأة التي تسدد نظراتها ناحية شيء ما، صورة تحمل نزرا يسيرا من الابتذال؛ في حين أن عينين مكتئبتين، تدعوان إلى تخريب هوائي. أما الظمأ اللامادي غير المنفذ في زرقة العينين الجنائزية والمعطرة، فيمنع من أن تكون الذاتُ نفسَها. عيون لا ترى شيئا غير أننا أمامها نغيب، حتى لا يُحدث الحضور لطخة على اللامنتهي... إن النظرة الصافية للمالنخوليا هي الحيلة الأشد غرابة، التي من خلالها تجعلنا المرأة نعتقد أنها كانت ذات يوم رفيقة لنا في الفردوس.

المالنخوليا هي ورع ليس في حاجة إلى مطلق، انزلاق خارج العالم بدون جاذبية التعالي، ميل نحو تمظهرات السماء، لكنها لا تلقي بالا للرمز الذي تمثله. قدرتها على أن تكون معفاة من الله - رغم أنها تتوفر فيها كامل الشروط الأساسية للتقرب منه - يجعل منها شهوة تكتفي بنموها الذاتي كما تكتفي بضعفها المكرور. فالمالنخوليا هذيان جمالي، منغلق على نفسه، عقيم بالنسبة إلى الميتولوجيا. لن نجد فيها سوى هدهدة حلم، فهي لا تُوَلِّد أي صورة أعلى من تمزقها الأثيري.

إذا كانت المالنخوليا فضيلة عند النساء فهي إثم عند الرجال؛ وهذا ما يفسر لماذا استعملها الرجال للمعرفة.

ثمة في بعض البسمات النسائية رضى حنونا يجعلك مريضا؛ بحيث إنها تعشش في عمق المشاغل اليومية وتحط عليها، ممارسة رقابة جوانية. لا بد من تجنب النساء - مثل الموسيقى - عندما نشعر بحساسية مضطربة تزيد من الحنُوِّ إلى درجة الإغماء. حين نتحدث

عن الخوف، عن الخوف ذاته، قدام امرأة شقراء يجعل منها الشحوب كائنا روحانيا، وتخفض عينيها لتبديل الحركة عند الاعتراف، فإن ابتسامتها المريرة والمنكسرة تدور في اللحم وتُمدِّد في شكل صدى دوارها اللامادي.

البسمات عبء شهواني سواء بالنسبة إلى ذاك الذي يوزعها أو بالنسبة إلى مَن يستقبلها. ليس بإمكان قلب مصاب بالرقة أن يقاوم بسهولة ابتسامة لطيفة. وهنالك أيضا نظرات لا يمكن على إثرها اتخاذ أي قرار.

ندفة تائهة في الهواء تُكَوِّن صورة عن الابتذال أكثر تمزقا وأشد رمزية من جثة.

كذلك، هو الشأن بالنسبة إلى عطر غير مألوف يجعلنا أشد حزنا من مقبرة، أو تخمة أبلغ تفكيرا من فيلسوف. ثم ألا تجعلنا يد متسول ترشدنا إلى السبيل في مدينة كبيرة تُهنا فيها، ألا تجعلنا متدينين أكثر من الكاتدرائيات؟

يبدأ رعب الزمن قبل قراءة الفلاسفة، حين نتأمل في لحظة تعب وجه عجوز بدقة. والتجاعيد التي حفرتها الشجون، الآمال والأوهام، تَسْوَدُّ وتختفي بلا أثر في عتمة يخفيها الوجه بصعوبة، قناع غير مؤكد لهوة مُوجِعة. كما لو أن الزمن تراكم بين كل طيَّة وأخرى، كما لو أن الصيرورة أَصْدَأَته وأن والديمومة طعنت في السن. كل طية هي جثة تركها الزمن. شيطان الزمن يجعل من الوجه البشري

برهانا على الابتذال. من ذا الذي يمكنه أن ينظر إليه بهدوء في غسقه؟

لاشك أن الالتفات نحو عجوز حين لا يكون في مستطاعك قراءة سِفْر الجامعة، ووجهه - الذي لا يمكن أن يكون غريبا عنه إطلاقا - يُعَلِّمانك أفضل مما يفعله الحكماء؛ لأن هناك تجاعيد تكشف حركة الزمن بشراسة أكثر من كُتَيِّب موجز للابتذالات. أين نعثر على الكلمات التي ترسم هذا الانجراف الشرس، هذا التقدم المدمر، حين يكون المشهد مفتوحا ومتاحا للشيخوخة يتضح مثل درس أخير وحكمة بلا جدوى.

ألا يعبر التهيج العصبي للأطفال وهم في أحضان أجدادهم عن الرعب الغريزي من الزمن؟ من منا لم يشعر في قبلة عجوز بابتذالها اللانهائي.

كل الناس تفصلني عن الناس.

لو ركضت مثل مجنون للبحث عني، من الذي سيقول لي إنني لن ألتقي بي؟ في أي مساحة شاسعة من الكون كنت سأتوه؟ سوف أذهب للبحث عني هناك حيث نستمع للنور... لأنني، إن لم تخني الذاكرة، أتساءل هل عشقت شيئا آخر أكثر من جهورية الشفافية؟

مَن لا يجد أن العالم، إثر كل شجن، أصبح أكثر ذبولا، وأشعة الشمس أكثر خجلا، والصيرورة تقدم اعتذارات وهي تكسر إيقاعها؛ فهو يفتقر إلى الأسس الكونية للعزلة.

القطيعة مع الكائن تجعل من الشخص مريضا بذاته، حتى إنه بمجرد سماع كلمات من قبيل: «شقاء»، «نسيان»، «فراق» يذوب في قشعريرة قاتلة. ومن ثمة، فنحن نَخبِر المستحيل من أجل أن نحيا؛ بعبارة أخرى نقبل بالحياة.

أن تبقى لوحدك مع الحب كله، مع عبء اللانهائي في الإيروس؛ هذا هو المعنى الروحي للشقاء في الحب، علما أن الانتحارات لا تبرهن على جبن الإنسان، بل إن الأبعاد اللاإنسانية للحب هي التي تَطَّلع بهذا الدور. وإن لم يكن المحبون قد لطَّفوا العذابات العاشقة بازدراء نظري للمرأة، لانتحروا كلهم. ولكن، بالنظر إلى أنهم مدركون لطبيعتها، أدمجوا في وضوح عنصرا رديئا في اللامحتمل. وعلى هذا الأساس، يتجاوز شقاء الحب في حدته أعمق الانفعالات الدينية؛ فرغم أنه لم يَبْنِ كنائس، غير أنه شيَّد قبورا – قبورا في كل مكان.

الحب؟ انظروا إنه شبيه بشعاع شمس يغرق في دمعة، وكأنه النجمة الملتمعة وُلدت من بكاء السماوي.

الشقاء هو الحالة الشعرية بامتياز.

في حالة ما إن كانت الحيوانات قادرة على الشقاء في الحب، فبإمكانها وقتها أن تكون جزءا من الإنسانية. لم لا نقبل أن النظرة المبللة لكلب، أو الحنان طيِّع القياد لحمار يعبِّران أحيانا عن الندم بلا كلمات؟ هناك شيء ما معتم وغامض في إيروس الحيوانات ما يجعل

منه غريبا بشكل كلي.

يؤكد الأدب أننا نشعر بالقرب من النباتات أكثر من الحيوانات. والشِّعر، في جزء كبير منه، ليس إلا تعليقا عن حياة النباتات، أما الموسيقى فهي تشويه بشري لنغمات النبات.

كل زهرة مهما كانت بإمكانها أن تكون صوة للشقاء في الحب: وهذا ما يجعلنا قريبين منها. غير أنه لا وجود لحيوان قادر على أن يرمز لما هو زائل، في حين أن الأزهار هي التعبير المباشر والجمالية غير القابلة للترميم لكل ما هو زائل.

ما الذي يفعله كل إنسان في العمق؟ يُكفِّر عن نفسه بنفسه.

لا أستطيع أن أحب سوى حكيم شقي في الحب.

ما يجعل من المدن الكبيرة حزينة أن كل شخص فيها يريد أن يكون سعيدا، غير أن حظوظه في ذلك تقل كلما زادت رغبته. يشير البحث عن السعادة إلى المسافة التي تفصلنا عن الفردوس، درجة الانحطاط البشري. لماذا نستغرب، إذن، من أن تكون باريس النقطة الأبعد جدا عن الفردوس؟

لقد التهمنا بالفعل مكتبات بكل محتوياتها، لكننا لم نعثر إلا على ثلاثة كُتَّاب أو أربعة يستحقون أن نقرأهم ونعيد قراءتهم. والاستثناءات من هذا النوع تخص جهلة عباقرة، نُعْجَب بهم، وعند الحاجة، نتعلم منهم، غير أنهم بالأساس لا يقولون أي شيء. أريد أن أكون قادرا على التدخل في تاريخ الذهن البشري بفظاظة جزَّار

مصحوب بكل تلطف الديوجينية. فإلى متى سنترك أنفسنا مُداسين بأقدام مبدعين شتى لا يعلمون أي شيء، هم أطفال رهيبون، وملهَمون، فاقدون لإدراك معنى السعادة والشقاء؟ لا يمكن أن نستحسن عبقريا لم يدرك جذور الحياة، مهما كان تعدد تعبيراته، إلا في لحظات اللامبالاة. من المرعب التفكير في أن الذين عرفوا شيئا ما قلة قليلة جدا، وأن عدد حالات الوجود المتكامل تزداد انحسارا. ولكن، ما المقصود بوجود متكامل، وما معنى المعرفة؟ لا مِراء في أن المقصود هو الاحتفاظ بظمإ للحياة عند ساعات الغسق.

بعض الكائنات لا تشعر بميل نحو الجريمة إلا من أجل التلذذ بحياة مكثفة. وهكذا فإن الإنكار المرضي للحياة يعيد لها الاعتبار في نفس الآن.

هل كان سيوجد مجرمون لو لم يكن الدم حارا؟ يبحث التحريض المدمر عن علاج البرود الداخلي، وأشك أنه لولا التمثل الضمني لحرارة فاترة، لم يكن أحد قادار على غرس خنجر في جسد إنسان. دم تصدر عنه بخارات طرية، يأمل المجرم أن يهدِّئ فيها قشعريرته المثلجة. تُولِّد عزلة لا تُعدِّل أي حنان الجريمةَ بشكل يجعل كل أخلاق ترغب في القضاء على الشر من جذوره، وعليها أن تضع نُصب عينيها مشكلا واحدا: أي معنى للعزلة الملائمة جدا للخراب والتفكك؟

هل سيجد شخص ما ذات يوم الكلمات التي تعبر عن القشعريرة التي تُزاوج في نفس اللحظة بين سمُوَّ الشهوة والألم

السامي؟ هل بإمكان موسيقى تصعد عند كل الأفجُر وعند كل ساعات الغسق، أن ترسل للناس أحاسيس ضحية للسعادة والشقاء الكونيين؟

غريق هزمته الأمواج، أُلقي به على الصخور وامتصته كل الظلمات، ويمسك الشمس بين ذراعيه! منبوذا، تائها ومنبع الحياة في قلبه، متشبثا ببريقه القاتل، ويغرق معه في الأمواج؛ لأن أعماق البحر تنتظر منذ الأبد نوره ولحاده.

لا يصير التواصل مع الناس - المجتمع عموما - ممكنا بدون الاستعمال المتكرر لنفس النعوت. وسترون إلى أي درجة من التفاهة سيتحول الإنسان إلى حيوان سياسي، إذا ما منعتها القوانين. سوف تختفي أيضا النقاشات، والزيارات، واللقاءات، ويتقهقر المجتمع في صلة ميكانيكية بما تفترضه المنفعة. لقد فكر الكسل في استيلاد آلية النعت. ونفس النعت ينطبق على الله أيضا كما ينطبق على مكنسة؛ لقد كان الله في السابق لا نهائيا؛ وهو اليوم مدهش. (كل بلد له تعبيره الخاص عن فراغه الذهني). وهكذا، بمجرد منع النعت اليومي سيفقد التعريف الشهير لأرسطو معناه.

ما يميز الفلاسفة القدامى عن المعاصرين - وهو فرق لافت جدا وغير مشجع للمعاصرين - يكمن في أن المعاصرين يتفلسفون على طاولات عملهم، وفي المكاتب المغلقة، بينما القدامى كانوا يتفلسفون في الحدائق، وفي الأسواق، أو على ضفاف بحر ما. والقدامى، أكثر كسلا، يظلون لساعات طويلة مستلقين لأنهم

يعلمون أن الإلهام يأتي أفقيا: هكذا كانوا ينتظرون الأفكار التي يعمل المعاصرون على استيلادها بالقوة ومن خلال القراءة، مخلفين انطباعا أنهم لم يعرفوا أبدا متعة اللامسؤولية التأملية، بل بترتيب أفكارهم على طريقة تطبيق المقاولين؛ وكأنهم مهندسون متحلقون حول الله.

كثيرة هي الأرواح التي اكتشفت المطلق لأن بجانبها أريكة.

كل موقف من مواقف الحياة يمنح بعدا آخر: يتصور الفلاسفة عالما آخر، ذلك أنهم تعبوا من النظر إلى هذا العالم لأنهم عادة ما يكونون مُنْحَنين.

من ذا الذي يرى نفسه في المرآة في لحظات شبه معتمة ولم يتهيأ له أنه التقى المنتحر في داخله؟

هل يمكن أن نعشق كائنا محميا من العبث، ولا يرتاب من التراجيديا التي أنتجته، ولا من أناقة الغِلِّ، وتلطف الأسى، وعدد ردود الفعل الفاسدة والخادعة للصحراء الداخلية؟

العبثية سهاد خطأ ما، الخيبة الدراماتيكية لمفارقة. لا تُقَاس حمى الذهن إلا بوفرة هذه الجنائز المنطقية؛ ونقصد بذلك الأشكال العبثية.

لقد تجنبها البشر دائما عن خشية، قطعا لأنهم فهموا شيئا حول تفككها النبيل؛ غير أنهم لم يستطيعوا تفضيلها على الأمن العقيم والسكينة المشبوهة للعقل.

في كل مرة أفكر فيها في الموت، يتهيأ لي أنني سوف أموت أقل، لا أستطيع أن أنطفئ، أو أن اختفي رغم معرفتي أنني سأختفي وسأنطفئ... وسأختفي، سأنطفئ، سأموت على الدوام.

أثيرية ومأتمية هي الحياة مثل انتحار فراشة.

الخلود تنازل من الأبدية يهبه الموت للحياة. غير أننا نعرف جيدا أنه لن يمنحها ذلك؛ لأن الكثير من الكرم سيكلفه الحياة.

كل إشكال لا بد له من حرارة خاصة؛ إلا الشقاء فهو يتكيف مع أي حرارة.

يجب أن تبدو أمام الجميع مبتهجا، وألا يرى أحد أن الندف هي أيضا شواهد قبور: تجب المحافظة على القريحة خلال الاحتضار...

تبلغ الأخلاق الذاتية ذروتها حين تقرر أن لا تكون حزينة أبدا.

الحزن هو الخراب غير المباشر للأخلاق، باعتباره قابلا لنفاذ الشياطين. حين يعارض الشر الخير، يساهم في القيم الأخلاقية بوصفه قوة سلبية، لكن حين يظفر باستقلاليته، ويأوي داخله، بدون أن يعلن عن أي مقاومة، يحقق وقتها وضعه الشيطاني. يشجع الحزن على استقلالية الشر وإفساد الأخلاق. وإن كان الخير يعبر عن حيوية صفاء الحياة، فالحزن ظله العضال.

ابتكارات الذهن هي مؤشر اللامحتمل في الحياة. وكذلك هي البطولة.

المالنخوليا هي الأنانية في حالة حلم.

لو لم تكون هناك شهوة خفية في الشقاء، لَتَمَّ اقتياد النساء لتلد في المسالخ.

انطقوا أمام روح حساسة كلمة «فراق» وستوقظون داخلها الشاعر. نفس الكلمة لن توحي بأي شيء بالنسبة إلى شخص عادي، حتى لو غيرت المفردة. ما يميز الناس عن بعضهم البعض يقاس بالصدى العاطفي للكلمات داخلهم. فهناك من يسقط مريضا لضعفٍ شطحاتيٍّ بمجرد سماعه لتعبير تافه، أما آخرون فيظلون باردي الإحساس أمام دليل افتخار. بالنسبة إلى الصنف الأول فإن تفسير اللفظة في المعجم لا يخفي ألما، بينما هي لا توجد حتى في الاستعمالات اللغوية اليومية بالنسبة إلى الصنف الثاني. قلة جدا أولئك الذين - في أي وقت كان - يشغلون أذهانهم بالحزن.

مهما كانت الصلة بين الأمراض وبنيتنا، فمن المستحيل عدم الفصل بينهما كأشياء خارجية، غريبة أو أمور لم تحدث. لذلك حين نتحدث عن شخص معتل الصحة، نصنف مرضه تابعا محتوما، ملحقا عضالا لهويته الأولى. فهو يظل أمامنا بمرضه الذي يحافظ على بعض من استقلاليته الموضوعية. لكن كم هو صعب فصل مالنخوليا كائن ما! مرض ذاتي بامتياز، لا تفارق مَن تتملَّكه، حتى إنها تنتمي للصدفة: لا دواء لها. ألا يوجد علاج لها؟ طبعا يوجد: لكن وجب وقتها العلاج من الذات نفسها. وما نوستالجيا الأشياء الأخرى، في حالات الحلم الاكتآبي، إلا الرغبة في أنا آخر، نبحث

عنها في المشاهد الطبيعية، في الآفاق البعيدة، في الموسيقى، ننخدع دون إرادتنا في سيرورة أعمق بكثير. ونعود مستائين مستسلمين لأنفسنا، ذلك أنه لا مفر من مرض يحمل اسمنا؛ لولا هذا المرض، وإن حدث وأضعناه، فسينعدم وجودنا.

أشك أن الله خلق حواء من أحد أضلاعنا المعوجة، ففي هذه الحالة من واجبنا أن نخلق انسجاما معها ليس في السرير فقط، بل في مواضع أخرى أيضا... لكن أليس هناك في الحقيقة خدعة هنا أيضا؟ ألسنا متباعدين الواحد عن الآخر، جنبا إلى جنب في شبه هويتنا هذه؟ من أين يجيء هذا الميل المُعْتم والمُتَعَذَّر كبتُه لساعات مُتكدِّرة من أجل ذرف دموع مكتومة على نهود نساء تائهات في نُزُل قديمة؟

نحن متعلقون بالمرأة، ليس بشكل غريزي فقط، ولكن خوفا من رعب القلق أيضا. ومن الممكن أن المرأة ليست سوى ابتكار من صنيع هذا الرعب. لقد خلق الله حواء خوفا على آدم من العزلة، وفي كل مرة تجتاحنا قشعريرة العزل نمنح الخالق «أحد أضلعنا» لنمتص من المرأة المولودة منا، عزلتنا الذاتية.

العفَّة رفض للمعرفة. كان بإمكان النساك إرضاء رغبة الصحراء بسهولة بجانب المرأة، إذا كان الخوف من الإغواء قد حررهم من العمق الملغز للجنس. يوقظ الهلع وسط عالم من الأشياء رغبة قاتلة تجاه المرأة، التي ينظر إليها هي نفسها باعتبارها شيئا، ينشطها شغف قلقنا.

لن يعود في استطاعة كائن في طريقه نحو التجلي الروحي الكامل أن يُصاب بالمالنخوليا، فما عاد بإمكانه الاستسلام لنزق أهوائه. فالروح تعني المقاومة، بينما تفترض المالنخوليا، أكثر من أي شيء آخر، عدم مقاومة الروح، والغليان الأصلي للحواس، والعواطف الجامحة. كل ما بداخلنا ولا نتحكم فيه، كل ما هو مضطرب، ولا عقلاني، ومكوَّن من حلم وحيوانية، من قصور عضوي وطموحات موجعة - شبيهة بتفجرات موسيقية تعتم صفاء الملائكة وتجعلنا نشاهد الزنابق بازدراء - كل هذا يُكَوِّن المنطقة البذْئية للروح. من هنا تنبعث المالنخوليا، من شعرية هشاشة الروح.

حين نعتقد أننا ابتعدنا عن العالم، يؤكد ريح المالنخوليا وهم الحضور الروحي. تجذب القوى الحيوية للروح نحو الأسفل، تجبر على الغوص في العمق الأصلي، وعلى التعرُّف على منابع يشتتها الفراغ العبثي بجديته العنيدة.

المالنخوليا مسافة بالنسبة إلى العالم المتعلق بالحياة وليس بالأذهان؛ إنها هجر لجوهر الأقمشة. لقد أضاف الناس للنداء الملح للروح تلوينة تأملية لا توجد عند المرأة، التي بما أنها لا تستطيع مقاومة الروح، استسلمت فورا للمالنخوليا.

الحاجة إلى زمن صاف، ممسوح من الصيرورة وليس أبديا... والترقيق الأثيري «للمعبر»، النمو الذاتي للزمنية، زمن بلا مجرى... نشوة مهذبة للحركية، امتلاء زمني خارج اللحظات... الغوص في

زمن مجرد من الأبعاد، وبصفة هوائية لدرجة أنه بإمكان قلبنا إعادته للخلف؛ فهو ليس ملطخا بما لا رجعة فيه، وليس ممسوسا بالقدر.

... بدأت أرتاب بأي كيفية تسلل داخل الفردوس.

من لا يمتلك وسيلة للخلود يتصورها شكلا آخر من أشكال الزمنية؛ بحيث إنه يشكل صورة عن زمن يمضي خارج ذاته، أو عن زمن عمودي. تصبح الأيقونة الزمنية للخلود مجرى صاعدا، تراكما عموديا للحظات التي تصنع حاجزا أمام الانزلاق الديناميكي، أمام التنقل الأفقي نحو الموت. يُدْخل الانقطاع الزمني بعدا عموديا، لكن فقط بحسب طول مدة مشهد هذا الانقطاع. وحالما يتوقف هذا المشهد، تنكر الأبدية الزمن بوصفه نظاما من المتعذر اختزاله. يُثبت تغيير التوجه الطبيعي، والانحراف العنيف للزمنية نحو منفذ الأبدية، كيف أن فشل الحياة يتضمن أيضا اغتصابا للزمن. البعد العمودي للانقطاع هو انحراف لمعنى الزمنية، فلا يمكن بلوغ الأبدية إن لم يتم إفساد الزمنية.

يُعبِّر المرض عن انتصار المبدأ الشخصي، خسارة الجوهر المجهول في داخلنا؛ وهو في هذا الظاهرة الأشد تمييزا للفردانية. وتساهم الصحة الجيدة – حتى في شكلها المجازي؛ أي السذاجة – في هذا المجهول، في الفردوس البيولوجي لعدم التقسيم، بينما المرض هو المنبع المباشر للفراق؛ فهو يغير من وضع الكائن، ثم إنه يحدد التفرد، أو تلك القفزة فوق العادي. ينظر إلى الفرق بين شخص مريض وشخص معافى باعتباره أكبر بكثير من الفرق بين هذا الأخير وأي

حيوان آخر. فأن تكون مريضا يعني أن تكون شيئا آخر غيرك أنت، الخضوع لتحديدات الممكن، والتعرف إلى اللحظة من خلال ما هو غير متوقع. في العادة نتحكم بزمام مصيرنا، ونستشرف في كل لحظة، ونعيش في يقين مليء باللامبالاة. ونحن أحرار في اعتقادنا أنه في يوم ما، في ساعة ما، سنكون جادين أو منشرحين، ولا شيء يمنعنا من الارتكاز على الاهتمام الذي نخص به أي شيء مهما كان. وعلى العكس من هذا، في الوعي الناتج عن المرض ليس هناك أي أثر للحرية: لا يمكن أن نستشرف أي شيء، مجرد عبيد معذبون بالتهيؤات ونزق الأعضاء. تتنفس الحتمية من جميع المسام، وتنبعث الكراهية من الأعضاء، والكل يمجد هذه الضرورة التي هي المرض. لا نعرف أبدا ما الذي سنفعله، ما الذي سوف يحدث، أي كارثة تترصدنا في الظلال الآتية، ولا حتى تحت أية ظروف سنحب أو نكره، فريسة للمناخ الهستيري للايقين. إن المرض الذي يفصلنا عن الطبيعة يشدنا إليه أكثر مما يربطنا بالقبر. وتجبرنا تلوينات السماء على إحداث تغييرات مشابهة في الروح، درجات من الرطوبة لتحضيرات مشابهة، والفصول لدورية لعينة. هكذا نترجم جُماع الطبيعة أخلاقيا. وعلى مسافة لا متناهية منها، نعبِّر عن كل فانتازيتها، وعن الفوضى البديهية أو المخفية، عن منحنيات المادة في تذبذبات قلب غير متيقن. تكمن مفارقة المرض في القدرة على قطع الصلة مع العالم وتسجيل كل متغيراته؛ وهذه هي الضرورة الغريبة التي تفرض نفسها علينا، ومَلَكة التفكير أبعد من كينونتنا، ووضعية

المتسول التي تشرط جسدنا نفسه. ألا نمد أيدينا لأنفسنا في الحقيقة؟ ألا نتسول دعما ما، متشردون عند أبواب أنواتنا، زاهدون في حياة بلا علاج؟ ألسنا في حاجة لإنجاز شيء ما لأنفسنا، دون أن يكون في مُكْنتنا الارتفاع فوق بيداغوجية لما لا يمكن علاجه! سوف يصبح الأطباء متشردين لو كنا أحرارا في المرض؛ فالبشر منجذبون نحو الألم، لكن ليس نحو هذا المزيج المُعَذِّب من الذاتية الساخطة والضرورة التي لا يمكن ردعها.

المرض هو الكيفية التي يحب من خلالها الموت الحياة، وما الفرد سوى مسرح لهذا الضعف. في كل لحظة ألم، يتذوق مطلق الموت الصيرورة، وليس ألمنا سوى إغواء، تقهقرا إراديا للعتمة. أليس الألم في نهاية المطاف سوى التقليل من مطلق الموت.

3

«قلبي كشمع العسل، يذوب في أحشائي» (مزمور 22). إلهي، افعل ما تستطيعه إلى حين أن أرمي بعظامي على رأسك.

الموسيقى هي زمن صوتي.

الحياة وأنا خطان متوازيان يلتقيان في الموت.

كل شخص هو متسول نفسِه.

تحمل الدّوخات التي يعاني منها البعض، وتجبرهم على الاتكاء على الأشجار أو الجدران وسط الشارع، معنى أعمق مما يتصوره الفلاسفة وحتى الشعراء. ويتمثل هذا المعنى في فقدان القدرة على البقاء عموديا - رفض الوضع الطبيعي للإنسان – وهو لا يرتبط بتوتر عصبي، ولا بسبب تركيبة الدم، بل بالتعب من ظاهرة «البشري»، بما في ذلك الزهد في كل مميزاته. هل انتهيت من استعمال البشري فيك؟ هكذا تغادر بشكل حتمي الشكل الذي وفقه تم تحديده. ستقع، ولكن بدون العودة إلى الحيوانية، فمن المفترض جدا

أن هذه الدّوخات تطرحنا أرضا، لتهبنا إمكانات أخرى للتعالي. إن العودة إلى ما قبل الوضع البشري العمودي تفتح أمامنا مسالك أخرى، تهيئ لنا نموا آخر، وبتغيير انحناء جسدنا، تفتح لنا أفقا آخر نطل منه على العالم.

الأحاسيس الغريبة للدوخة التي تباغتنا في أي مكان، وخاصة حين تقترب المسافة بين الإنسان وذاته من اللانهائي، لا تشير فقط للحضور العنيف للروح، ولكن تشير أيضا إلى هجوم مروع لكل ما أضفناه لثوابت الشرط البشري. فالدوخة واحدة من الأعراض المميزة لتجاوز الطبيعة واستحالة المساهمة في الشرط الفيزيائي الذي يتصادى وإياها. وحالما تنقطع الصلات الداخلية مع الإنسان، فعلاماتها الخارجية تتبع سيرورة الانحلال. حين شرع الحيوان في الوقوف على ساقين فقط، فمن المؤكد أنه قد شعر باضطراب مماثل. ألا يتعلق الأمر هنا باستبطان ارتدادي يجعلنا ننزل إلى هذا القلق النائي؛ حيث تلك الذكريات الغامضة التي تقربنا من دوخات البدء البشري؟

على كل ما ليس بجامد أن يبحث، بدرجات مختلفة، عما يستند إليه، وخاصة الإنسان الذي لا يُتِم مصيره إلا من خلال ابتكار يقينيات، ولا يحتفظ بوضعه إلا من خلال مُنشِّط للأوهام. لكن الذي يضع نفسه في مواجهة نفسه، وينزلق في شفافية وضعه الخاص، والذي لا يكون إنسانا إلا في حالات حِلْم الذاكرة، هل بإمكانه الاستنجاد بالسند التقليدي، بفخر الحيوان العمودي، هل

بإمكانه الاعتماد على نفسه، وهو الذي من زمن بعيد لم يعد هو نفسه؟ تمنعه الأشياء من السقوط في انتظار نضج فواكه حياة أخرى في نسغ دوخات أخرى أكثر.

يتعفن الإنسان داخلك في التعسف المنحرف للمعرفة، ولا شيء يُعبِّر بشكل مباشر عن التمزق الفائق سوى لايقين خطاه في هذا العالم. الدوخة التي تعقبها نهاية الإنسان هي قشعريرة الحد، مُحذرة وموجعة عند بدايتها، لكنها واعدة ومربحة. يقودنا أمل بحيوية شيطانية نحو سقطات مكرورة، من أجل تطهُّر غير مشبوه. سوف يبدأ شيء آخر، بعدما يكون الإنسان قد نضج داخلنا ثم وقع مغشيا عليه، شيء غريب عن حدس الذين بقوا في الخلف، عند منتصف الطريق نحو البشرية. فليتفكك الله في شرايينك، وليُقْبَر مع بقاياك الملمومة من ذكرياتك، ولتُسَمَّد بالجثث البشرية والسماوية خضرة الأمل، ولتسلي أنوار العفن حياء الأفجر!

لكن، ولكي تتطهر من إرثك البشري، تدرَّبْ على أن تتعب، أن تنحل، أن تفسد الموت الذي يختبئ بين ثناياك. انظر إلى شخص منعزل ينتظر شيئا ما، واسأل نفسك عن هذا الشيء؛ وسترى أن لا أحد ينتظر شيئا، لا شيء سوى الموت. هل شعرت من قبل بقشعريرة وأنت تشاهد الجميع ينخدعون، وأن الجميع يمدون أياديهم إلى الموت دون أن يدركوا ذلك، على أمل أن يأتي أحدهم، وأن لا يكون انتظارهم بلا جدوى؟ لماذا يبدو لنا وكأن المنعزل بعينيه المتعبتين من الانتباه [إلى شوارد الأمور]، أو أي كائن آخر، لا

شيء لديه لانتظاره، ولا شيء هناك لانتظاره، يضع جانبا الجاذبية الحارة والباردة للموت، يتسكع في الصحاري، المقاهي، الأسرة القديمة، أو في منعطفات الشوارع؟ أليس ثمة لقاءات أخرى سوى مع الموت؟ من بإمكانه أن ينتظر كائنا فانيا دون أن يموت؟ نمضي كي نلتقي به لنحيا، لكن هل من الممكن أن «نحيا» قرب كائن فَانٍ؟ من المرعب ألا ندراك أننا في سعينا نحو الإفلات من الموت إنما نهرول خلف من يموتون!

لستُ أنا مَن يتألم في العالم، بل العالم الذي يتألم فيَّ أنا. فلا وجود للفرد إلا بقدر ما يُركِّز الأوجاع الصماء للأشياء، من الخِرقة التافهة وصولا إلى الكاتدرائية. كذلك فالفرد ليس بحياة إلا في اللحظة التي تتلذذ فيها الكائنات، من الدودة إلى الله، وتتأوه من خلاله.

لم ينجح رسام واحد في جعل العزلة مستسلمة لنظرة الحيوانات؛ فلا أحد فهم غير المتوافق في أعين الحيوانات: حزن هائل ونقص مماثل في الشّعر.

النظرة البشرية اكتفت بإضافة الندم الشعري؛ بحيث يدل غيابها لدى اللأولين عن القرب من الأصول.

المرارة موسيقى أفسدتها الفظاظة. ليس هناك من نبل إلا في الاكتئاب... لذلك من المهم معرفة ضمن أي تلونة من تلوينات كراهية العالم فكرتَ في الله.

مفكر يصغي إلى كيفية تعفن فكرة...

«قتل الوقت»، هكذا نعبر بشكل تافه وعميق عن عدم فائدة القلق. تجعلنا استقلالية الزمنية مقارنة بفورية الحيوي حسَّاسِين جدا تجاه غير الضروري، تجاه فراغ الصيرورة التي تفقد جوهرها: ديمومة بلا محتوى حيوي. أن نحيا فيما هو مباشر وفوري، يجمع الحياة مع الزمن في وحدة متبدلة، نستسلم إليها مع المؤثر الأصلي للسذاجة. لكن حين ينطبق الانتباه، بوصفه ثمرة اللامساواة الداخلية، على مرور الزمن، ويصبح غريبا عما يختلج داخل الصيرورة، إذاك نجد أنفسنا في فراغ زمني لا يستطيع أن يمنح سوى إيحاء فارغ. الملل: أن تكون سجين زمن هامد، منعتق من الحياة، بل إنه يغادرها ليبتكر استقلالية مؤسفة. ما الذي يتبقى إذن؟ فراغ الإنسان وفراغ الزمن: من تزاوج هذين العدمين يولد الملل؛ بوصفه جنازة الزمن في الوعي المنفصل عن الحياة. نريد أن نحيا، لكن لا يمكن «أن نحيا» إلا داخل الزمن؛ نأمل الغوص في المباشر، بيد أننا لا نستطيع أن نجف إلا في الهواء النقي لصيرورة عبثية. ما العمل في مواجهة السأم؟ من هو هذا العدو الذي لا بد من هزيمته، أو على الأقل نسيانه؟ إنه الزمن طبعا؛ ولا شيء غيره. سنعرف نحن أنفسنا، لو استخلصنا الدرس من هذه النتائج الأخيرة. غير أن السأم يجدد نفسه بالتحايل على هذه النتائج: يبحث في المباشر عما لا يمكن إيجاده إلا فيما هو متسامٍ.

عبارة «قتل الوقت» تعني ببساطة: لا وجود للزمن، لأن السأم يجعله يتنامى، يتعدد إلى ما لا نهاية أمام فقر المباشر. «نقتل» الوقت

لجعله يتأقلم في قالب الوجود بقوة، حتى لا يتملك امتياز الموجود.

كل حل في مواجهة الملل إنما هو تنازل للحياة التي تترنح أسسها في التضخم الزمني. لا يمكن للوجود أن يكون محتملا إلا في إطار التوازن بين الحياة والزمن. تُشْتقُّ المواقف المحددة من السخط الكامن في هذه الثنائية، وها هو الإنسان في مواجهة شراسة الزمن، ضحية إمبراطوريته؛ ماذا يمكن أن يقتل إن كانت الحياة حاضرة فقط في عبودية الندم؟

أريد أحيانا أن أكون وحيدا، لدرجة أن الموتى منزعجون من كثرة التشويش والضجيج في المقابر يغادرونها مشتهين هدوئي، يطلبون مني بكل تواضع أن استضيفهم في قلبي. وحين ينزلون عبر المدارج الخفية نحو الأعماق الساكنة، تنتزع منهم صحارى الصمت تنهيدة توقظ الفراعنة من ملاذهم المثالي. هكذا سوف تأتي المومياوات هاجرة ظلمة الأهرام لتواصل نومها في مقابر أكثر أمانا وأشد سكونا.

الحياة: الذريعة الأسمى لمن هو أقرب إلى البعد من الله، عوض القرب منه.

إن لم تكن النساء بائسات في ذواتهن، وليس بسببنا، فما هي التضحيات التي لا يمكننا القيام بها؟ كم من إهانات وحالات ضعف! لم نعد منذ مدة نخترع شهوات أو لذات إلا بالنكهات النافذة للشقاء. كما لو أن الصدفة وحدها تجعل النساء حزينات، أما

نحن فنترصد فرصة إنجاز تمرين للتذوق، متلهفين لظلال أنثوية، مشردين ليليين بسبب الحب، ومتطفلين نفكر في الإيروس. المرأة هي الفردوس باعتباره ليلا. هكذا تبدو لنا في عطشنا للعتمة الحريرية، والمؤلمة. فالشغف بالغسق يموقعها في قلب تهيجاتنا؛ باعتبارها كائنا مجهولا يتبدل حسب رغبتنا في الظلال.

أن نموت خلال الآلام الكبرى - تلك الآلام المتوحشة - فذلك لا يعني أي شيء: أن نحيا تلك هي المشكلة الكبرى؛ البحث عن سر هذه الاستحالة المُعَذِّبة، فك شيفرات آلية التنفس والأمل. هكذا يمكن تفسير لماذا تألّم الإصلاحيون - وقد اشتغلوا إلى درجة الوسواس بفكرة إضفاء قوالب أخرى على الحياة - أبعد من حدود التعذُّب! بدا لهم الموت بديهية طافحة بالتفاهة. ثم، ألا يظهر الموت، من خلال مركز المرض، حتميةً؛ حيث إن تحويله إلى إشكالية يصبح أمرا شبه مضحكا؟ يكفي أن نتألم، أن نتألم طويلا، لندرك أن كل شيء في هذا العالم بديهي، باستثناء الحياة. متحررة من فخاخها، قاموا بكل ما في الإمكان لوضعها في نظام آخر، منحها مجرى آخر، أو لإعادة إنتاجها مرة أخرى. لقد اختار الإصلاحيون الاتجاهات الأولى؛ أما الأخيرة فهي الحل المتطرف لعزلة قصوى.

الخوف من الموت هو الثمرة المريضة لأفجر المعاناة. بقدر ما تنضج الآلام وتحتد، فتبعدنا عن الحياة أكثر، يتركز الخوف في قلب الأفق، بشكل لا يفصلنا معه عن الموت شيء غير قربه منا. لكل هذا لا يمكن للآلام أن تولد بالنسبة إلى الإنسان، الذي فصله المباشر

اليومي عن اللانهائي، إلا على شفا الهوة.

لو وضع الله جبينه على كتفي، سيكون ذلك مناسبا لنا نحن الاثنين، وحيدَيْن بلا عزاء.

لا بد لكل سيرة ذاتية أن تخاطب الله وليس الناس. الطبيعة ذاتها تسلم شهادة وفاة حين نتحدث عن أنفسنا للبشر.

يكمن البؤس في أن لا تكون بائسا جدا.

أن لا تكون قادرا على الحياة إلا فوق الذهن أو تحته، في الانتشاء أو الغباوة! وكما أن ربيع الانتشاء يموت في لحظة بصاعقة، فالغسق المعتم للغباء لا ينتهي أبدا. حالات القشعريرة الطويلة لمجنون ثمل، والبقايا والقاذورات تعطل سير الدورة الدموية، وحيوانات خطيرة تلوث الأفكار، أبالسة تنقل الأفكار في دماغ مهجور... أي عدو هذا الذي انتصر على الروح؟ ومن أي جوهر أسود يتغذى الليل؟

الرعب الذي يتمدد عند أقدام الغباء، يرفع الضبابية من خدر ذهني أصم، وتخرس الحياة، مستسلمة في الموكب الجنائزي لدفن الذهن. هو حلم أسود ورتيب، لن يكون بإمكان الإقامات الأبدية احتواء اتساعه الغسقي.

البلاهة رعب ليس بإمكانها أن تفكر في نفسها، فهي عَدَمٌ مادي. حين يفقد التفكير الذي يفصلك عن ذاتك قوته، وعندما تنتفي المسافة بينك وبين رعبك الخاص، يفرض عليك الاستبطان النبيه النظرة الأخوية نحو البُلهاء. أي مرض أشد هولا من الرعب؟

في كل يوم، نحن أشد عزلة. كم هو صعب وهَشٌّ اليوم الأخير!

حين راكمنا بتعب شديد وانضباط عزلة هائلة، منعتنا مشاعر التملُّك من الموت بقلب نقي. ياه، كم من ثروة بدون ورثة!

التلاشي هو الكلمة المناسبة للأسباب الأخيرة لتكون طيبا.

مرميا بجانب فراغك الخاص، تشاهد شِعْرا مسلوخا، بدون القدرة على أن تستفيق من هذا الحزن البارد؛ فالفراغ الداخلي يجعلك تكتشف اللاتحديد النهائي كشكل من أشكال الكفارة.

وأنت في قلب النور فكِّر في الليل، كي تفر الروح إليه في قلب الظهيرة... لا تنتصر الشمس على الظلمة، غير أنها تُكبّر إلى درجة المعاناة الجاذبية الغامضة للروح. لو أن الأزرق السماوي يصلح لنا سريرا، والشمس وسادة فسوف يستدعي إغماء شهواني الليل ليشبع حاجته الهائلة من التعب.

هكذا يقودنا إغماء الأيام والليالي نحو لامنتهى سالب.

العزلة منجز تحول للذات نفسها. لكن يحدث ونحن نتحدث إلى أنفسنا فقط، أن كل ما نملكه من أشياء ممتازة تصبح مستقلة عن هويتنا العادية. وهكذا سيبدو لنا الأمر كما لو أننا نتحدث مع شخص آخر. من هنا يأتي الإحساس بأننا لسنا وحدنا في كل مرة نكون فيها في أشد مراتب العزلة.

لو حدث ورفضت الشمس أن تهب العالم الضوء، سيكون آخر يوم لبريقها شبيها بتكشيرة أبله.

لا ننزعج إلا من أنفسنا حين نموت في العالم، ونفني ما تبقى لنا من حياة في نوستالجيا غير تامة. يكون الله أقرب، مقارنة بأي منفى للأنا يجبرنا على البحث عنا في عوالم أخرى، وأن لا نكون قريبين من أنفسنا، وكأننا فوق بروج مشيدة.

يعتبر الأفراد بمثابة أعضاء للألم. بدونهم، كانت تهييئات الطبيعة للمعاناة ستُحوِّل العالم إلى فوضى. لقد أنقذ التفرد، من خلال تحديد نفسه كشكل أصيل للكفارة، التوازن وقوانين الطبيعة. حين يتوقف الألم عن البقاء هو نفسه، ستظهر الكائنات لتخليص نفسها من عذابات الافتراضية. كل فعل هو تجويد للألم.

بين امرأة وأخرى تشغل وظيفة خادمة منزل: تميُّز البؤس. اللطافة المُحْزنة، منبع افتتان لا محدود.

الانتظار - باعتباره إيقاعا متصاعدا - يجدد دينامية الحياة. يوقفه الحكماء - من خلال تمرين التجلي - دون أن ينزعوا عنه مفاجآت المستقبل. والانفصال النهائي للأشياء لن يسمح إلا بمزيد انفعالات أبله.

لن نعود إثر لحظات الشدة إلى ما كنا عليه بوصفنا أشخاصا، بل مجرد أشياء. للاقتراب من المطلق نتائج أشد خطورة من التسمم. الحالة التي تنتج عن السُّكْر رائقة وممتعة مقارنة بالشحوب الذي ينتج عن حالات الضعف من أجل الله. المَنْفذ النهائي يحدث شعورا بالرعب لعدم القدرة على فهم أي شيء، ولن ندخل في المادة إلا بعد

الانتشاء. من ذا الذي يمتلك الشجاعة لتحديد تلك اللحظات التي ينظر فيها القديسون نحو الأعلى نحو البلهاء؟

لقد منعت اهتمامات علم اللاهوت الإنسان من معرفة نفسه. عندما نسقط على الله كل ما لا يشكل طبيعته، فهو يؤكد جيدا حجم كارثة التفكيك التي وصل إليها، لو قصر منذ البداية منفعته وتطفله على نفسه فقط. وبشكل معارض للنعوت السماوية، يتم اختزال الإنسان في حجم دودة متناهية الصغر. وعليه، إلى أين أوصلَنا علم النفس ومعرفة الذات؟ فلنحول أنفسنا إلى دود؛ دود لم يعد في حاجة للبحث عن جثث...

الحماقة وجع غير مؤلم للذكاء. وبانتمائها إلى الطبيعة، فليس لها أي تاريخ. الأغبياء لا يمكن تصنيفهم مرضى، لأن الأبدية ملك يمينهم.

من الممكن أن نصنع الأيقونة الأكثر صدقا للعالم بـ «التماعات» أبله - لو استطاع التغلب على شعور تعفن الدم واستطاع، أحيانا، أن يتوفر على قدر من الوعي بالتدفق الضئيل جدا لذكائه.

صوت الدم مرثية بلا انقطاع.

الحياة تحت تأثير الموسيقى، ألا يعني ذلك شيئا آخر عدا الموت بلطافة؟ الموسيقى أو هذا المرض العضال الشبيه بالشهوة...

من ذا الذي لم يمد يد المساعدة لشخص لم يعرف أبدا قنوات الذات، ولا ذلك التأثر النادر والموجع عندما يشكرونك جراء

مساندة أحدهم وهو يموت، لتأكيد نهايته وفكرة خاتمته، وإعفائه من ابتذال التشجيعات والآمال. لن نستطيع تخيُّل عدد أولئك الذين ينتظرون أن نخلصهم من السعادة...

هناك نوعان من الفلاسفة: أولئك الذين يتأملون في الأفكار، وأولئك الذين يتأملون في أنفسهم. الفرق في قياس البؤس...

بالنسبة إلى الفلسفة الموضوعية، وحدها الأفكار تمتلك سيرة؛ فبالنسبة إلى الفيلسوف الذاتي، تحتوي السيرة الذاتية، وحدها فقط، على أفكار. مُقدَّر لنا أن نعيش جنبا إلى جنب الأصناف، أو ذواتنا [في حد ذاتها]. وفي آخر الأمر، ليست الفلسفة سوى التأمل الشعري للبؤس.

مهما كانت مطالبنا، فلا يمكننا في الأساس أن نطلب من الحياة سوى أن تسمح لنا أن نكون لوحدنا. سنهبها عندئذ فرصة أن تظهر كريمة بل ومسرفة أيضا.

تروم الموسيقى أن تسلينا بسبب قطعنا مع الطبيعة، ودرجة ضعفنا نحوها تشير إلى المسافة التي تبعدنا عن الأصالة. وهكذا، تتعافى الروح من استقلاليتها في الإبداع الموسيقي.

رهافة فقر الدم تجعلنا قابلين للنفاذ إلى عالم آخر، وفي هذه الأحزان نسقط عموديا إلى السماء.

حساسية الزمن شكل ينشره الخوف.

حين نستطيع عدم التفكير في أي شيء، نفهم جيدا الحاضر

المطلق للبلهاء، مثل مشاعر الفراغ التي تُقَرِّب أحيانا صوفية الغباء، مع فارق أنه في هذا الفراغ اللامنتهي للتصوف، يتدافع امتداد سري نحو التعالي، حماس عمودي يختلج وحده؛ بينما الفراغ الأفقي للبلهاء امتداد محايد حيث ينزلق الرعب بهدوء. لا شيء يُموِّج الصحراء الرتيبة للغباء، لا لون يُنَشِّط اللحظة الأبدية لهذه الآفاق الميتة.

إمكانية أن تكون مبتهجا بين الناس، في الوقت الذي تزعج فيه حتى نظرة عصفور، لهو سرّ من الأسرار العجيبة للحزن، كل شيء جليدي، وأنت تضيّع ابتساماتك، ولا ذكرى تأخذك إلى ذاك الذي كنت سابقا، فتخترع لك ماض بكل مرح؛ فالدم يرفض نفحات الحب، والعواطف تلقي بشرارات ثلجية على عينيك المطفأتين.

هلاك هو ذاك الحزن الذي لا يعرف كيف يضحك، حزن بلا قناع يُخلِّف وراءه الوباء، ودونها أدنى شك، بدون الضحك، ضحك الحَزانَى، كان يجب على المجتمع معاقبة الحزن منذ زمن بعيد. حتى تقطيبات الوجه أثناء الاحتضار ما هي إلا إغراءات ضحك مجهضة، لكنها تخون الطبيعة المبهمة. هكذا نفسر لماذا تترك فينا إسرافات من هذا النوع فراغا أشد مرارة من الثمالة أو ليلة حب. عتبة الانتحار؛ باعتباره قشعريرة تتبع قهقهة متهورة، بلا قياس، وبلا رحمة. لا شيء يقلل من قيمة الحيوية أكثر من البهجة، حين لا نمتلك الموهبة لذلك ولا العادة. البهجة أمام التعب الناعم للحزن، شبيهة بألعاب قوى مرهِقة.

الحزن أيضا مهنة؛ فليس من السهل التعود على أن نكون وحيدين، وأن نفرض على أنفسنا كل يوم الهجر، أن نُخضِع أمواج المرارة لعمل داخلي. يبدو أن الحاجة لاعتماد أسلوب في البؤس، ونظام في الحزن قد انعدم عند الشعراء؛ إذ ما معنى أن تكون شاعرا؟ لا يجب أن تكون هناك مسافة بينك وبين أحزانك، أن تكون متماهيا مع بؤسك الخاص.

حتى في هذه الأشياء، فإن هاجس التربية الشخصية، يخون بقايا فلسفة في روح ممسوسة بالشعر. يرتب الاعتقاد الخرافي النظري كل شيء، بما في ذلك الحزن. يشبه موت فيلسوف انهيار هندسة، بينما الشاعر الذي يحمل قبره في الحياة، مات قبل أن يموت. إن نواة الشعر خاتمة استباقية، ولا صوت للربابة إلا قرب قلب مكلوم. لا شيء يجعلك تنزلق بسرعة في القبر إلا الإيقاع والقافية، فالأبيات الشعرية لم تفعل شيئا آخر سوى تشييد شواهد قبور لظمأى الليل.

يتجاوز طيف امرأة مرحة في فظاظته الفظاظة نفسها. غريب؛ فكل ما من شأنه أن يجعلنا أقل غربة في العالم، إنما يزيد من توسيع الهوة بيننا وبين العالم.

أليس العالم غريبا في حد ذاته؟

لطالما كنا وحيدين تجاه أنفسنا، وليس تجاه أي أحد آخر.

يفكر الفيلسوف في السماوي، في حين يفكر المؤمن في الله. يركز الأول على الجوهر، في حين يهتم الآخر بالشخص. إنما السماوي هو

الأقنوم العبثي واللاشخصي لله. والإيمان، بما أنه لحظة فورية سامية، يستمد حيويته من خراب الجوهر. وما الفلسفة إلا إلماعة وجودية، تماما مثل السماوي الذي هو مظهر ضمني لله.

لا تتحدث عن العزلة إن لم تكن تعرف كيف يترنح الله... لا تتحدث، كذلك، عن التجديف إن لم تسمع الله يتحدث داخلك.

الحياة هي ما كان يجب أن أكونه لو لم يتم اختزالي في عبودية من خلال إغراء العدم.

تموت الأصداء المبهمة للحظة في الروح حين تنفذ الحياة - مفاجأة اللامبالاة الأولى - من خلال صمت العدم.

الله هو المحاولة الأخيرة لإشباع رغبتنا في النوم... فكلما أصبح لتعبنا أجنحة صار لنا عشا.

يصيب انفصال العالم عبر الموسيقى الأشياءَ بضعف عارم يحولها إلى أشباح، ولا شيء إطلاقا يمر بقربها، وتتوقف العيون عن خدمة الكائنات. ما الذي يمكن مشاهدته عندما يحدث كل شيء بعيدا؟ الحزن بما هو نقص بصري للإدارك...

كل لحظة هي حفرة غير عميقة كفاية، حتى إنه لا مندوحة لنا من القفز عليها حتى يُدَق العنق.

نحن لا نغار من الله ولكن من عزلته. ففي مواجهة اليأس المحنط الذي يمثله، ليس إلانسان سوى مومياء لعوب.

الحياء هو السلاح الذي منحتنا إياه الطبيعة للدفاع عن عزلتنا.

حين نعتقد أننا أقوياء أكثر من أي وقت مضى، نجد أنفسنا فجأة عند أقدام الله. ولا خلود يمكن أن يشفي من هكذا سقطة. لكن، ما العمل إن كانت جراح الحياة عيون مرفوعة نحو الخالق، وأفواه مفتوحة تطلب غذاءً من المطلق؟

تنقذنا السهرات المذعورة - رغما عنا - من الاعتقاد الخرافي للكائن، وحين نرهق حماسنا، نغذي أنفسنا بنسائم الصحراء السماوية. يغرز وهن العزيمة الله مثل مشنقة وسط لا يقنينا... المطلق مرحلة غسقية للعزيمة، حالة من جوع منهكة.

لا ينفصل حب الجمال عن شعور الموت؛ لأن كل ما ينشِّط الإحساس بالقشعريرة يرفعنا إلى درجة الامتلاء بالنهاية، والذي ما هو في حقيقته سوى الرغبة المحتدمة للبقاء قيد حياة التأثر، يقترح الجمال أيقونة أبدية مبتذلة. البندقية أو مساءات الغروب الباريسية يدعوان إلى خدر نفسي معطر؛ حيث تذوب الأبدية في الزمن.

الإيروس احتضار غير مكتمل، لهذا السبب يمكن أن نعشق امرأة لا تهمس بأصوات الموت، ولا تساعد على أن لا نكون أبدا...

في توسطه بيننا وبين الأشياء، أبعدنا الحب عن طبيعتنا، متحملا بهذا الشكل مسؤولية تخلفنا في المعرفة. ليس الحب مدينا بأي شيء لروح الشقاء! من الممكن جدا أنه أحد إنجازاته.

بَيْد أننا نلاحظ أن النساء لم يدخلن التاريخ إلا بالقدْر الذي

جعلن فيه الرجال أشد عزلة.

حجاب الشِّعر الذي يغطي الأرض، كيفما كان الحال، إنما يصدر عن الخريف الأبدي للخالق وعن سماء مازالت فتية جدا لترج نجومها. الفصل الذي توقف عنده يُظهر جيدا أنه ليس فجرا، بل غسقا، ونحن لا نقترب منه إلا من خلال الظل. أما الله فهو خريف مطلق، خاتمة أولية.

الربيع - شأنه شأن كل بداية - هو نقص في الأبدية. والناس الذين يموتون في الربيع هم الجسور الوحيدة الملقاة في اتجاه المطلق. وحين يزهر كل شيء، يصبح البشر شهوانيين وانعزاليين، لإنقاذ المتعة الميتافيزيقية للربيع.

في البدء كان الغسق.

في عالم خال من المالنخوليا، لا بد أن تبصق العنادل وتفتح الزنابقُ مواخير.

تُنعش البهجة شأنها شأن الفرح، لكن واحدة تنعش الروح والأخرى المعنى. هل هناك من تحدث عن البهجة في التصوف؟ هل حدث أن رأينا يوما قديسا مبتهجا؟ في حين أن الفرح يجلب الانتشاء في ارتياح يجاور السماء.

لا يمكن أن نكون مبتهجين إلا بين الناس: وفي المقابل، لا نعرف الفرح إلا بمفردنا. نكون مبتهجين برفقة أحد ما؛ وحين لا يكون أحد، نكون قريبين جدا من مرتفعات الفرح.

ليس هناك مرض لا يمكن شفاؤه من خلال دمعة شرعت في الغناء...

الزوبعة القاتلة التي تجمع الحياة بالموت فيها وراء الزمن والأبدية... لن نستطيع اكتشاف نواحي هذا السر الكائن خارج الزمن والأبدية، غير أن الروح ترتفع في شعلات نهائية نحو فتحة ضوئية مشتعلة. نموت ونحيا في أعراس صوفية مع العزلة... أي شيطان مهما كان هذا الذي يسحبك من كل شيء نحو كل شيء؛ حيث الحياة والموت يشيدان قباب تنهيدة؟ ومنذ الآن، وعبر النشوة، ستغدو حالة لوالب العالم أشد خطورة؛ بحيث إنها تترك اللاشيء وسماوات أخرى في الفضاء الذي يأوي العزلة، فضاء نقي جدا إلى درجة أن العدم يلطخه. أين، أين؟ لكن هل تشعر بنسمة شبيهة بحلم براءة الزبد؟ ألا تتنفس الفردوس المطروق بيوتوبيا زهرة؟

هكذا يجب أن تكون ذكرى العدم في وردة ذبلت في الله.

إلهي، هل ولدت منتهيا فيك، فيك أنت يا منتهى الكمال. كم ضحيت أحيانا بحيوات كثيرة من أجلك، كما لو كنت نافورة ماء في بؤسك الهائل. هل أنا جثة فيك أم بركان؟ وأنت نفسك هل تعرفه ذاك المهمل؟ قشعريرة الخالق [بمفهوم أفلاطون] هذه حين تطلب النجدة كي لا تموت الحياة في لا منتهاها... أبحث عن الكوكب الأبعد عن الأرض كي أصنع فيه مهدا أو نعشا، كي أولد مني وأموت فيَّ.

4

ليس بيد الوقت أو الأبدية أن يخبرانا بأي شيء، حينما يبلغ الانجذاب نحو العدمية كثافة الإيروس. الآن أو إلى الأبد، عنصران نستطيع بهما أن نتعامل في العالم، أن نصنع نقاطا مرجعية؛ بل إنهما عنصرا تعاقدات بين الناس. تبدو لنا الأبدية ملكا نريد حيازته، والزمن عيب نقدم اعتذاراتنا بسببه في جميع الظروف. ما كل هذا بالنسبة إلى من يعتبره منذ الغياب القاسي جدا، فاتحا عينيه على الكمال؟ هل سيرى في السحر الصافي للاشيء، في هذا المشهد الفارغ بشكل مَرَضي، لطخة تبلغ اللامنتهي العذري؟

يعتبر كل من الزمن والأبدية شكلا انتمائنا أو عدم انتمائنا للعالم، لكنهما ليسا تعبيرا عن التخلي النهائي، الذي سيصبح موسيقى بلا أصوات، أمنية بلا رغبة، حياة بلا تنفس، وموتا دون انطفاء.

في الحدود القصوى لضعف الكائن، كلمات من قبيل: «الآن»، و«هنا»، و«هناك»، و«أبدا»، و«دائما» تفقد كل معانيها؛ فأين يمكن

العثور على موضع أو لحظة، حين لا نحتفظ من العالم ولو بذكراه؟

هذا «اللامكان» الشهواني، لكن بشهوة فارغة المحتوى، ونشوة شكلية للاحقيقة. تصبح الشفافية كينونتنا، ولن تكون الزهرة التي يفكر فيها ملاك أكثر هشاشة ولا أكثر تبخرا من التحليق نحو الكمال الانخطافي للاكائن.

الأبدية فرصة الأنفة بالنسبة إلى البشر، شكل متكلف يكتفي البشر تحت غطائه بتذوق عابرٍ لـ «اللاحياة». ويتضامنون مع أشباحهم الذاتية ليحبوا هذا الزمن الخالد الذي هو الحياة. لكن كيف يتميز هذا الأخير عن الأبدية؟ إنه يتميز بما نحياه فيه، لأننا لا يمكن أن نتنفس إلا بالثمالة في صيرورة اللامنتهي، بينما الأبدية هي وضوح هذه الصيرورة.

حين نرفع رؤوسنا مستائين في قلب مجرى الأحداث، ونتمرد ضد ثمالة الكائن، تدفع بنا محاولة الإفلات إلى إنكار الزمن. غير أن الأبدية تجبرنا وقتها على إحداث مقارنة دائمة مع الزمنية، وهو ما لا يحدث مع التعليق القطعي الذي تحدثه تجربة العدم، الذي هو حياد تام مع الزمن أكثر منه مع الأبدية، حياد مع أي شيء مهما كان.

يمكن للأبدية أن تكون المسيرة النهائية للزمن، بينما العدم هو التسامي خلف الأبدية.

أي غرابة تلك التي فهمنا من خلالها أن الكائنات ظلال، وأن كل شيء بلا جدوى، في ابتعادنا عن العالم للبحث عن المعنى، المعنى

الوحيد، في تأملنا للاشيء، في حين كان من الممكن أن نبقى مع الظلال واللاشيء اليومي. من أين ولدت تلك الحاجة لمواجهة العدم العاطفي مع العدم السامي؟

تجعلني إمكانية وجود الفردوس أتجرع كل مرارات العالم... وحتى بدون مثل هذه الفرضية متناهية الكمال، أليس من الرعب الموت في منتصف الطريق، وترك العديد من الأحزان غير مكتملة والموتُ انفعاليا بالبؤس؟ إن أبقاك حزن واحد على قيد الحياة، فهذا يعني أنك تسولت الخلاص من ليل قاس دون جدوى.

الحديث عن الأبدية أو الافتخار بها يفترض حيوية عضو الزمن، رد اعتبار خفي للزمن الحاضر من خلال إنكاره. أن تعرف جيدا كيف تكون في الأبدية يعني قياس المسافة بوضوح تجاهها، وأن لا تكون تماما داخلها. يسير الوعي إلى غيابه دائما من خلال بعد شمولي حيوي، ومن خلال وجود حاضر.

لن يكون من الممكن هزيمة حيوية وسيلة الزمن إلا من خلال العيش بلا واسطة، وببساطة في الأبدية. لا تزدهي القداسة - وهي أبدية مباشرة - بالطريق المكتمل خارج المجرى المباشر للأشياء؛ لأنها أبدية. إضافة إلى أنها تبوح باعترافاتها للزمن، لتخفيف كثافة جوهرها الخصوصي: تجد اعترافات القديسيين منبعها في هذا العبء الإيجابي للأبدية. تسقط كتبهم في الزمن، كما تسقط النجوم في القبة الزرقاء. مبالغة في الأبدية من جميع الجهات.

يولد فقدان البساطة وعيا ساخرا، لن نستطيع خنقه حتى أثناء قربنا من الله. نتمرغ في هستيريا ناعمة، ونحن نقول للجميع إننا نحيا... والجميع يصدق ذلك.

تشبه الصيرورة احتضارا دون نهاية؛ ذلك أن السّامي ليس صنفا من أصناف الزمن.

الصحاري هي حدائق الله، يُنزِّه فيها تعبه منذ الأزل، وهناك تنتحب حيويتنا المُعَذَّبةُ. العزلة هي الشيء المشترك الذي يجمعنا به؛ بل وبالشيطان أيضا. منذ البدء، هما يتنافسان في فن العزلة؛ أما نحن فقد وصلنا متأخرين، متأخرين جدا إلى هذا التنافس الحتمي. سنجد أنفسنا وحيدين في عزلتنا حين ينسحبان من الحلبة، ولن تجد الصحاري المكان الكافي لقفزة الموت.

الفظاظة وسيلة للتطهر مساوية للانتشاء، بشرط أن تكون هناك معاناة. الأهوال بين القاذورات، والخساسة، ورعب الضواحي، كل هذا يصبح منبعا للتصوف، ولن نكون أقرب إلى السماء إلا من خلال النظر ببرودة أعصاب أيقونة السيدة العذراء. وإذا كان التجديف فعلا دينيا، فإن الطيبة فعل أخلاقي. (نعرف جيدا أن الأخلاق ليست إلا مظهرا مدنيا لميلنا نحو المطلق!)

غليان الإنتانات الداخلية، وتصاعد أبخرة نحو زرقة السماء. ابصق في اتجاه الكواكب إن شعرت بالحاجة إلى ذلك، ستكون وقتها أقرب إلى عظمتها من تأملها في راحة بال وصفاء نفسي. فالبعرة

تعكس السماء أفضل من ماء شفاف. وللأعين المضطربة بريق زرقة السماء حين يلطخ الأزرق الرتيب للبراءة.

ما اصطلح على تسميته في العادة بالكمال، يقدم لنا مشهدا شاحبا يؤكد افتقاده لقاذورات الفظاظة. موديلات الكمال التي يقترحها البشر فيما بينهم تخلّف انطباعا بالنقصان، بحياة غير مكتملة، وغير ناجحة. لهذا السبب تم إعفاء الملائكة من حركة المرور: فهي لم تعرف آلام التقهقر، ولا الشهوات الصوفية للتعفن. لا بد من تعديل الصورة المثالية للكمال، وعلى الأخلاق أن تمتلك امتيازات التفكك حتى لا تبقى مجرد بناء فارغ.

تتطلب الأخلاق التطهير، ولكن مما؟ ما الذي يجب إزاحته بالتحديد؟ الفظاظة طبعا، لكننا لا نستطيع إزاحتها إلا عندما نعيشها إلى نهايتها، إلى آخر إهانة قد تتسبب فيها: إذ لا يمكن الحديث عن تطهرٍ إلا بعد تجربة كل ممكنات المعاناة. لا يموت الشر إلا بعد استنفاد كل طاقته. لهذا السبب، يفترض انتصار الأخلاق التجربة الموجعة للوحل؛ فالغرق في الوحل أثقل وزنا من تطهر سطحي. أليس للتفسخ من الداخل عمق أهم من البراءة؟ لن يستحق «شخص أخلاقي» هذه التسمية إلا بفضل الصفات المشبوهة التي اكتسبها في ماضيه.

أليس الاستسلام للإغواء سقوطا في الحياة؟ فلتتركنا يا إلهي نستسلم للإغواء، وخلصنا من الخير!

على الصلاة أن تكون تدريبا يوميا على المنكر، وعلى «أبينا» أن يمزق الحجاب الذي يغطيها، حتى إذا ما واجهناها مباشرة، نحن الذين ألفنا الضياع، سيغوينا الخير.

قد تختفي الأخلاق لغياب العجيب فيها، ألا يخفي الخير سرا ما؟

كبت الأهواء، وتسكين الغرائز، وكل هذا الترقيق للروح الحديثة أَنْسَوْنا تعزيات الغضب، وأوهنوا فينا حيوية الفكرة، ومن هنا ينبع فن التجديف. لقد وصف كل من «شكسبير» والعهد القديم الناسَ، مقارنة بما نحن عليه الآن، قرودا متبجحة أو فرسانا بلا ألقاب، لا يعرفون كيف يملؤون ساحة آلامهم وأفراحهم، واستفزاز الطبيعة أو الله. إلى ها هنا أوصلتنا قرون من التربية والحماقة العالمة! كان البشر سابقا يصرخون، أما اليوم فهم يضجرون. لقد فسح الانفجار الكوني المكان للحميمية. مكابدة وموت! تلك هي عملة التميز بالنسبة إلى الإنسان الحديث. التميز معتقد خرافي لنوع فاسد. غير أن حدة الذهن تتطلب مستوى معينا من البربرية، تفقد الفكرة بدونها دعاماتها؛ حالة بركانية لا يمكن تهدئتها إلا بحالات جبن إرادية. فكرة تندفع مثل نشيد، مصحوبة بسحر الهذيان أو الحتمية، تماما كما يحدث في تأجج التجديفات – هذه اللغات المشتعلة للروح.

الحداثيون فاترون، فاترون للغاية. ألم تدق الساعة إلى الآن لتعلم الحب والكراهية، باعتبارهما علامات الطبيعة في الروح؟ التجديف هو استفزاز مشوه، كلما زادت قوته زاد ميله نحو اللاقياسي؛ وهنا

هدفه الأخير. حين ضربت الكلمات بشخص، أو بشعب، أو بطبيعة عرض الحائط، بقي الغضب مواجها السماء.

التجديف تعلق بالحياة تحت مظهر التخريب: عدمية مزيفة. فلا يمكن أن يزمجر رعد أو تشتعل صاعقة إلا من مطلق قيمة ما. يضمر «جوب» للحياة شغفا مرضيا، أمّا «الملك لير» فيستند إلى الكبرياء كما لو أنه يعتمد على سماوية ما.

كل أنبياء العهد القديم يغضبون من أجل شيء ما، من أجل الشعب أو من أجل الله. وباسم اللاشيء، يمكن البدء في تجديفات إذا انخرطنا فيه دوغمائيا: تحرر عنيد مشتعل، ومطلق بالطريقة المباشرة، وموجة تخريب قائمة على يقين ما، لا يهم إن كان مصرحا به أم لا. وخلف هذا الغيظ يختفي الإيمان أو الجبروت، لا يهم نوع غضب التجديف. مستوى الروح، ودرجة شغف الكائن، هذا كل ما في الأمر. ففي آخر الأمر، التجديف هو في حد ذاته دوغمائية غنائية.

أن تزدري كل يوم لذة الموت الشخصية، أن تتشارك مع آخرين عبء الكائن، أن يكون لك شريك في خيباتك! لقد حولت المرأة غير المفهوم إلى سلعة تجارية، وداخل الزواج صرنا نبيع أذيال العزلة؛ لقد صار التجديف سلعة. الخوف من أن تصير محبوبا ذاك هو منبع الشقاء في الحب، فشهوة العزلة تتجاوز العناقات، ليس بملء إرادتها تبتعد المرأة، غير أنها تشعر جيدا أن الوضوح يلطخ خيانة الانتشاء المتبادلة. لن تفهم [المرأة] إطلاقا كيف بإمكان رجل

أن يمارس الشقاء، وبأي طريقة يزعج حضورها كمال العزلة. ورغم ذلك عليها أن تذهب، أن تذهب. وبعد رحيلها، ندرك أي خطأ هي الحياة مع المرأة وبدونها.

لو أمكننا أن نموت عند ظل امرأة في هذا العالم، لو كان عطرها مصدر مالنخوليا من أجل سكون قلب مقتلع من الأرض.

هناك انفصالات عن العالم تجتاحك فجأة، كما النسائم القاتلة، حين يبدو الحكماء مثل سناجب بائسة، والقديسون مثل أساتذة فاشلين.

مفتاح المُلْغِز في قدرنا هو الظمأ للبؤس؛ ظمأ عميق وسري، وأكثر استمرارية من الرغبة المبتهجة بالسعادة. ولو هيمنت هذه الأخيرة، كيف نفسر، إذن، هذا الابتعاد المُدوِّخ للفردوس، كيف نفسر التراجيديا بوصفها شرطا طبيعيا للوجود؟ يبرهن كل التاريخ وبشكل بديهي أن الإنسان لم يهرب من المعاناة، بل ابتكر فخاخا كي لا ينجو من سحره. لو لم يعشق الألم، ما كان سيلتجئ لاختراع الجحيم؛ أي يوتوبيا المعاناة. وإن كان في بعض الأحيان قد فضَّل الفردوس بكثير من الاحتدام، فإنما ذلك نتيجة التهويم التخييلي، لضمانة عدم تحققه؛ هذه هي اليوتوبيا الجمالية. غير أنّ «وقائع» التّاريخ تثبت لنا في وضوح ما الذي اعتمده بجدية.

من زمن طويل، لم أعد أحيا في الموت، بل في شعريته. هكذا، نذوب في تدفق موت ونستقر فيه، حالمين، في احتضار أنيق، منتشين

بالروائح المأتمية. ذلك أن الموت مثل زيت ينضح من الفضاء اللامرئي لتخلينا عن العالم، ويهدهدنا بتأجيل مؤلم للانطفاء، ليقترح علينا أن الحياة لفظة افتراضية، وأن الصيرورة إمكانية لا نهائية للنهاية.

التألم: طريقة للبقاء نشطا دون فعل أي شيء.

وبطريقة أصح، من الممكن التساؤل عما هي اللاحياة، عوض أن نسأل عن ماهية الحياة.

تبدأ الرغبة في الموت إفرازا معتما للجهاز العضوي، وتنتهي في إغماء شعري. الإطفاء الشهواني لكل يوم هو سكون الدم؛ وهذا هو الحزن ذاته.

لا حق لنا في الضحك إلا إثر التألم من كل شيء. كيف نطأ بأقدامنا ما لم يكن معاناة؟ (معنى السخرية الكونية).

لن يجد طعم العزلة اكتماله النهائي إلا في الرغبة الملحة للموت الذي ينمو فيما وراء مقاومتنا، بينما تصبح عدم قدرتنا على الموت – كرد فعل – إعلان حياة.

كيف يمكن أن أنسى أني موجود، عندما تفلتني الرغبة الزائدة في الموت منه.

سأكتشف الحياة في امتلائها حين أشرع في التفكير ضدي، حين لا أكون موجودا في أي فكرة كانت.

نعتبر الموت في البدء حقيقة ميتافيزيقية. إثر ذلك، وبعد تذوقه، بعد الشعور بقشعريرته وثقله، يصبح إحساسا، ونبدأ وقتها بالحديث عن الخوف، والرعب، والاحتضار، وليس الموت إطلاقا. هكذا يتم العبور من الميتافيزيقي نحو النفسي.

يبدو لي النور أكثر غرابة وأشد بعدا؛ انظر إليه وارتجف. عما ذا نبحث فيه بينما الليل هو فجر أفكار؟

... لكن انظروا، انظروا إلى النور كيف يهدر ويتفتت مزقا في كل مرة ننثني فيها تحت الحزن. وحده الخراب اليومي يساعدنا على الارتفاع بالحياة إلى مرتبة الحلم.

أليست نعومة الموت شيئا آخر سوى مزيدا من اللاواقعية؟ وطعم الشعرية، والانصهار في الطيفي؟ هناك الكثير من الشهوة الموسيقية في رغبة الموت، إلى درجة أننا نريد الخلود كي لا نقطع فقط هذه الشهوة. أو الموت بشكل لا نهائي في رغبة الموت، إن نحن عثرنا على قبر نستمر فيه في تأكيد رغبتنا هذه! ذلك أنه ليس في إمكان الغسق البحري، والميلوديا الأرضية أن يعوضا النمو المنتشر، والشعر المتلاشي لفعل الموت.

ليس هناك أي مكان على الإطلاق نكون فيه مهدهدين باقتراحات الإنطفاء، أو نستطيع تذوق لحظة نهائية فيه، سوى في تلك الأسِرَّة القديمة لنزل القرى الصغيرة، أو في الجو الضبابي للشوارع.

يصير الإنسان معاصرا لنفسه من خلال الموت.

حتى لا تسأم كن قديسا أو غبيا: تحدد العطالة الأساسية للوعي الشرط البشري. السأم هو شكل من التوازن غير القار بين فراغ القلب وفراغ العالم، التوازن بين الفراغين الذي يعود إلى السكون، إن لم يكن هناك حضور سري للرغبة. الاستنارة أو البلادة – واحدة بإفراط وأخرى بتفريط - يقعان خارج الشرط البشري؛ وبالتالي خارج إصابات السأم. لكن، هل من الممكن أن نكون على يقين أن القديسيين لا يسأمون أحيانا من الله، وأن الحيوانات - ونظرتها الفارغة تكشف ذلك - لا تشعر بعدم جهلها؟

لا يستطيع الإنسان أن يجر كل حياته في السأم، رغم أنه ليس مرضا، ولكنه غياب كثافة. الفراغ الناتج عن الألم أو الذكرى المجمدة ببؤس ما، انسياب الصمت الذي لا يمكن أن نمنحه أي محتوى؛ لامعنوية الإيروس والندم على عدم الانتصار عليه؛ هذه هي الحالات التي تُكَوِّن تقهقر الوعي، وتتلو انفعالا حادا لن يمكنه بلوغها. إننا نشعر بالألم في كل مكان، لكننا نُفضِّل وجعا في مكان محدد على هذا الرعب الشاسع. المرض في حد ذاته محتوى - وجوهري - مقارنة باللامبالاة المتعاظمة والمعذبة للضجر؛ حيث نشعر أننا أفضل حالا، غير أننا نحب مرضا محددا. نأسف للمعاناة لدقتها. المرض انشغال، أما السأم فلا؛ لذلك يشبه وضعا نريد التحرر منه.

أن نكون غيابا لا يمكن البقاء خارجه؛ تلك مفارقة السأم.

وبمقارنته بالمرض فهو صحة غير محتملة، مهيجة، خير رتيب تنبع خطورته من طابعه غير المحدد، اللا نهائي. تعافٍ لا ينتهي... السأم؟ نقاهة لا دواء لها.

الحياة في معناها الإيجابي هي صنف الممكن، سقطة في المستقبل، كلما فتحنا نافذة عليه، كلما حققنا كمية من هذا الممكن. واليأس، على العكس من ذلك، إنكار للممكن؛ وبالتالي للحياة ككل. بل أكثر من ذلك، هو كثافة المطلق المتعامدة مع اللاشيء. تتحقق الحياة بامتلاء حين تظفر بامتلاء زمني. أما اليأس فيتعاظم من نفسه، وكثافته ممكن لا مستقبل له، إنكار، درب ملتهب. لكن حين يمكننا فتح نافذة لليأس، تبدو الحياة - مجتاحة من نفسها - تبعا لذلك نعمة متحررة، ودوامة من الابتسامات.

«للثعالب أوجار، وللعصافير سماء أعشاش، لكن ليس لابن الإنسان أين يضع رأسه» (لوقا، الإصحاح IX، الآية 85). اعتراف المسيح هذا - الذي يتجاوز في عزلته «غيتسيماني – Gethsémani» تجعله أقرب إليَّ من كل دلائل الحب التي أمَّنت له ثقة شبه خالدة لدى بني البشر. كلما اختلفنا عن الناس، كلما كان لنا مكان أقل في العالم، وذلك حتى يُقيم لك المنفذ نحو الإلهي حدًّا فاصلا بينك وبين العزلة. يتخذ آخر المتسولين شكل مالك مقارنة بالتشرد الأرضي للمسيح. لقد صلبه الناس ليعثروا له على مكان، كي يشدوه بشكل ما إلى الفضاء. لكنهم لم يلاحظوا أن رأسه وهي تستريح على الصليب تتجه نحو السماء؛ وعلى كل حال تميل نحو

السماء أكثر من ميلها نحو الأرض. أليس البعث دليلا على أن إلهًا، وحتى حين يموت، لا يستطيع أن يرتاح في العالم مثل أي إنسان لم يعد إنسانا؟

لقد غطت بَلاَطَةٌ أرق المسيح لمدة ثلاثة أيام. وأنا لا أستطيع أن أتخيل إلها مات ولم يشاهد موته.

وحدهم الذين ناموا في حياتهم بإمكانهم أن يروا في الموت نوما. الآخرون، الذين أصابتهم عدوى الأرق، يبقون أحياء ساهرين على رمادهم، أو على هيكلهم العظمي الساخر! حين تم تطعيم كل الألياف بالمعرفة، لا شيء يجعلنا نعتقد أننا توقفنا عن الوعي. من العادي جدا أن نموت، لكن كيف نؤمن أننا توقفنا عن المعرفة والتعرف إلى أنفسنا؟ مع اعتقادنا الجازم أننا لن نريح رأسنا أبدا في أي مكان كان...

أليست الرغبة في العزلة شيئا آخر سوى التنكر الشعري للأنانية؟

لا يمكن للعالم أن يوجد إلا بالنسبة إلى أولئك الذين لم يروه، أما الآخرون فقد فقدوا البصر في مظاهره، وجَرَحَ واقعٌ شديدُ الفقرِ عيونَهم. ليس للفضاء الذي تمنحه الأحلام آفاق محددة، بل إنه يمتد في خيلاء أمام نظرة منخفضة لا تتوقف.

كم يفقد العالم حدوده حين ينطفيء الإدراك الحسي الغسقي!

لو كنت الله، لفعلت بنفسي أي شيء آخر عدا أن أكون إنسانا.

كم كان المسيح سيكون كبيرا لو كان مبغضا للبشر!

تمثل الحياة فائضا من التكثيف، مقارنة بالمادة، كذلك هو المرض بالنسبة إلى الحياة، مع هذا الفارق الذي نجده في حضور كثافة سلبية.

حين نكون مرضى تجبرنا الطبيعة على المعرفة؛ نجد أنفسنا معرفة دون أن نرغب في ذلك. ينكشف لنا كل شيء خفية؛ إذ إن الأسرار فقدت خصوصيتها في هذا العِلم اللا إرادي؛ وأقصد بذلك المرض.

بما أنه من غير الممكن تنفس الحياة باردة، فهل سنعثر على نيران لإيقاد أرواحنا؟ تتغذى الآمال من حريق الوضوح.

سؤال في مواجهة الماضي: فيما ينفع «حدث ما؟»

العزلة إثارة رغبة أنطولوجية لكينونتنا؛ فنحن أكثر مما يجب، والعالم أقل.

الحقيقة خطأ لاجئ في الأبدية.

يجاهد الإنسان من أجل أن يكون، على الأقل، خطأ، تماما مثلما يجاهد الله من أجل أن يكون حقيقة. يتبع الاثنان اتجاها يمنح فرصا أقل وآمالا مختزلة. صحيح أن الله في اتجاه الأبدية، وهو يبحث عن نفسه منذ البدايات الأولى، بينما التشرد الإنساني بدأ منذ وقت قريب. وإذا أردنا أن نكون أكثر حِلما مع الإنسان، هل سنجد حججا لصالح الله الذي هو لاشيء أكثر من جُماع أعذارنا؟ لقد حددناه كلنا من خلال غيابات، لقد سمحنا له بالوجود في كل مرة

كان الأمر يدعو إلى ذلك، غفرنا له عدم الاكتمال إلى درجة سنوصف معها بالجُبن، وفي جميع الأحوال نحن منذورون للغرق في الخطأ. لكن ما رأيكم في إله لا يتوفر إلا على بقايا حقيقة! تأكدوا لو أنه اكتشفها لكان قد أذاعها منذ زمن طويل!

هل يمكن أن تكون لفكرة لا تدهش مريضا بالجذام علاقة بالعزلة؟ وكتاب لا يمكن إهداؤه في ذكرى «جوب»...

شأنه شأن المبالغة في الحياة، يدخُلني النقص بنفس قشعريرة اللاواقعية. ما ينقص بحرا ميتا وبحرا هائجا أيضا هو الإيقاع. وبما أنني لا أستطيع المشي مع الحياة، ومع مياهها، فلتنسحب أو لتجتاحني، لتلقي بي عند ضفة حيث كان كل شيء.

الرغبة في الابتعاد عن طبيعته، عن الركام الداخلي، الإفلات من الكائن في غطرسة صخب مُشوَّه... ذاك الذي لا يتأرجح في الامتدادات الفارغة على أمل الانتقام، والذي لا يتذوق في الفراغ غواية امتلاء آت؛ هذا هو الذي لا يعرف العذاب الإيجابي، ولا يستطيع صرف حدة ابتذال الحيوية بشكل نافع.

يحوِّل علماء النفس - الذين ينكبون على روح الآخر لأنهم هم أنفسهم لا يمتلكونها كفاية - من خلال قصورنا فقط الميل إلى اللاواقعية. لا يعرف هؤلاء العلماء كيف يمكن للغياب أن ينبثق من شعور بربري، أو كيف يمتزج الضعف بالقوة في مشهد لا واقعية الحياة. لأنه، في الحقيقة، ليس هناك من داعٍ للحديث عن دم فاقد

للإيقاع، مُركَّب في الشرايين لذكرى بحر بلا أمواج، أو بحر ممتلىء بالأمواج؟

لم يحدث أبدا أن بدت لي هذه الحياة جديرة أن تُعاش؛ أحيانا تستحق الأفضل، وأحيانا أخرى الأقل بكثير. والشيء المؤكد أنها في الحالتين غير محتملة. الانتحار حبا في الحياة ليس إلا أمرا عاديا؛ بل وطبيعيا جدا... والفردوس حالة انتحار مؤبد مثل الجحيم؛ بينهما تتموقع حالة اللا-انتحار المسماة وجودا ...

لو منحتني السماء إِذْنَ التحدث مع شخص من قرن آخر، سأختار «لازار – Lazare» المبعوث من الموت. ومن المؤكد سوف يساعدني لفهم الخوف الاستعادي، الإحساس أنك كنت ميتا، وأنك ولدت من الموت، ثم تمضي نحو شأن آخر... سيقول «لازار» كيف يمكن أن نموت حين نفقد قدرتنا على الذهاب إلى الموت؟ كيف يمكن الإفلات من هذا البعث اللامنتهي...

تبدو لي فكرة أن الحياة ليست شيئا آخر سوى إزهارا شيطانيا، تؤدي في جهة ما، نحو هدف خارجي من خلال عبثية مسارها، تبدو لي الفكرة مضنية جدا، ومن الوارد أن إثباتها سوف يجرحني بشكل نهائي. ولذلك سوف ينقض على رعبنا المتحجر كل ما هو غير مكتمل، وكل الكسل الذي تجد له الكلبية أعذارا. لن نكون فاشلين إلا إذا كان للحياة معنى. ففي هذه الحالة فقط يمثل ما لم ننجزه سقطة أو إثما. في عالم ليس له نهاية خارجية، عالم يطمح نحو شيء ما، نحن مضطرون أن نعيش إلى غاية أقصى حدودنا.

لو وُجد إنسان يثبت لي وجود معنى مطلقا، يُبَيِّن لي الأخلاق الملازمة للصيرورة؛ سأفقد روحي جرَّاء الندم واليأس. حين أتلفنا حيواتنا بالتواسي في الممر غير الصحيح، في خداعات السيرورة، حين تأملنا بشغف من المظاهر؛ آنذاك جعلنا المطلق مرضى. طبعا، لا مراء في أنه لا يمكن للحياة أن يكون لها معنى، وإن حدث وكان لها، فعليها أن تخفيه إن كانت تريد الاستمرار في الاحتفاظ بنا.

ذاك الذي يعشق الحرية، ولو بشكل قليل، لن ينحني بإرادته تحت نيْر أي معنى؛ حتى ولو كان معنى العالم.

نوستالجيا البحر؛ استهلال للاستبطان وتتمة له.

كل وضوح هو وعي بضياع ما.

طريقتنا في تصور الأشياء متوقفة على عدة شروط خارجية، إلى درجة أنه بإمكاننا كتابة جغرافيا كل فكرة. ننطلق من الفروقات اللونية للسماء لننتهي عند الوضعية التي عليها كرسي ما. لضواحي الفكرة دلاتها أيضا.

يبدو أن «باسكال» - وخاصة «نيتشه» - مراسلان إخباريان للأبدية.

حين غطسنا بلا رحمة في أعماق الطبيعة، ونهبناها من كل ثرواتها بنظرات تحت أرضية، افتخرنا بأنفسنا باعتداد، في هدهدة اللاشيء. لكن ما الذي يوقفنا فجأة في هذا الفيض الميتافيزيقي، وكأننا مصعوقين بالكائن؟ المقاومات السرية للدم، أم الأهواء التي تجتاح

المعرفة، أم هي الغرائز التي تحاصر الروح؟ شيء ما في داخلنا يرفض اللاشيء، حين يُبيِّن لنا الذهن أن كل شيء هو [في الحقيقة] لا شيء. ألا يمكن لهذا الشيء أن يكون الكل؟ ممكن جدا، طالما نحيا من خلاله.

يبدو أن القديسيين، المجانين والمنتحرين، انتصروا على هذا الشيء، الجوهر غير القابل للتفسير، والمخفي الذي يحجز الذهن في آخر غطرسته. أما نحن الذين فشلنا في المطلق، فالحياة لنا بالمرصاد، بينما نعتقد أننا بمنأى عنها. وحين تأتي لملاقاتنا، في اللحظة التي نكون قد نسيناها، نكتشف في همساتها أن المطلق ليس سوى اللاشيء؛ باعتباره المرحلة الأخيرة من المعرفة. نتراجع وقتها... فالحياة بالنسبة إلى الذهن ليست سوى حركة انسحاب.

بما أن نوستالجيا اللامتناهي شاسعة جدا، فهي تأخذ شكلها ومحيطها داخل الرغبة في الموت. نبحث عن الدقة في الخدر الحالك أو الغيبوبة الشعرية. وعلى كل حال فإن الموت يُحدث شيئا من النظام في اللامتناهي. أليس ذاك اتجاهه الوحيد؟

ألا يمكن أن نواجه الانتحار إلا بهذا النوع من الحجاج: فليس من الطبيعي وضع نهاية للحياة قبل أن نفسر إلى أي مدى يمكننا الذهاب، أي نبرهن عما يمكن أن نصل إليه. ورغم أن المنتحرين يؤمنون بنضجهم، فهم يستهلكون فعلا ما قبل أن ينضج، قبل أن يكونوا ناضجين من أجل دمار مرغوب فيه. نفهم جيدا أن يتمنى شخص ما إنهاء حياته، لكن لم لا يختار القمة، اللحظة المناسبة في

مسار نموه؟ المنتحرون مرعبون بسبب أنهم لم يوجدوا في الوقت المناسب، يقطعون الطريق على مصير ما عوض تتويجه. علينا أن نثقف نهاياتنا. يعتبر الانتحار بالنسبة إلى القدامى بمثابة بيداغوجيا، تتبرعم النهاية فيهم وتزهر. وحين ينطفئون بملء إرادتهم، يكون الموت نهاية بلا غسق.

ما ينقص الإنسان الحديث هو الثقافة الحميمية للانتحار، جمالية النهاية. لا أحد يموت كما ينبغي وكل شيء ينتهي بالصدفة: غير مؤهلين للانتحار، أغبياء الموت البائسين. لو عرفوا كيف ينتهون في الوقت المناسب، لن ينقبض القلب لسماع «فعل يائس»، ولن نسمي شخصا يبرر إنجازه الخاص بالـ «شقي». غياب المحور بالنسبة إلى الإنسان الحديث لا يظهر بشكل صاعق إلا في المسافة الداخلية التي يُحْدِثها إزاء انتحار مدروس ومتقن؛ وهو ما يعني رعب الخيبة، ورعب البلاهة والشيخوخة؛ وهو في نفس الوقت رد اعتبار للقوة، وللانتشاء والبطولة.

أحس أنني مجرد شيء، في كل مرة أقاوم فيها هاجس الانتشاء. كما لو أن النور تجمد في دماغي... وانهار الزمن في قلب ميت.

أشاهد الأحجار وأغبطها على اختلاجاتها. هل ستفهم ذات يوم أنني أهبني لراحتها؟ والصخور، ألا ترغب ذات يوم في الغرق وسط صمت الدم؟... هكذا نصبح شيئا محرَّفا باللامعنى؛ حيث تتأمل الطبيعة سكونها الأخير.

هل أيقظ تحجرك غيرة الأحجار؟ هل رأيت كيف تبرز الشرايين في المَجْلَدات؟

لا أفكر في الموت، بل هو الذي يفكر فيَّ. كل ما فيه من حياة يتنفس من خلالي، ومن جهتي لست موجودا إلا من خلال زمن مدرك لأبديته. ولست أكون إلا بقدر ما يدافع الموت عن مطلقه، ويرفض التعالي، وينزل عن طيب خاطر نحو الإخفاق المؤقت. أبحث عن الحياة في الموت أيضا، وليس لي من هدف آخر غير اكتشافها باعتبارها ليست حياة. لو كانت الجثة الإلهية أكثر حياة، لكنت ألقيت بنفسي بين ذراعيها من زمان. لكن الله أعفى قلة من الحيوات لأذهب للبحث عنها في صحرائه.

لم يعد من الممكن أن نحيا إلا بترصد الحياة في كل مكان حيث لا تكون في بيتها، لإنقاذها من خطر أن تصبح غريبة. هكذا، ننفي أنفسنا في الموت لنتذوق الحياة في طريقتها المثيرة للشفقة.

ما ينقص الصحة هو اللامتناهي. لهذا السبب تخلى الناس عنها.

تؤلمنا في العناقات مشاعر السعادة أو الشقاء، بشكل يبعث فينا ضعفا ملتبسا يدفعنا لتمني لو نُصْعق فجأة. شفاه تلازم نعومة قاتلة، تكتسح الطبيعة وتغرق في يأس فردوسي. لن يظهر الموت أكثر احتوائية إلا بالقرب من الإيروسي اللامحدود. الحب غرق، غطس في الكائن واللاكائن؛ فاللذة اكتمال وانطفاء. لن ندرك أن التدمير الذاتي يوجد في أساسات الإخصاب إلا عندما نعشق. بدون

المرأة - الموسيقى التائهة في الجسد - الحياة انتحار آلي. وبالفعل، فبدونها لأي سبب سنموت؟ أين يمكننا أن نكتشف انطفاءات أنفذ عطرا، وساعات غسق أرقّ نضارة، أين يمكننا أن نترنح ونحن ندفننا؟

لو مشى الناس عراة، سيظفرون بسهولة بالراحة الجسدية للموت. تقف الملابس حاجزا بيننا وبين أهدافنا، مختلقة وهم القوة والاستقلالية. لكن حين نعبر عراة أمام مرآة، نجد أنفسنا مهيئين للضياع؛ ففي الجسد ترقد التفاهة وتتعفن فكرة الخلود.

بعد آلاف السنوات من الحضارة، لو يشرع الناس في المشي عراة، يرمون مع ملابسهم الأوهام التي تدثرهم، سيصبحون ميتافيزيقيين عن بكرة أبيهم. بيد أننا حين نشاهد أنفسنا عراة، نتذكر أننا موجودون وأننا فانون. تمنحنا الملابس علوا مصطنعا على الزمن؛ فكيف يمكن أن تكون فانٍ وأنت تعتمر قبعة، وتلف ربطة عنق حول الرقبة؟ لقد ابتكرت الملابس أوهاما أكثر من الأديان.

يبدو أن آلافا وآلافا من الحيوات المجهولة تنتحر في داخلي، ومن تنهداتها يبرز انتشاء نهائي، وفي الأخير لست سوى قبة أعلى النهايات اللامنتهية... لو كان بإمكاني التشتت في عناصر المعاناة، الانكسار على شكل قطع صغيرة، وأن أكون في لا مكان، وخاصة ألا أكون داخلي! أن أمحوني في هذيان الغياب، أنطفئ بداخلي، منتبذا مع نفسي.

الإنسان هو الطريق الأقصر بين الحياة والموت.

5

الموت : هذا المَهيبُ المتاح لأي شخص.

لم تُشعرني الآلام الأشد وحشية، والهلوسات الأشد رعبا بأي قرف مقارنة بذلك الإحساس الذي نشعر به حين نترك شخصا نكرهه أو نحبه. كيفما كان، متوهجا أم لا، محبوبا أم مكروها حين نجد أنفسنا بدونهم سيبدو الانتحار وقتها ناعما جدا. كما لو أن أي كلمة منطوقة صارت وحلا، وظلت مخفية في جهة ما بداخل عزلتنا، كي تُوَسِّخنا قدام أنفسنا. تتحول الكلمات إلى سُمٍّ حين نعترف لأنفسنا لساعات طويلة، أما فراغنا وفراغ الآخرين فكفيل بجعلنا نشعر بدوخات. كل ما ليس وحيدا يتعفن، ولم يحدث أن كنت يوما وحيدا جدا لأنشرح.

نجد أنفسنا إثر كل نقاش مهملين أكثر مما لو كنا في قبر. ينتعش الذهن لكن القلب يتعفن. تطير الكلمات بعيدا ومعها جوهر عزلتنا.

لا يمكن التثبت من المسافة التي تفصلنا عن العالم إلا بالحب.

يخضع القلب ونحن بين ذراعي امرأة إلى الغريزة، لكن الفكر يتوه قريبا من العالم؛ باعتباره ثمرة مريضة للاجتثاث الإيروتيكي. وبسبب هذا، يصَّاعد في قشعريرة الاشتهاء احتجاج ممزق، دقيق جدا أحيانا، لكنه يقدم فضاء التماعة، تذكرنا وهي تعبر بهشاشة الشهوة.

كيف يمكننا، باعتماد طريق آخر، قطف الموت بلون الزهرة في كل قبلة، محتضرين مغلفين بالعناق؟

وكيف يمكن قياس العزلة إن لم نرها في عيني امرأة؟ ففيها تمنح العزلة نفسها مشهد اللامتناهي.

ينبع غموض الحب من أننا سعداء وأشقياء في نفس الوقت، والألم معادل للشهوة في دوامة موحدة. لهذا السبب يتعاظم الشقاء في الحب بقدر ما تفهم المرأة وتحب أكثر. شغف بلا حدود يُشعر بالأسف من أن للبحار أعماقا، وفي اتساع زرقة السماء نُشبع رغبة الانغماس في اللامتناهي. فالسماء على الأقل ليس لها حدود وتبدو في مستوى الانتحار.

الحب رغبة في الغرق، غواية العمق، لهذا يشبه الموت. هذا ما يفسر كيف أن الطبائع الإيروتيكية وحدها تمتلك شعور النهاية. حين نعشق ننزل إلى جذور الحياة، إلى درجة البرودة القاتلة للموت. لا وجود لصاعقة تحرقك في العناقات، ونوافذ تنفتح على الفضاء كي نلقي بأنفسنا منها. هناك الكثير من السعادة والكثير من الشقاء

في أعالي الحب وأسافله، والقلب ضيق كثيرا على مثل هذه الأبعاد.

تصدر الإيروتيكية من ما بعد الإنسان؛ فهي تشبعه وتدمره في نفس الآن. ولهذا السبب يترك الإنسان المثقل باتسعاته الأيام تمضي دون أن ينتبه إلى أن الأشياء موجودة من حوله، وأن الكائنات تتحرك والحياة تتآكل. ولأنه مخدر بالإغفاء الشهواني للإيروس بفضل كثير من الحياة وحب مبالغ فيه، فإنه ينسى كل شيء حتى إن يقظته من الحب على التمزقات الهائلة ينجم عنها انهيار جلي وبلا عزاء. لا يكمن المعنى الأعمق للحب، لا في «عبقرية الجنس البشري» ولا في تجاوز الفردانية. لو كنا، مجرد أدوات في سيرورة ما، حيث نضيع شخصيا، هل سيكون بإمكان الحب أن يبلغ حدة هوجاء، جاذبية لا بشرية؟ وكيف سنقبل أن ننخرط في آلام هائلة لمجرد أن نكون ضحايا؟ ليست الأجناس قادرة على هكذا تخلٍّ ولا هكذا خداع.

إنما نحب، في الحقيقة، لنحمي أنفسنا من فراغ الوجود، وذلك في رد فعل ضده. البعد الإيروتيكي لذاتنا هو امتلاء ذاتي موجع لتعبئة الفراغ الذي بداخلنا وخارجنا. بدون اجتياح الفراغ الجوهري الذي يقضم نواة الكائن ويدمر الوهم الضروري للوجود، يبقى الحب دون هذا الاجتياح تمرينا سهلا، مبررا مقبولا، وليس رد فعل جذابا أو اهتياجا غسقيا. يشكو هذا الفراغ الذي يحيط بنا من حضور الإيروس، والذي هو بدوره خدعة أصابت الوجود. ومن بين كل ما يتعلق برقة المشاعر، يظل الحب الأقل

فراغا، والذي لا يمكن أن نتخلى عنه بدون أن نفتح ذراعينا للفراغ الطبيعي الجمعي والأبدي.

وبما أنه حالة قصوى من الحياة والموت، يعتبر الحب فورة تكثيف في الفراغ؛ وكل تكثيف هو إصابة بالغة للفراغ.

هل كان من الممكن أن نحتمل ألم الحب، لو لم يكن سلاحا ضد السأم الكوني، ضد العفن المحايث؟ هل كنا سننزلق نحو الموت بالتهليل والآهات، لو لم نعثر فيه على وسيلة لنكون في اتجاه ألا نكون؟

ليس بالقوة نواسي أنفسنا من عدم العالم، بل بالأنانية. كل شخص هو كثير الاعتداد بنفسه لينحني أمام البديهيات: يبتكر الوجود إذن. وماذا عن حميميتي مع الأشياء التي تنطفئ؟ أنا من ينجو إثر كل حزن...

يجب أن أكون شقيا إلى آخر درجة لكي يشرع قلبي في النبض. وما التنهّد إلا الإيقاع المثالي للتنفس، وليست السعادة بالحرارة الطبيعية للحياة.

من الممكن جدا أن الحب في ذاته يحتوى قدرا محتملا من السعادة أكبر من ذهننا المصاب بعدوى من القلب، وغير المجبول على التصديق. من أين تأتي إذن التوافقات المأتمية للثمالة الإيروتيكية، وعطر انتحار العناقات؟

لا تجعل أركيولوجيا الحب الحتمية الأوجاع المغايرة والراهنة

تنبعث وحدها، بل توقظ أيضا كل تلك التعاسات غير المكتملة، والتي اعتقدنا أننا دفناها إلى الأبد، توقظ تلك الجراحات التي حسمنا في أمر تعافيها؛ فتؤجج ظمأ الآلام الممتدة. على غرار الطقس الإيروتيكي لـ «فاغنر- Wagner»، تنشط ظلال الماضي وتتملك ألمنا الغامض، بشكل نكون فيه أقل تعاسة من الأحاسيس الآنية للحب من تلك الأحاسيس التي ينشطها الماضي ويوقظها.

لو لم يكن الحب شيئا آخر غير هذا الحضور المادي الغريزي، لكان يستحيل جمعه مع الألم. غير أن الحب مثل الله يتأقلم مع عدة أحكام. من الممكن أن تكون المرأة لامتناهٍ ملغي، غير أن هذا اللامتناهي يتراجع قبالة الحب؛ ذلك أن كل شيء أمامه هو في متناهى الصغر. أليس هناك لحظات حب يبدو فيها الموت مجرد سفه؟

هناك من الناس مَن، إن لم يكن قادرا على التفكير في الحب، يصبح مجنون حب. رد الفعل هو الانحراف الوحيد، ولن يكون بمقدورنا احتمال أي شيء بدونه. قد نموت إذن من أجل الله، أو الموسيقى، أو المرأة. ويقلل الانتقال العكسي من هيجان الأهواء، ويخفف من الحركة في اتجاه اللاكائن الذي تخفيه أي شهوة. هكذا يصبح الفكر أداة رداءة.

إننا نهتاج ونؤمن ونفكر كي نغفر لنا وجودنا. كما لو أن أحدهم يراقبنا بازدراء من عالم آخر: وكي لا نصير ضحايا قرفه، نبرر وجودنا بحركات وكلمات وأفعال. ومن خلال هذه السلوكيات

نأمل أن نحظى برحمته، بمغفرة فردانية الكينونة. وحين يتم تعميد هذا المُشاهد إلهًا، نزخرف عرضنا البائس كما لو أنه لم يكن شيئا آخر سوى مرآة الحزين الكبير.

كل شيء يجرحني ويبدو لي الفردوس شديد الفظاظة. يصيبني كل اتصال مثل سقطة صخرة، ويؤلمني انعكاس النجوم في عيني عذراء باعتباره مادة. تشيع الورود روائح قاتلة، وليست الزنابق بدرجة من النقاوة ليتحملها قلب يفر من كل شيء. وحده حلم الملاك بالسعادة قد يمنحني سريرا في هدهدته الكوكبية.

يذبل العالم على السطح الخارجي للقلب، والذهن مُسجًّى في الليالي المتداعية. يدخر الكون ابتسامته المذعورة التي أميز من خلالها - رمز الحياة - ملاكا من آكلي لحوم البشر.

لا شيء يمكن اختزاله في الوحدة. يرصد العدم العالم من جميع الزوايا. ليس التناقض معنًى للحياة فقط، وإنما هو أيضا معنى الموت. كل فعل هو متطابق مع بقية الأفعال؛ فلا أمل هناك ولا يأس، كل شيء متشابه. نموت ونحن نحيا، ونحيا بينما نموت. ومنه فالمطلق تزامنٌ: ساعات غسق، ودموع، وبراعم، ووحوش، وأزهار؛ كل شيء يسبح في ثمالة اللاتمييز. آه، عزلات ممتلئة - مع الشعور بالله مذعورا - وحين نغار من أنفسنا!

لم تتذوق أية لحظة من لحظات العزلة إن لم تشعر أن البحر بإمكانه أن يصلح لك بوصفه اسما مستعارا.

حين نعلم أنه في كل تسمُّع يمكن اكتشاف مسيرة جنائزية، ندرك وقتها أن الأطباء لا يملكون حاسة سمع دقيقة.

يجعل الحزن الإنسان فاقدا لصفاته، لو استسلمت لنوازعي وميولاتي، لكان حريا بي أن أستريح في مقبرة للمتسولين أو مقبرة الأباطرة المختلين عقليا.

لو تذوق الشياطين مرارة الدم، لأصبحوا مجانين من الحزن، بينما يجري هذا الحزن في الدم بحرية ولا أحد يوقفه! كما لو أن الدموع تذوب في الدم في تنهيدة طويلة وبعيدة. من ذا الذي بكى في دمي؟

لو لم يكن الحب هو هذا المزيج شديد التعقيد من جريمة مخطط لها مسبقا ومن اللامنتهى الرائق، سيكون من السهل جدا اختزاله في مجرد قاعدة! غير أن معاناة الحب تتجاوز ترجيديات «جوب»... فالإيروتيكية بمثابة جذام روحي... لا يعزل المجتمع، وإنما يُفاقِم من حدة المعاناة عبر تخفيفه من العزلة.

لا شيء ينفي الحياة بشكل حاد، بشكل جارح سوى نبضها الفائق في الحب. وحين نرغب في التعلق بها، فلن يتم ذلك إلا بواسطة المرأة؛ وساعتها نتجاوزها. ليس ثمة من مكان في الحياة للحب؛ لذلك فإن لعطور المرأة روائح الموت في أكاليل المقبرة.

أين يزهر الانتحار أكثر إن لم يكن في ابتسامة ما؟

يُقاس عمق الحب بمقدار احتمالية العزلة فيه، والذي يعبر عن نفسه بفروق حتمية، مرئية من خلال حركات، وكلمات، وتنهدات.

ميل القلب نحو اللاكائن يمنحه جدية أكثر من اليأس. في الوقت الذي لا يغلق فيه المعبر نحو المستقبل، يدفع بنا بلا هوادة نحو الكارثة المكتملة للزمن، ويمزج الحب النقص في اليأس بغواية السعادة الوحيدة. وما اليأس سوى مأزق مهتاج، صخب لا يمكن ترميمه، إثارة رغبة المستحيل؛ أما الحب فهو يأس في اتجاه المستقبل مفتوح على السعادة.

مجرد أن نشرب الماء فذلك في حد ذاته فعل ديني. يلتذ المطلق بأول فتات عشب. المطلق والفراغ...

أي مكان لا يوجد فيه الله؟ لا الله ولا اللاشيء؟ اليأس حيوية العدم...

لم يوضح علم اللاهوت من هو الأكثر عزلة: الله أم الإنسان؟ ثم جاء الشِّعر وفهمنا أنه الإنسان...

يظهر الاكتشاف النافذ للا واقع، حين نجد أنفسنا في مأزق، ونجد أنفسنا مدفوعين في اتجاه عون المرور عند منعطف الشارع لنسأله هل العالم موجود أم لا... وبما أننا نكون فجأة في هدأة من أمرنا، مبتهجين باللايقين... فما الذي سنفعله فعلا لو أن العالم موجود حقا؟!

أحب أناس العهد القديم: فهم حقودون وحزانى. وحدهم حاسبوا الله، في كل مرة رغبوا فيها في ذلك، ولم يتركوا أي فرصة تفلت منهم كي يُذكِّروه أنه قاسي القلب، وأنه لم يعد لديهم وقت

للانتظار. كان للبشر في ذلك الزمن غريزة دينية، أما اليوم فليس لهم سوى العقيدة، أو لا شيء مطلقا. أكبر خطأ قامت به المسيحية أنها لم تعرف كيف تُمَتِّنُ الصلات بين الإنسان وخالقه؛ فهناك حلول كثيرة ووساطات متعددة. لقد جعلت دراما المسيح الآلام ضعيفة، وجردت القوة من أي حق في المسائل الدينية. لقد كانوا في السابق يرفعون قبضاتهم نحو السماء، أما اليوم فيكتفون برفع نظراتهم فقط.

لن ندرك درجة محايثة الإيروسية إلا في الموسيقى الدينية؛ فنحن نصغي إليها ولا نفهمها. إلى أي منطقة موجعة من الأرض تهبط بنا المرأة؟ وحين تبعدنا عن الأرض، أين سوف نتوه دون اكتشاف السماء؟ لقد أنقذ «باخ – Bach» كل عاشق من البكم. لن نفهمه حتى وهو يفتقد العزاء، ولكن، عندما يكون في إجازة من الحب، إذاك فقط نفهمه. ولربما الأمر أسوء؛ أي حين يكون في إجازة من الحياة. لو تركنا الحب جانبا، ما الذي يمنعنا من أن ننتهي جميعنا في الله؟

هل نعرف كيف نصغي للميلودية السرية لكل زهرة؟ الإصغاء لابتسامة؟ هل يمكن للعيون أن ترى كيف ترتفع موسيقى ناعمة ونائية؟ ما تلك الأصوات التي تنصهر في النظرات وتموت في الظل الميلودي للقلب؟ كل شيء يتخذ شكل صوت خجول، كما لو أن الأشياء ترفع اتفاقها نحو السماء.

شبيه بمريض كوكبي، تقربك الأحاسيس المضطرمة والرقيقة من السر الموسيقي للكائن. هل تنصت للبكاءات الأثيرية لعالم

مخفي؟ كما لو أن الورود انتزعت جذورها من القلب... وبقيت وحدك مع تنهداتها... هل تعرف كيف تنصت لغسق زنبقة؟ أو لميلودية ممزقة لعطر مجهول؟

لو أحسسنا بزهرة إلى درجة النفاذ في موسيقاها، فأي مسيرة مأتمية ترفع لنا بلاطة نعبر فوقها نحو زرقة السماء بشكل لائق؟ ألن تفقد زرقة السماء هذه لمعانها، تمتصها ميلودية هابطة علينا؟

من ذا الذي سوف يشفيك من نفسك؟ صَبِيَّة؟ لكن من الذي سوف يدفع الكرم إلى درجة التضحية وتحمل المالنخوليا؟ أي روح طاهرة راغبة في الحلم والشقاء تخاطر بتحمل عبء لن تستطيع الحدس به؟ وهل بإمكانك أن تتحرر من سمومك وأنت تتنفس ربيع شباب منته؟ أين يمكن أن تغشى عيون بريئة من ثقل الحزن؟ أي عذرية لا تموت حين نقترب منها؟ تسترخي الحيوية في اللحم الصافي، وتضيء العيون المطفأة مجددا في قربان خريفي، مقطوفة بشحوب الحب.

منذ أيقظت حواء آدم من نوم الكمال اللامجدي، تواصل ذريتها إنجازها في الانتعاش، ويغووننا مرة أخرى باللاكائن. نظرتهم الشاسعة. دَوْخَتُهم الهوائية لنداءاتهم اللامتأكدة، هل ستظل غريبة عن أفهامنا المضطربة؟ الحياة تخليد لحظة خوف بلا عزاء، حين وَعَى آدم بضياعه غير القابل للقياس، وأدرك لامتناهي هذا الضياع الذي ينتظره إثر طرده من الفردوس. ألسنا نكرر - على مدى الحياة - إشراقية يائسة لتلك اللحظة شديدة القسوة؟ إرث الإنسان الأول

هو ضوء بداية اليأس.

حين تتبدل النجوم إلى خناجر، ويطير قلبي نحوها، لن تتمكن من تمزيقه بشكل جيد حتى لا تترك المرارة أثرا لتمرده فوق زرقة القباب. أريد أن أموت في كل كوكب، أتهشم قبالة كل ارتفاع، وأشيد في النجوم المتعفنة ملاذا جنائزيا لجثة متحللة في تهلل الأجرام.

أي نشيد هذا الذي حلَّ في اللحم، أي ضياع صوتي يُسكر كل خلية، حتى لا يستطيع أحد أن يوقف اندفاعها نحو الموت؟

هناك الكثير من اللامحدود في كلمة ابتذال؛ كما لو أن «بوذا – Bouddha» قد همس لي بها في ملهى ليلي.

يفعل الانتحار أكثر مما يفعله عدم الانتحار.

هناك أشخاص هم من الحيوانية إلى درجة أنه ما إن تظهر فكرة على سطح أدمغتهم، حتى تنتحر مرتعبة من العزلة.

ومثلما يعتبر الاكتئاب النتيجة العضوية لذوقنا الجمالي، تترجم الدوخات ميلنا نحو المطلق. لاشيء يشدنا؛ لا أعمدة لنستند إليها، لا مقاعد لنريح عبء اللحم المفكر. تنحل المفاصل وتسقط في مجهول الأشياء الأبدي. تستشعر الشرايين عالما آخر وما عادت تأوي إطلاقا نخوة أن تكون واقفا، غير أنها تذبل بتلذذ في المطلق. والروح غير المبتهجة بالعالم وبنفسها، تتبع ما يفعله الجسد.

أريد لحياتي أن يرويها ملائكة سعداء تحت ظل صفصافة باكية.

وكلما جَنَّ عليهم حينٌ لا يفهمون فيه شيئا، تضيء الطرابين المنحنية جهلهم بنسائم الشجن...

لو أردت معرفة أكثر شيء أغناني خلال حياتي، أي تجربة خرجت منها الأقوى والأكثر عزلة؛ لا ليس الحب، ولا وجع الجسد، ليس الخوف أمام الملغز، ولا الندم اللامحدود للأفكار، لا يمثل كل هذا منبعا لنموِّيّ الداخلي، لكن كل هذا مجتمعا مغلفا ومنقَّى في الشعور بالموت. بدون هذا الشعور ندفع جانبا، خانقين وعد المجد أو التأليه. ولكن حين يَنبت الموت في كل نَفَس، تحتفظ ثمرة آلامنا بنضج سليم، والحياة الموكولة لنهاياتها الحتمية تصبح أقل قربا من الهلاك. لن نؤمن إلا بالتناغم مع احتضار وردة. من خلال الشعور بالموت، نجعل من الحياة شريكة المطلق، حتى ولو نزعنا عنها نضارتها: منغلقة في الحدود الفردية، فما الذي سوف نفعله بدون غواية اللامحدود؟ سأكون أكثر من أناي نفسي حين أموت، حين أموت مخصبا، تاركا الاحتضار ينبت في الحلم وفي القوة. لماذا سأخاف من أن أنتهي والحال أنني بادرت بهذه النهاية مبتهجا حد النخاع مثلما في الأفكار؟ أم هناك خلية لم يُخَامِرْها الموت؟

غير أنه من الممكن إثراء وجود خارج التنبؤات. وماذا لو أنه منذ انبثاق الحياة كان اللانهائي مريضا؟ من أين تأتي إذن نخوة الدم الحزين؟

هناك نظرات نسائية تتسم بشيء من الكمال الحزين لسوناتة

شعرية.

لولا الشقاء لكان الحب مجرد ترتيب من الطبيعة.

وكل عطر ينتحب البكاء اللامادي لوردة حين يوحي لنا بتمزق مأتمي. يطوينا داخله ويسبتد بنا رعب الموت مثل نسغ قادم من بعيد، ويصَّاعد داخلنا ببطء وبحزن في نشاط الجسد. وأي تنهد للزهرة في حزننا لكي نُشرِّفها!

روائح معبأة بالانتحار، تطفو شاسعة ومضطربة نحو قلوب مطفأة!

حتى ولو كنا نعرف منذ متى فصلتنا المالنخوليا عن الطبيعة، نعتقد رغم ذلك أنها رافقتنا منذ الأزل ونحن معها، وربما وُلدنا منها. ستبقى بعد حياتنا، ونحن موتى، تطرز الشعر البنفسجي لانطفاء بلا نهاية.

الشعور بالأبدية السلبية لحياتي... أنا ميت ولم أبدأ بعد.

حين لم نعد نشعر إطلاقا أننا من جنس الإنسان، ورغم ذلك نستمر في الحب، يتضاعف التناقض في ألم يعجز عنه الوصف؛ ألم متفجر. الحب - كيفما كان شرا أو خيرا - من شروط الوجود كما هو، وهو بالنسبة إلى الإنسان إنجاز باعتباره ينتمي لحالات ضعفه؛ لشكل الحياة كما يستعرضها البشر. ليس بالإمكان أن نرفع المرأة - هذا الكائن الإنساني بامتياز - إلينا أو حتى النزول إليها بدرجة أقل. هذا الانحراف في أن نحب كائنا بشريا، رغم انعدام الأحاسيس

الإنسانية، ما عادت إطلاقا لا فوق ولا تحت، ولكن خارج الشرط الإنساني! ووهم المرأة التي تعتقد أنها تمنحنا النسيان، رغم أنها لا تفعل شيئا آخر سوى تأكيد ابتعادنا عن كل شيء!

لماذا لا ترأف بي الأرض فتفتح كهوفها لتبتلعني، تهشم عظامي وتمص دمي؟ هكذا يكتمل الكابوس الذي يلقي بي تحت ثقل الجبال والبحار. ألست سوى جثة متعفنة تشاهد من عمق العالم كيف تحطمه القباب الإلهية؟ تحت أية نجمة كنت قد مت، تحت أي نهر أو أي أرض؟ آه، كل شيء مات، بدءا بالموت [في حد ذاته]! وماذا عن الكون؟ أشباح في عمق نخاع متعفن...

مصاص دماء - يمتص آخر قطرة من دمي - ثم يشرع في الغناء حزينا...

لا بد من إصلاح كل شيء؛ بما في ذلك الانتحار.

يفرض الناس أن تكون لنا مهنة ما - كما لو أن نحيا ليس في حد ذاته مهنة - بل وأشد المهن صعوبة!

أنا [كـ] «جوب» دون أصدقاء، دون رب ولا جذام.

لا يمكن أن نجد المتعة والروح في الشقاء إلا من خلال زيادته بالتفكير والحركة.

لا تظهر الحقيقة - مثل أي مقدار منقوص من الوهم- إلا في قلب حيوية مشبوهة. ما عاد بإمكان الغرائز أن تغذي فتون الأخطاء؛ حيث تستحم الحياة، تملأ فراغات جلاء كارثي. شرعنا

في الإمساك بسير الأشياء وما عاد يمكننا أن نحيا. بدون الأخطاء، الحياة شارع مقفر حيث نتسكع مثل مشائي الحزن.

في المقهى - وليس في أي مكان آخر إطلاقا - ما عاد من الممكن أن نتحدث إلا مع الله.

أتذكر أنني كنت وحيدا مع نفسي وأنا أصغي إلى وقع خطواتي على الرصيف في وقت متأخر من الليل. هل مازلت جار قلبي لوقت أطول؟ كم يلزم من وقت آخر لأمشي قرب وقتي؟ ومن ذا الذي نفاني بعيدا عني؟

تلك العيون التائهة للنساء الحزينات، والتي لن تنفتح إلا يوم الحساب الأخير...

الحياة، فاقدة السمو في الحلم، أشبه بقيامة الغباء والفظاظة. من ذا الذي سوف يتحملها بدون معادلها الخاص باللاواقعية؟

الأفكار المحنطة بنبل الانتحار... كما لو نشرب السم من يد قديسة، أو نمص الحقيقة من فم امرأة ضائعة. أين أنت أيتها الأمراض المخفية التي لا تصعد، قاتلة وقاسية، في اتجاه دم نهم للرعب والتدمير؟

لكل ما نسميه سيرورة تاريخية منبعه في الألم من الحب. ما كان شيء ليتغير في العالم، لو أن آدم كان سعيدا مع حواء. لقد تحققت غواية الشيطان: «ستكون شبيها بالله»، بالنظر إلى أن الخلق البشري وُلد من رحم المعاناة من الحب ليقربنا بدرجة ما من الألوهية. ليس

للسعادة فضيلة تاريخية. يقلل الله في كل مرة من قيمة أن يعثر الإنسان على المطلق في الحب، أو يكتشفه في الخيبة.

حركة الانتحار كبيرة بشكل مرعب، لكن ما يبدو لي أشد مشقة هو الانتحار كل يوم...

يمكن قياس مرض شخص ما من خلال ذبذبات كلمة «حياة» في كلامه.

يقول «فونتونيل– Fontenelle» لطبيبه وقد قارب المئة سنة من عمره: «لا أشعر بشيء آخر سوى صعوبة أن أكون».

حين نفكر أن آخرين لا يعدون ولا يحصون يستشعرون نفس الشيء منذ ردة الفعل الأولى، وليس فقط على فراش الموت... يصبح عبء الوجود محتملا، في حين أنه يثقل علينا إلى درجة الاختناق. ليست المعاناة ناعمة إلا عندما تتخذ شكل القلق الهائل.

يتطاير الأنا مع أبخرة العزلة وهو يعي لا معناه. ما الذي يتبقى إذن من مصادفة الفردانية؟ جوهر مرير يتردد صداه في جمجمة شيطان مهمَل.

6

الحاجة الملحة للصلاة، وعجز التواصل مع أحدهم... وبعد ذلك أن ننام أرضا، نعضها في هيجان، ونصب جام غضبنا أو التدين المفرط السلبي للَّحم.

عندما أرى السماء أرغب في الانحلال فيها، وحين أنظر إلى الأرض أرغب أن أدفن نفسي في أحشائها. فيما الغرابة، إذن، من أن تتحلل السماء والأرض في ذهني وفي قلبي؟ لقد عذبت آمالي بين جيولوجيا السماء وعلم أديان الأرض.

كم أرغب في أن ألصق خَدّي على الأزرق الهادئ، على غرار الأوراق التي تبدو كما لو أنها نبتت في السماء حين نشاهدها ذات ظهيرة عند ظل شجرة!

تصير الورود في قلب «ديوجين» جثثا وحجارة تضحك. لا شيء قد تشوه: الإنسان بشَّع وجهه، والأشياء شوهت الصمت. تستعرض الطبيعة الوقحة فجورها بكرم؛ وهو ما يلتذ به الجنون

البصير لأصفى البشر. تفقد الأشياء عذريتها تحت بصره النافذ الذي يعلمنا صلة أشد عمقا بين الجدية والعدم.

هل كان «ديوجين» الإنسان الأكثر جدية؟ يبدو ذلك، لأنه لم يدخر شيئا ولا حتى شخصا؛ لقد كان جادا إلى درجة المرض، بما أنه لم يخش تبعات المعرفة: بما في ذلك الكلبية نفسها. ما الذي دعاه لزعزعة نعومة الفكر الاستباقي واللياقة؟ ما الذي أضاعه حتى يفقد أي صلة له بسحر المظاهر والخطأ؟ هل الذكاء وحده هو القادر على بلوغ جرأة الحقيقة واستفزازها؟ أبدا، طالما مازال القلب يقاوم في الخطأ وفي خدمة الدم. ولكن، يبدو أن قلب «ديوجين» أُنْتُزِع لفائدة الوجود؛ بحيث صار مهد الذكاء؛ وهو شيء لم يحدث من قبل أبدا. قلب هو مكان لاستراحة الوضوح وتعافيه. وبمجرد ما يصبح الدم خارج اللعبة، والحياة مُرَاقبةً بدون شفقة، فأين يمكن أن يتمظهر الخطأ، ويلتذ الوهم؟ تُزهر الكلبية في هذا الإخلاء الذي يهذي بكل شيء ويسمح بالضحك، بالاحتقار، بدوس كل شيء، وبدرجة أولى دوس نفسه مفتخرا بالفراغ الكوني حيث الكلبي هو المشاهد. إنه يشاهد – متألما أو ضاحكا - هذا اللاشيء.

ما الذي دفع بـ «ديوجين» إلى القطيعة الكارثية مع الجمال البسيط، اللائق، والملتف بالوجود؟ واقتراف جريمة ضد الأخطاء الضرورية للحياة؟ ألسنا مدينين له بهذا الوهم الأقل الذي نمجده بألم؟ أيُّ سِلوان كان ينقصه، هل تمت مقاطعته في قلب بعض النعومات، منفصلا عن السعادة التي لديه حساسية تجاهها، حتى

ولو كان قد وُلد بموهبة المحكوم؟ حتى الوحش يلد بميل للسعادة، ولا يخسر حتى ولو تخلت عنه السعادة. ما الذي يمنعنا في الحياة من العبور إلى الكلبية، رغم أن الذهن يدفعنا إليها ويجبرنا عليها؟ ما الذي يحد من الوقاحة النهائية للمعرفة؟

هل يجب استرجاع الحب بوصفه مُوَلِّد الأخطاء الخصبة؟ كل خطوة في الحب تستفز المعرفة وتجبرها على المشي بتواضع جانبنا أو في ظلنا. انخفاض الجلاء علامة على حيوية الحب.

لكن حالما يتدخل شيء ما ويحرر الوضوح في إمبراطورية شاسعة مثل الذات، ينسحب الحب مهزوما، مخبولا. وحين يكون هذا الشيء كائنا، أو ربما أكثر من واحد فقدناهم في سنوات الوهم، يسمح الفراغ الموالي بتطوير قاس لذهن بارد ومدمر. لا أحد، في العادة، بإمكانه أن يرث جلاءً بهذا الشكل إلى درجة الانزلاق في الكلبية، لكن الخيبات خلال الحياة تجعل من العالم شفافا، بشكل يجعلنا معه نرى إلى حد العمق ما كنا نعتقد أننا نلامسه فقط. ليست لدينا أدنى فكرة عن حياة «ديوجين» في عصر كان فيه الشقاء في الحب هو الذي يقرر في مسار الفكر. لكن من غير الضروري معرفة مَن الذي خسر، حين نعلم جيدا ما الذي خسره، وأين تؤدي هذه الخسارة.

لو أمكن أن أكون نافورة دموع بين يدي الله! أن أنتحب فيه وينتحب فيَّ!

بالشغف والشقاء سنهزم نسبية الحياة لنعرضها في المطلق. هكذا سوف تصبح قيامة يومية...

هناك سمو مُقدَّر له أن لا نعرفه إلا حين تباغته رعشة الموت بين الشوارع المتسعة... أو أيضا تلك الحيرة الرائعة التي تمسك بنا في الأزقة الرمادية بباريس، حين نتساءل في كل مرة هل فعلا قد وُجِدْنا، عندما تجيب المنازل القديمة المنحنية برد سلبي لاحتضارها...

لا تفعل وسائل هزيمة العزلة إلا مضاعفتها. ونحن نرغب في الابتعاد عن ذواتنا عبر الحب، أو الثمالة، أو العقيدة، فلا ننجح إلا في تقوية هويتنا بشكل أكثر عمقا. نكون أنفسنا بالفعل بالقرب من امرأة، في الكحول، أو في الله. حتى الانتحار ليس إلا رد اعتبار سلبي لأنفسنا.

تلك القشعريرة التي تكشف لنا أن الذهن بقي صافيا ومعافى، تؤكد أن الدم واللحم قد فقدا الرأس... أو أن العظام فقدت الرأس، حين يتلذذ العقل بنوره المكتمل...

ليت السماوات تنهار قبل خراب الروح!

يبدو أن الحب اهتمام فظ مقارنة بالولع، الذي يُسَرِّب نوازع الحياة نحو عالم نسائم أنقى. المرأة ضحية عطشنا للامادية يمكن أن تعتبر نفسها شقية في الحب؛ لأننا لا نمنح لها أنفسنا كثيرا: مبالغة تُنكِّد هذا القليل من السعادة؟

لن تفهم أبدا لماذا يجعل الولع من حضورها عبثيا كغيابها تماما. لا حاجة لها لأن تكون، ولا لأن تعرف. فيما يمكنها إذن إرضاء أو تلطيف هذه الحاجة للمطلق التائه في الإيروس؟ في الولع هي لا توجد إلا بقدر ما هي غير موجودة كمبرر لذوقنا للاواقعية الأسمى.

هذا المطلق على سطحنا... تم تعميده امرأة.

قبالة البحر فقط يمكننا أن نفهم حاجتنا للشعر التي تختفي تحت مقاومتنا أمام أمواج الموت.

الشعر يعني غيبوبة، تخل، عدم مقاومة لسحر الجمال... وبما أن كل جمال هو ضياع، مَن بمُكنته أن يجد شعرا واحدا مُحَمِّسًا؟ يجعلنا الشعر ننزل نحو الأسمى...

هناك قلوب حيث الموسيقى، مركزة في صاعقة صوتية، بإمكانها أن تجعل الحياة تعود من البدء. لو فقط استطعنا أن نمس وتر النشكونية في كل قلب.

الازدواجية الأساسية في كل حزن: بِيَدٍ نريد أن نمسك زنبقة، وباليد الأخرى نداعب جلادا. هل للشعر والجريمة نفس المنبع؟ لكل واحد وجهان في الحزن: لا يمكن أن نكون في الجحيم ولا في الفردوس، لا في الحياة ولا في الموت، لا سعداء ولا أشقياء. نحيب بلا دموع، لَبْس بلا نهاية. ألا يطردنا الحزن من هذا العالم كما يطردنا العالم؟ حزانى نحن كذلك منذ الأزل، وليس الآن فقط. *منذ الأزل*

أي قبل أن نولد؛ أليس الحزن ذكرى زمن لم نوجد فيه؟

يُبين الشحوب إلى أي درجة يمكن للجسد أن يفهم الروح.

هل تكفي امتدادات السماء لترقيع قلب من مِزق؟ أين يمكن أن أتسول امتدادات شبيهة على الأرض؟ كما لو أن لديها شيئا آخر لتخفيه عن الروح المولودة مقبورةً!

هل حدث أن شاهدتم البحر في لحظات ملله؟ يبدو أنه يُهيِّج أمواجه قُرفا من نفسه. يطردها كي لا تعود إليه مرة أخرى، غير أنها تعود دون توقف. كذلك الأمر بالنسبة إلينا. من ذا الذي يعود بنا إلى أنفسنا حين نُجهد أنفسنا للابتعاد عنها؟

أليس سرُّ الاستسلام للبحر، والتشتت في الهيجان العبثي لكل البحار هو الميل للسأم اللانهائي، مع شعور بالتلاشي أوسع من كل ما هو بعيد؟ لا الخمر، ولا الموسيقى، ولا العناقات تعرف كيفية الاقتراب من التمزق مثلما تفعل الأمواج التي تتصاعد في فراغنا و لا مَعْنَانَا، وتواسينا بوعود الضياع! ليس البحر سوى تعليق لا حدود له على سِفر الجامعة...

هل يستطيع شخص سعيد أن يفهم شيئا ما من الامتدادات البحرية؟ كما لو أنه تم خلق البحر للناس! بالنسبة إليهم هناك الأرض، هذه الأرض البائسة...

لا بد أن نعرف حقيقة الكدر الرائع لبعض الأيام في «سان مالو» أو في «كومبرغ» لنعذر «شاتوبريان- Chateaubriand»[4]. صحيح

أنه خارج بعض صفحات [كتابه] «**المذكرات** – Mémoires» تصعب عملية إعادة قراءته، لأن بلاغته رغم أنها مسهبة، إلا أنها فاقدة للجوهر. انتحاباته غير مُتأمل فيها بشكل جيد، كما أن سأمه ليس جوهريا. وإن كنت قد أحببته فإنما للمسار الباذخ لحياته، حين قام بتعلية الفراغ الداخلي إلى مرتبة الفن.

لقد عرف كيف يظفر بحصته من العدم بشكل نكون نحن بمثابة تابعين له في مسيرة السأم. يجب على الأقل رؤية الغرفة التي قضى فيها طفولته، والحدس بما كان يدور بينه وبين «لوسيل» من أحاديث، تلك التي سيجد كل هاو للمالنخوليا نفسه مشفقا عليها، لإدراك كم أن الكرب المتأتي من قرية فالاك[4] يظل بعيدا ولا مجال لمقارنته بذلك الامتياز الجنائزي لتلك المولودة في قلعة معزولة. نحن بالأساس منكوبون ولسنا حزانى فقط؛ ذلك أننا لا نعرف فخر المصير البائس، وإنما نعرف فقط ظلال القدر المرير.

لقد أخطأ «شاتوبريان» حين عرَّف السأم بقوله «قلب ممتلئ في عالم فارغ»، لقد أخطأ في أنفة؛ ذلك أننا في السأم لا نكون إطلاقا أكثر من العالم، ولكن بالأساس أقل منه: وهي علاقة بين فراغين. ذلك أنه إن كنا أكثر من العالم فسنعتمد أكثر على أنفسنا؛ سنكون ممتلئين جدا بالوجود كي نأمن تخلخل الوعي، ومن هنا ينبعث الفراغ الداخلي. تجعلنا حالات التوتر الحاد، سواء في الانتشاء أو في المعاناة، بمنأى عن السأم رغم أنه من الممكن أن يأتينا من جهة ما في العالم الذي يحيط بنا اقتراح تفاهة لا يقاوم.

بالنظر إلى الأشياء عن قرب، لا يمكن أن نحبها إلا بدرجة لاواقعيتها، لا يمكن احتمال الوجود إلا من خلال ضاربه [معادله] في اللاوجود: فرضيات عدم وجوده تجعلنا الكائن الأكثر قربا. اللاشيء بلسم جوهري.

هكذا، أفهم بشكل أفضل ميلنا المرضي الممتلئ بالمعاناة نحو المرأة، رغم أنها مشدودة أكثر منا إلى الحياة، تحتفظ بشيء لا واقعي مصنوع من هذا الشعر المتبخر الذي يلذ لنا أن نغلفه، مع غموض الجنس. المرأة هي كل شيء عدا أن تكون بديهة. والألم في الحب، سواء أاكتمل أم لا، يحقق عمقا وغرابة، بقدر ما يتصاعد حضور المرأة فينا ويرتقي إلى درجة كمال شهواني أكثر منه قابل للتعريف. ليس الحب نهائيا إلا في سلبيته: يحول الامتلاء إلى معاناة. لا نستشعر الحاجة إلى الشقاء إلا من أجل أن نمنح القشعريرة الإيروتيكية التعبير الأسمى.

مرعب ومتدنٍّ هو الجنس بدون فكرة الموت. ذراعا المرأة نعوش لازوردية، وغموض الإيروتيكية هو هذا الايحاء القاتل بالامتلاء، بالمبالغة الكارثية، وبالإزهار الغسقي.

من ذا الذي في خضم استسلامه للبحر أو لذاكرته، لم يشعر بالخجل لأنه قضَّى لحظات حب مبتهجا أو لا مباليا؟ أليس البحر مثلنا عتابا لكل ما هو مكتمل؟ ألا نجبره على التقهقر حين ننظر إليه بعيون خالية من الشجن؟ المالنخوليا رد اعتبار لا ينتهي للامتدادات البحرية؛ يمتد البحر أبعد من شطآنه في تلك النظرات الحالمة

والتائهة، وتواصل المحيطات تدفقها المثالي نحو الحزن. لهذا السبب فقدت تلك العيون كل عمق...

لكم هو غريب أن تتجول بين النساء والمارة متسائلا عن جدوى أن تكون الله! مجترا وهم خلوده يقول: «هل سأكون سيد نفسي، فيما بعد حدودي؟» ويهمس المارة: «أنا أُفَضِّلُ فطيرة الصين».

أي حظ هذا؛ أن توجد إلى الآن نسوة تتجملن بالمرض، تفهمن مناخ الوجع وفقدان الوضوح! الذهن مادة رفعت إلى مرتبة المعاناة؛ وبما أن النسوة شرهات ألم، فهن يشاركن في الذهن.

البراءة نقيض الذهن، كذلك السعادة وكل ما هو ليس وجعا.

الحدائق صحارٍ إيجابية.

يجب الركض دون توقف، حين ينعدم انسجامنا مع العالم سواء عبر التفكير أو عبر القلب، للقيام بدورة حول أنفسنا على إيقاع خطواتنا، ونسيان أن كل ما هو موجود مصنوع من الدموع. دون هذا سوف نصبح بستانيِّي الانتحار.

الجنون هو سقطة الأنا في الأنا؛ هو حَنَق الهوية. لا شيء يمنع من أن نكون أنفسنا بلا حدود، حين نفقد أذهاننا.

المرض: مرحلة غنائية للمادة. من الممكن أن نكون أفضل: مادة غنائية.

من غير الممكن تفسير مفارقة، كذلك الأمر بالنسبة إلى عُطاس.

أليست المفارقة، في الحقيقة، عُطاسا للذهن؟

الحزن هو ذاك اللامُعرَّف الذي يتدخل بيني وبين الحياة. بما أن هذا اللامعرف هو مقاربة هشة للامنتهى...

حين نكون محبوبين نتألم أكثر مما لو لم نكن كذلك. مُهْملون، نواسي أنفسنا بالكبرياء، لكن أي مواساة يمكن ابتكارها لقلب ينفتح لنا؟

تخون الجبال عزلتها بمجاورتها للسماء، وتخون الصحراء عزلتها بشعرية السراب. وحده قلب الإنسان يبقى إلى الأبد مع نفسه.

من أين يأتيني هذا الميل الدنيء للتخبّط في الشقاء، أسوء من تمرُّغ الجواميس في المستنقعات، أو الخنازير في القاذورات؟ كسل ملطخ بالحلم والقاذورات...

... وحين نعلم أنه ليس إثما للحياة بل منبعه، وكيف أن الخمول يصبح خلودا بالقرب من النساء...

أتوقف عن الانتماء للعالم في كل مرة أنظر فيها إلى زرقة السماء؛ الأزرق تحديدا. من ذا الذي أعلن أنه اللون المريح والأشد نفاذا في الهلاك؟

لو كان للسماء مظهر آخر لكانت الديانة منشدة للأرض. لكن، وبما أن الأزرق هو لون التجرد، أصبح الإيمان قفزة خارج العالم. خلف كل فارق لوني دقيق، يظهر الأزرق إنكارا للتلازم.

كلما تعافيت مني، ازددت تشبها بي. تعفينا المالنخوليا من الأنا، إلى درجة أنها مرضه.

في مواجهة كلية الموت، يبدو لاشيء الحياة ضخما.

لقد قال القديسون الكثير من المفارقات، إلى درجة أنه من المستحيل عدم التفكير فيهم ونحن في المقاهي.

شعور الموت مُضن وفظيع، كما لو أن بجعة وضبعا يسبحان معا في الموجات المسمومة للدم.

حين نقرأ الفلاسفة ننسى القلب البشري، لكن حين نقرأ الشعراء لا نعرف كيف نتخلص منهم.

الفلسفة محتملة جدا؛ وهنا يكمن خطؤها: ينقصها الحب، والخمر، والشغف.

الواقع بدون الشعر نَقْص. كل ما لا يأتي من الإلهام هو نقصان. الحياة والموت أيضا حالتا إلهام.

غيبوبة كل شيء في قلوب تحتضر شعرا..

المالنخوليا؟ أن تُدفن حيا في احتضار زهرة.

حين نُصاب بحزن نبيل، متفلتين من الناس والعالم، سنجُرُّ احتضارا في الورود، كيف لا يمكن أن نصدق أننا ولدنا في أجيال عفوية، من خريف أبدي.

يتسكع في داخلي سبتمبر حالم وبلا بدايات.

شخص مزعج هو شخص غير قادر على أن يسأم.

الحياة طرح للأبدية انطلاقا من الموت، والفردانية أزمة اللامنتهى.

الانتباه المستمر إلى الكائن هو مصدر سأمه. يا للخسارة، فالوجود لا يقاوم الذهن! حتى الله يخسر وجوده بسبب انتباهنا.

العدم: الانتباه المطلق.

البهجة هي رد الفعل النفسي لوجود نقي؛ وجود لا قدرة له إلا على نفسه.

تُخفي رغبة الموت ضمانات متعددة للمطلق والكمال، وضمانات متعددة لعدم الحساسية تجاه الخطأ، حتى إن العطش للحياة ليكسب في سحر من خلال هيبة اللامكتمل وجاذبية الأخطاء المعطرة. أليس عشق النقصان أمرا شاذا جدا؟

تفضيل كل ما هو غريب ينقذ الحياة؛ أما الموت فغرق في البداهة.

ليست ثمة أية رفعة في الحياة ولا في الموت، تتعالى هذه الرفعة في اللاشيء فقط نحو السماء مثل [جبل] «المون بلان»؛ خالدة ومحايدة.

بالنظر إلى قمم الشيزوفرينيا، من الغريب أنه ليس هناك من عزلة إلا تلك التي تتجه نحو السماء. لا تترك الجبال الشاهقة انطباعا باللامتناهي، لكنها تخلف انطباعا بالرفعة. بالنسبة إلى اللامتناهي يكفي البحر؛ والشقاء أيضا.

أريد أن يكون لي قلب هناك حيث يلتقي الألب بزرقة السماء.

لا تعفي المالنخوليا من تسلق الجبال الشاهقة، حين نبدأ في فهم الجبال من الأسفل.

تجعلني النساء اللاتي لا تعرفن كيف تبتسمن أفكر في جوقة من رجال المطافئ في قلب الفردوس.

وحدها الصيدلية بإمكانها أن توقف الأفكار.

حين يفسد سُمُّ السهاد كينونتنا، لا شيء يمكن القيام به تحت الشمس بدون خدشه. باستثناء، ربما، حوار بين الورود حول الموت.

الغطرسة الشيطانية لمجابهتك بالمرارة كل شيء، وتشويه التفاهة في دوامة المفارقة، وزعزعة صمت الطبيعة بأهواء التناقض... لم يتبق غير انفتاح الذهن على واقع متجرد، وجهة نظر سوداوي تثقب هدوء النسيان، وتلطخ أي نضارة. لِمَ الاستغراب إذن من أن يبدو البجع - أرواح مشتتة في أجساد - أعور (ألا يرى من الجهات؟)، من أن سماء هادئة توقظ الأيقونة الملتمعة لدماغ غبي، وأن الحياة مضحكة أكثر من كياسة قديس؟

لو أمكن لجبال الألب غسل ذهني وإنعاش قلبي! وقتها فقط سأكون سعيدا لاكتشاف لطف الجهل، وأن لا أجتر من جميع الجهات، من البحار ومن الصحاري، الفضول القاتل لآدم؛ أَطْرُدُنِي مني بالأرق.

أن يعيش المرء كل حياته دراما إثم ما، وأن يشعر بنفسه أحيانا نقيا، فتحمله أجنحة بجع نحو جزيرة ملائكة تسهر على احتضار الفردوس.

ورغم ذلك فلا يمكن للمرء أن يكون إنسانا بأتم معنى الكلمة إلا من خلال الشعور بالإثم. فأن تكون إنسانا يعني أن تعرف نفسك قبالة ظاهرة السقطة، في أي منطقة من الأرض والقلب.

الذي لا يشعر بذهابه نحو العمق - حتى ولو كان يعمل أو يبتكر بشكل إيجابي سواء كان كاتب عدل أو عبقريا - لم يدرك أي شيء عن خصوصية النوعي البشري، وأولئك الذين لم يعرفوا الجاذبية القاهرة للشقاء، للانزلاق الجوهري، للنمو في اتجاه الهاوية، فهم لم يبلغوا إطلاقا الشرط المُقَدَّر لهم.

وحدهم أولئك الذين لم يجربوا غواية الانغماس الخصب يموتون، الذين لا يُسحقون في أول فرصة في الحياة. أما الآخرون فقد تركوا كل شيء خلفهم، وخاصة النهاية.

الوضوح: أن يكون لديك إحساس الضمير الغائب.

الناس في العادة أشياء؛ لذلك يُعبِّرون عن الحاجة إلى أن الله «موجود». حين بلغنا مرتبة الشيء، أصبح الله أبعد من أن يكون أو لا يكون. يصبح على غرار الأنا لا واقعية تبحث عن نفسها.

لا يمكن تحقيق التوازن في قلب العالم طالما هذا الوجود ليس سوى حالة. ولهذا نحن دائما إما في توافق أو على خلاف مع هذا الوجود. هذا الوجود بطبعه متعذر تبسيطه: مقاومة نجد أنفسنا

قبالتها، دون أن نكون ملزمين بمنحها الذاتية أو عدم منحها إياها.

اللاتوازن في العالم، باعتباره ثمرة حَنَق الوعي، يصدر عن عدم القدرة على تصور الواقع بشكل محايد. ومهما كان جهدنا، يظل حالة إما أن ننتمي إليها أو لا. تقلل حدة ذاتية الوعي من استقلالية الكائن: نربح منها بكثافة ويخسر الواقع، هكذا تكون الحصص متساوية بيننا.

ما الوعي؟ أن لا نكون في نفس المستوى مع الوجود.

بينما تتقاطع كل نقاط الكون في قلب إشعاعنا أثناء الانتشاء، توجد أيضا في الرعب على مسافة متساوية منا، من دون أن تكون نقطة واحدة منها لا مبالية بنا. لا شيء يفصلنا عن العالم رغم أنه قاسٍ معنا. الانتشاء والرعب - برغم اختلافهما الشديد - يورطاننا في هذا العالم.

من هنا، مندهشون من تناوبهما، ينتهي بنا الأمر إلى عدم القدرة على فهم الأنا، وتحديد ماهية العالم. لا شيء يبقى محايدا لكلا الاثنين، الكل يساهم ولا شيء يبقى في الخارج، لا شيء موضوعي.

لا نعرف، في الرعب، هل العالم امتداد سلبي للأنا أم العكس. في الانتشاء، لا نستطيع تصنيف الامتلاء إطلاقا؛ فلابد من تمازج متفرد يمتص اختلافات الكائن.

عالم من الحرائق الغيرية والحجارة الكبيرة ترقص رقصة كلاسيكية... أو جِيَفٌ تتبادل البسمات كما في الفودفيل.

لا بد أن يتم استدعاء الواقعية للحياة، أو منعها عن ذلك.

يصيب حضور الذهن، الذي أصبح جمعيا، شعبا ما بالضعف ويقربه من الانهيار، مريضا بالتدقيق في كل لأشياء. تأتي نهاية بلد ما في العادة جراء إجهاد التاريخ، من تعب حتمي يمكن تفسيره. النقصان النبيل لليونان وروما في نضجهما الغسقي يفترض مصيرا دائريا، وكفارة عالية لحدة متفردة للعالم. يُبتاع ماض الابتكار بآلام الحيوية، ولا شيء يعجب أكثر من شيخوخة جلية، مشرعة على شساعة المرارة.

لكن بعض الشعوب لا تندثر أبدا بالمبالغة في التفكير، أو بتحسن حالها بعد أن تكون قد بلغت قمما معينة. ألم ترفل هولندا، التي يُعادل فيها الفن التشكيلي الموسيقى الألمانية، في الصفاء؟ فبعد ارتفاعات تاريخية تدهورت، وسقط الناس في الشحوب... مختارين تمجيد الألبان. ألا تموت السويد خائبة في الرفاهية؟ ما الذي يمنعهما، في عز غسقهما، من التجفف بعز؟ وهل يمكن أن توجد بلدان بلا مصير، خشية من الضعف المتتالي للتاريخ؟ لا تحتفظ الصيرورة الكونية إلا بالشعوب التي لا تراعي نفسها ولا تقدر مصيرها، غير أنها تتجه بحماس ودون هوادة نحو الاحتضار.

تُبعد أمطار الابتكار الناس والبلدان عن الذهن. فالناس باختيارهم للصحة إنما يعارضون الطبيعة. هل تحتفظ الورود بعطرها كي لا تذبل؟ العطر هو تاريخ وردة، تماما مثلما الذهن تاريخ الفرد؛ فالشعوب التي لم تذبل لم تحيا أبدا.

7

يكون الزمن أحيانا ثقيلا، إلى درجة نرغب فيها أن نهشم رؤوسنا عليه.

تخثرت الصيرورة في الدماغ، واتخذ الوجود لون الإثم.

الفردانية هي تهتك للعزلة - إلى الخلف نحو الكائن أو اللاشيء، نحو خلاص - محروم من الآمال.

لقد كان بوذا رغم كل شيء غرا ساذجا...

في العزلات الكبيرة نعتقد أن شيطانا يشدنا من الحلق إرضاءً للمتعة الفظيعة لله.

لذلك يطرز الذهن علم أديان اللامسؤول.

تتلو المعرفةُ الخطأ الحيوي للحب، ويشيِّد العقل الحياة فوق خرائب القلب.

كل وضوح هو وقفة للدم.

هل يجب أن نعيش الشيخوخة والمرض والموت لننسحب من العالم؟ حركة بوذا هي رد اعتبار مبالغ فيه للبديهيات... تَخَلِّيه تنقصه المفارقة. لا نمتلك أي استحقاق لمغادرة الحياة حين نكون على حق. ولكن نعيش في خضم الشقاق الداخلي، وبأيدينا حجج ضد العزلة. إن اتجاه بوذا مُفَصَّل على مقاس البشر... لن يفهم صفاء الأمير المفكر أبدا كيف يمكن النظر للأشياء مثله، ومع ذلك أن نُحبَّ اللامعنى. هل كان بوذا، هو الآخر، معلما في المدارس؟ هناك الكثير من النظامية في تخلياته، والكثير من النتائج في مراراته. ولا مراء في أنه سيُدين حيرة كل من يجرُّ عدمه بين البشر، ولن يفهم كيف في فراغ هذا العالم يمكن الابتسام أيضا؛ ذلك أنه لم يعرف بعض قمم الشقاء؛ فقد عاش ومات مُوَاسًى. تماما كما هو الشأن بالنسبة إلى كل إنسان غريب عن الإغواء القاتل للحياة، عن إغراء عدم الوجود، وعن النيرفانا المُنشِّطة في كل لحظة.

سيجد الفيلسوف نفسه محاميا للقلب، حين تغرق كل الأفكار في الدم.

هل من الممكن أن يوجد الشر مرة أخرى ونحن نتأمل اللامنتهى الرائق لسماء صافية؟ ويغمر أزرق السماء ذهننا، لنكتشف أن الحلم وحده يمكن أن يبعدنا عن الخلود النضر للشر؛ عن الثمالة السلبية للصيرورة.

لقد سبقت السماء الناس، أما الشعر فهو موجود قبل كل شيء. كيف بقي الناس في الخلف إذن، في حين أن مجرد نظرة خاطفة نحو

الامتدادات الزرقاء هي ينبوع هذيان؟ لقد قدمت لنا السماء – التي كانت ستنغلق على نفسها لولا تدخل الشعراء، ولن يتبقى تبعا لذلك سوى التحديق في أعيننا – بقاياها؛ لنواسي أنفسنا في هذا الغرق الشعري الذي هو النظرة البشرية.

الوعي بالعدم مع حب الحياة؟ سيكون هذا ديدن مؤمن ببوذا يتفسح في الشارع...

بإمكان فكرة أن تطفئ متعة وتبتكر شهوة؛ مخدرة لردود الفعل، وموقظة للتأملات. لا نفكر إلا عندما تتوقف الحياة.

حين لا يعثر كائن ما على توازنه في الوجود، يجد نفسه في حضرة الشر؛ ومن هنا تُشْتَق كل خيبة. وبما أن الشر ملازم للصيرورة، فكل الكائنات مطالبة بالمقاومة معه.

بما أن الله في حد ذاته غير جالس في ما ينقص من شرطه، فهو مساهم في الشر. فضلا عن ذلك، أليس هو الخائب الأكبر؟

أما فيما يخص الإنسان الذي يبحث عن مصيره منذ آدم، فلقد حصل على كرامة من مقاومته إلى جانب الشر. لخيبته شيء ما مُعَزٍّ وبطولي؛ وبما أنه غير حاضر بوصفه كائنا، لا موقع له في الوجود، فقد جعل لنفسه شرطا في غياب الشرط، بشكل لا تتوفر فيه لأحد القدرة على أن يقول إنْ كان الإنسان شيئا ما، أو لا شيء، أو هو كل شيء.

نميز الحيوان من الرب، وفي جميع الأحوال هم موجودون. لكن

الإنسان غير موجود؛ أليس هو عامل اتصال بين العوالم؟ آه، هل هو فعلا كذلك؟ لكن هذا الشرط هو تعريف الشر ذاته.

لا يجد الشر تفسيرا مقنعا له في علم لاهوت «جاد» يحاول إنقاذ الله بشكل حاسم. لقد أظهرت الربوبية عجزها أمام هذا العائق الجوهري.

لقد جعل وجود الشر من القدير الأعلى مطلقا منهوكا، لقد قلَّصت الصيرورة لغزه وقلَّمت قوته.

لا ينسجم الشر إلا مع إله... لائيكي.

لا يعرف الإنسان إلى أي مدى يمكن أن يمتد، ولا إلى أي مدى تصل حدوده. ننسى في كل لحظة حتمية الفردانية، ونعيش كما لو أننا فقط ما نراه. بدون هذا الوهم، ومهما فعلنا، سنكتشف حدودنا.

غير أن الوعي البشري سيقيِّدنا في هذا العالم، لأنه سيكشف لنا وبشكل قاهر موضعا من الصعب أن نتباهى به؛ هكذا نكون قد ضعنا بسبب عدم معرفتنا لحدودنا، وربما سنضيع أكثر لو عرفنا تلك الحدود.

يتحسس الإنسان مصيره، فرحا وحزينا [في الآن ذاته] بعدم العثور عليه. الكارثة وحدها تكشف صِغر الفردانية، لأنها تُفْهِمَنا بدون أمل في المواساة، أننا محدودون في كل شيء، وبدرجة أولى محدودون في أنفسنا.

لا يعرف المفكرون الذين لم يصرفوا وقتا للتأمّل في الإنسان

معنى الألم من أجل المعرفة، وتوقيعه لإعدامه مع كل فكرة جديدة، أو إراحة تنقلاته في أنانية حزينة. الأنتروبولوجيا مزيج من علم الحيوانات والتحليل النفسي، ومن الممكن تشييد يوتيوبيات بمجرد النظر إلى الورود. أليس الفردوس زائدة دودية في علم النبات؟

تجعلنا الشهوانية نخرج من العالم، مقارنة بالمتعة، التي بمخاطبتها للحواس فقط، تبقى محرومة من الفروق الدينية. لا شيء يذكرنا بالسماء سوى القشعريرة التي نرغب من خلالها في أن ننساها.

بالموت فقط يتوقف الإنسان عن أن يكون نبتة زُوان الوجود؛ بحيث يظفر بشيء ما من المرض النقي للورود. ومثلما تتناسل الأفكار من هشاشة غسق اللحم، تنمو الورود في ضعف حالم للمادة.

لا يجب أن تكون قادرا على الاستبطان ولا يجب أن تعرف التاريخ كي تؤمن بثبات بالإنسان. لعلماء النفس والمؤرخون وحدهم الحق في ازدراء المثل العليا.

لا شيء يأتي ولا شيء «يحدث» في فجوات الحيوية. تخلق الرغبة الزمن؛ لذلك يظهر فجأة الغياب الهائل للزمن مع توهم انهياره في الفراغ الداخلي، حين تصمت الرغبات في صحراء الشهية وبُكْم الدم. وحين تُفتت ساعة كاتدرائية قديمة الوقت في الليل، تكشف لنا دقاتها وبشكل مؤلم جدا كيف يفلت الزمن خارج العالم. هكذا تصبح الضخامة تنهيدة خالدة للحظة؛ حيث يُدفن ذهننا وجسدنا.

في قشعريرات العزلة، يجتاحنا الشعور أننا مصنوعون من مادة أخرى غير تلك التي صُنع منها العالم. ومهما كانت الاعتراضات الجذرية التي نعثر عليها لنرفعها، لا يمكننا عمليا تجاوز هذه العزلة الموجعة، ومن الصعب تبسيطها. يبدو الآخرون ضحايا خطأ غير مُصرَّح به، والوجود فراغ منذور لأهواء انحرافنا. ما الذي جعلته ينمو فيك كي لا يستطيع الوجود احتواءك؟ تبدو الأبدية قصيرة جدا لروح شاسعة ومجنونة، غير مترابطة في لا تناهيها مع الوجود. ما الذي سيصل إليها من عالم أصبح أبكم؟ بإمكان فكرة ما أن تجفف بحارا، غير أنها عاجزة عن تجفيف دمعة؛ تجعل للكواكب ظلالا، غير أنها لن تنير فكرة أخرى؛ إنها هالة للحزن الشديد.

ينتج الوضوح عن تقليل في الحيوية، مثل غياب الوهم. لا يتجه *الأخذ بعين الاعتبار* اتجاه الحياة؛ وهو ما يصدق على *أن تكون في وضوح* مع أي شيء آخر. نوجد بقدر ما نعرف أننا غير موجودين؛ فأن نكون يعني أن نخون ذواتنا.

حين يبدو لنا الوجود محتملا، يصبح كل شاعر وحشا. (يكون الشعر دائما حاسما، أو لا يكون)

نكون أناسا إلى حدود اللحظة التي تشرع فيها العظام في الصَّرير احتكاكا من الحزن... بعدها تنفتح كل السبل قدامنا.

بدون الرغبة في الموت ما كان بالإمكان أن أحصل على اعتراف القلب.

حين أجوس بيديَّ على أضلعي وكأنني أمسك بماندولين، يتخذ الشعور بالموت شكل الخلود.

وحين يقول اللاشيء كل شيء، تشتعل المعاني في فراغ الروح. لذلك يبقى عدم المرأة حيا مقارنة بعدم العالم.

كلما كانت حججنا من أجل الحياة، كلما زادت صلتنا بها. فلا قيمة للحب الذي نشعر به نحوها إلا من خلال كثافة العبثي.

بما أن كل شيء في صالحه، توقف الموت عن الإقناع: لقد كانت مساندة العقل له قاتلة.

غياب الحجج أنقذ الحياة: كيف يمكن أن نظل باردين قبالة فقر بهذا الشكل؟

أن نكتب سيرة غيمة أسهل بكثير من أن نقول شيئا ما عن الإنسان: ما عسانا نقوله وكل ما يتعلق به هام؟

بإرادة جيدة، يؤكد الله حضوره في تعريف ما؛ بينما لا يستطيع الإنسان ذلك. كل شيء يمكن تطبيقه على الإنسان، يمكن أن ينسجم معه، كما هو الشأن بالنسبة إلى كل ما هو موجود وغير موجود.

الكسل شكوكية اللحم.

تفترض الحاجة للبرهنة على إثبات ما لمتابعة الحجج من كل الجهات، ضعف الذهن، ولايقينية الذكاء والشخص عموما. حين

تتملكنا فكرة بقوة وبعنف، فهي تنبثق من جوهر وجودنا، وإثباتها ومحاصرتها بالحجج يضعفها ويشككنا في أنفسنا. لا يحتاج الشاعر أو النبي إلى التفسير؛ لأن فكرتهما هي كينونتهما؛ لأن الفكرة لا تختلف عن وجوهما. والمنهج والمنظومة هما بمثابة موت للذهن. حتى الله يفكر بالشذرات، ولكن بالشذرات المطلقة.

في كل مرة نحاول فيها البرهنة على شيء ما، نجد أنفسنا خارج الفكرة، بجانبها، وليس فوقها. يعيش الفلاسفة بشكل متواز مع أفكارهم؛ يتبعونها صبورين ووديعين، وإن التقوا بها أحيانا، فلن يكونوا بداخلها. كيف يمكن الحديث عن الوجع، والخلود، والسماء، والصحراء بدون أن نكون وجعا، وخلودا، وسماءً، وصحراء؟

على كل مفكر أن يكون كل ما يقوله. نتعلم هذا من الشعراء ومن اللذات والآلام التي نشعر بها ونحن أحياء.

يشبه الفراغ الداخلي موسيقى بلا أصوات، غناءً بلا أصوات أيضا. تتدخل تموجاته اللاصوتية خفية بيننا وبين العالم، فاصلة إيانا عن الحياة في خضم العيش، وعن الموت في خضم الموت. إلى أي علو موجع يأخذنا ذهن الكينونة؟ لماذا نشعر بوجع شديد عند كل مقاربة، لماذا ينشط التنفس لكل ما هو بعيد؟

حين تخفض أذنك لسماع دقات قلب ثمل لتغذية الحزن الشديد والشهواني للرعب، فأين هي وقتها تلك الأذرع التي توثق عظامي

المرتجفة تفكيرا.

أي إصغاء هذا الذي أدركته في الأفق، وبشكل غامض، جوقة من الصبيان المجانين، حين أغمض عينيَّ فتتمدد حدودي أبعد من حدود العالم؟

الصوت المنكسر لصبي خلال الأبدية اللايقينية لظهيرة صيفية يكدِّر أكثر من صلاة مختل عقليا، أو الابتسامة القطعية لمنتحر.

ليس من حق مفكر أن يناقض أفكاره أكثر من الحياة.

ليس هناك أي معني لأن تكون شاعرا فقط، أو رياضيا، أو جنرالا.

ربما لا توجد النساء إلا من أجل إثراء الإلهام، وربما أكثر من ذلك؛ هذا العالم ليس إلا مبررا للشعر.

لم يتغن الشعراء لا بالأرض ولا بالسماء، ولكنهم تغنوا بشكل من أشكال عالم خلفي لا يوجد إلا في اكتئاباتنا.

الشعر في الحديقة: حالة في حالة.

التواني مالنخوليا مستخرجة أساسا من الفيزيولوجيا.

يشكل شلال متخفٍّ ما نسميه عادة الروح...

أليس الله شيئا آخر غير غواية لإشباع حاجتي اللامتناهية للموسيقى؟

كل من يعشق التصوف، والموسيقى، والشعر يمتلك بالأساس طبيعة إيروتيكية، وشهوانية نقية، لم تعثر على تعويض ممتلئ في الحب، فلجأت إلى لذات تتجاوز الحياة. لو بلغنا المطلق في الحب، فأي معنى لهرولتنا خلف لذات دائمة؟ لن نكون في حاجة إليها، ولنفترض أنها لا تعنينا سوى تجريديا فلن تنتج سوى شغفا دائما وحادا.

في الحب المُنجز - مع كل الفظاظات الملازمة له - نعيش امتصاص عوالم أخرى كما لو أنها تسلية أو مبررا. كيف يمكن للموسيقى، وللتّصوّف، وللشعر أن يكونوا إذن جوهرا للحياة؟ يفترض القفز خارج العالم مبالغة في الفردانية؛ تماما مثل كل شهوة ناتجة عن الحب المباشر، شرعية وإجبارية للنوع البشري.

ليس من الممكن تصور قوة بدون مرض. ومن اللافت جدا أن أشد الناس خطرا هم أولئك الذين يعانون من شيء ما في صحتهم.

التاريخ ينجزه الأشخاص الذين لا يتوقفون عن جس نبضهم.

تتمثل العناصر التي تحدد [طبيعة] المرض في: مبالغة في الوعي، وذروة في الفردانيةِ، وشفافية عضوية، ووضوح فظيع، وطاقة نسبية لـ «النقصان»، والمفارقة بوصفها عملية تنفس، وذهنية دينية تُحَوَّل نباتية، وتأمل، وزهو غريزي، وغرور اللحم المجروح، وحساسية مفرطة، ولياقة ملاك، وحيوانية جلاد.

كل مريض يتخذ مظهر إله يتسول عند باب الفردوس. ثم، ألا

يشبه مفارقة تسربت في كل خلية من خلاياه؟ المرض حالة إلهام نسيجي، جنون عظمة اللحم، وتفخيم إمبريالي للدم.

حين نقع مرضى، جزئيا أو كليا، يساورنا إحساس أن الطبيعة شرعت في التفكير: أقصى ما يمكن من إيجابية السلبي، وامتصاص الأحساء نحو الذهن، وجهد جدلي للمادة، وتطبيق تجريدي فوري.

بدون المرض فنحن دائما في الفردوس. أما علم الأمراض فمعنيٌّ بحالات عبقرية الطبيعة.

الصحة هي نقصان الكثافة. لا يتمثل الخوف من المرض إلا في الاضطراب الذي نشعر به أمام امتلاء لم نتهيأ له، ويرعبنا لأننا تعودنا حياد التوازن، بينما المرض هو قوة تنامت من خلال مجاورتها للاشيء.

كل ما ليس بموسيقى فهو مظهر، خطأ أو إثم.

أوه! لو أن أبخرة الموت تصَّاعد في سوداوية نحو السماء لتلف بنشيد صوتي نجمة ثابتة!

لو لم تكن ثمة مالنخوليا، هل كانت الموسيقى ستلاقي حتفها؟

حين ننجح في إذابة كل الحياة في بحر صوتي، سوف نتحرر من أي إلزام نحو اللامتناهي. بعض الموسيقى تجتاحك فاتنة بشكل مطلق، حتى إن الانتحارات تبدو انفعالية، والبحر يبدو مدعاة للسخرية، والموت نكتة، والشقاء مبرر، والحب سعادة. لن نستطيع أن نفعل أي شيء، لن نستطيع أن نفكر؛ بل سنرغب وقتها في أن

نتطيب في تنهيدة.

يبدو أن «فاغنر» قد اعتصر كل الجوهر الصوتي للظل.

من يعشق الموسيقى حقا لا يبحث فيها عن ملاذ، بل عن نكبة نبيلة؛ ألا يتعالى الكون من أجل تمزقه؟

تستقر الموسيقى على غرار الأفكار في فراغات الحياة. دم طازج ولحم طري يقاومان الإغواءات الصوتية: ليس هناك فضاء بالنسبة إليهما؛ لكن المرض يترك لهما مكانا. بقدر ما يقرض الحياة، يتنامى المطلق. أليس موحيًا أن كل شيء يذوب بداخلنا في لا منتهى الموت، وتُضيِّع المادة حدودها، ونكسر حدودنا لنترك المجال حرا لاجتياح الصوت والموت؟

كل واحد منا يحمل في داخله بدرجات متفاوتة نوستالجيا الفوضى، التي تعبر عن نفسها عن طريق عشق الموسيقى. أليس هذا هو الكون في حالة نقاء افتراضي؟ الموسيقى هي كل شيء، بينما العالم أقل من ذلك.

المرض منفذ لا إرادي نحو المطلق.

الوضوح رد فعل الإثم اليومي تجاه الكينونة، والمعرفة شكل فظ للنوستالجيا.

كيف ستنعكس حياة على روح غير ملطخة بالمعرفة؟ سوف تكون الإجابة مريحة، لو كنا نعلم كيف يحيا المؤقت كأبدية، وكيف خلقت الملائكة، أو إلى أي مدى يذهب المشهد الداخلي للحماقة.

نحن في الله أكثر عزلة من أن نكون داخل سقيفة باريسية.

لو أمكننا أن نفكر حين تشتعل الأفكار! لكن أي فكرة من الممكن أن تتشكل حين يصدر الدماغ عن الدخان، ويطلق القلب شراراته. نرغب في نوستالجيا الموت، وليس الموت تحديدا، لأننا لم نبلغ حافة القرف من الحياة، ومازلنا فخورين بخطأ وجودنا.

غير أن الذي يشعر بنوستالجيا الموت ما عاد بإمكانه أن ينسجم لا مع الموت ولا الحياة؛ هما معا رهيبان. ليس هناك من لذة إلا في هذه النوستالجيا... عند هذه الحدود المثيرة للقشعريرة التي تُحدِث اللَّبْس الرقيق ـــ المرير للموت.

في كل مرة أرفع فيها عينيَّ نحو السماء، لا أستطيع كبح جماح إحساس بخسارة لا متناهية. ماذا لو ذهبنا في حرب صليبية ضد الأزرق! بأي جموح سأذهب وأدفن نفسي في لون الندم الهائل!

لقد اشتعل الخريف بداخلي، وقلبي انقلب على نفسه.

يلفني النشيد الطويل والمتبخر للموت مثل زبد الأبدية. وفي الخدر المغري للنهاية، أُصبِح حُطاما متوَّجا في بحار موسيقى الله، أو ملاكا يحلق في قلبه.

لأنهم يحبون الحياة كثيرا، ليس لليهود شعراء.

الذوق البنفسجي للشقاء...

لهبوط الليل شيء من جمال هلوسة ما.

لقد أضاعت الأزمنة الجديدة معنى النهايات العظيمة إلى درجة أن المسيح مات، اليوم، على كنبة. بإبعاده للتيه، قلَّل العلم من البطولية، وعوضت البيداغوجيا الأسطورة.

الصيرورة رغبة محايثة للكائن، بُعْد انطولوجي للنوستالجيا؛ بحيث إنها تجعل من معنى «روح» العالم شيئا معقولا.

لماذا كلما غرقنا في سر الصيرورة استبدت بنا قشعريرة عاطفية واضطراب شبيه بالدِّين؟ ألا تكون الصيرورة هربا بعيدا عن الله؟ وسيرورتها الممزقة، أليست عودة نحوها؟ هذا ممكن، لأن الزمن يلهث في كل لحظاته خلف المطلق. تعبر النوستالجيا بشكل مباشر ودراماتيكي عن استحالة تحديد الإنسان لمصيره. من «صيرورة» مصابة بالتضخم، يتذوق في لا استقراريته، عَدَمَ شرطه [الإنساني]. ثم، أليس كما لو أنه «يتعجل» مع الزمن؟ ألا يبدو الأمر وكأنه يسرع مع الزمن في كليته؟

إذا كان كل ما هو كائن غير مسبب للألم بالنسبة إليَّ، فكيف يمكنني أن أتوجع من وجودي؟ ومن دون المبالغة البلسمية للوجع، من ذا الذي يتحمل عقاب أن يحيا؟ لكن، مثقلين ومضطهدين، سنسترخي في حماس مأتمي نحو الخلود، نحو أبدية موت تسمى أيضا حياة...

8

لا تعبر الرغبة في الموت أحيانا إلا عن دقة كبريائنا: نريد أن نكون أسياد المفاجآت الحتمية للمستقبل، وألا نقع ضحايا كارثته الجوهرية.

لسنا أرقى من الموت إلا بالرغبة فيه، لأننا بانخراطنا في الحياة إنما نموت موتنا. حين يكتمل الموت فينا مع لانهايته، تصبح لحظة الختام مجرد نغمة ميلودية. وإنه لنقص أنفة أن لا يمنح المخلوق قلبه للإنهاك الشهواني للموت؛ فحين ننطفئ نهائيا نطفئه دون توقف في داخلنا، ونختزل لامنتهاه. من لم يعرف حميمية الموت قبل أن يموت، فسيتمرغ مُهانا في المجهول. سيقفز في الفراغ؛ بينما بسقوطنا في براثين الموت، سننزلق فيه كما ننزلق نحو ذواتنا.

حين نعرف مذاق الموت، يصبح من المستحيل الاعتقاد أننا عشنا دون أن نعرفه... أو قد مررنا آنفا عبر نعومة مشاهد الاحتضار بأعين مغلقة. يا لها من إثارة عجيبة تتلو برعمة الانطفاء وانشراح

التنهدات اللانهائية! شباب دائم عند الغسق، معزز بما ينتهي، يبحث عن امتدادات الموت لأن الحياة ليست متسعة جدا، فيحبس أنفاسه حتى لا يغطي ضجيج الحياة حلم النهاية الذي يتفتت!

هناك ساعات ظهيرة خريفية بدرجة من الجمود السوداوي، إلى حد أن التنفس يتوقف على أنقاض الزمن، ولا قشعريرة يمكنها أن تنشط ابتسامة مذعورة على غياب الأبدية. وقتها، أفهم عالما ما بعد - قيامي.

لا يجب أن نرى في الله سوى علاجا ضد الإنسان.

بإمكاننا الإفلات من عذابات الحب من خلال إذابتها في الموسيقى. هكذا تفقد عنفها الحارق في هذا الاتساع الشاسع.

حين يكون الشغف حادا، فالتعرجات الفاغنارية تمططه نحو اللامنتهى، والعذاب المنحل يترك نفسه لهدهدة أبخرة تحلل مستوٍ، ونمتد خريفيا على صحراء ميلوديا ما...

ينسجم فاغنر - موسيقى الانقطاع اللانهائي - مع التنهد المعماري والرمادي لباريس. فهنا تخفي الحجارة غسقا موسيقيا، ممتلئا بالندم والرغبات... وتلتقي الأزقة للبوح بأسرار تنكشف رغم ذلك لعين مكروبة. وحين يبدو الأزرق السماوي الذي يغطي باريس قد كثَّف الأبخرة في شكل أصوات، تلتقي الذبذبات الصاخبة للمقاطع الفاغنارية بالسماء.

تئن روح كاتدرائية في الجهد العمودي للحجارة.

كم أريد أن تداعبني أياد تعرف كيف تترك الوقت ينزلق...

أو تبكي من خلال عيون منتزعة من فردوس يلتهب.

لقد اقتنعت أكثر الآن أن الناس ليسوا سوى أشياء: سيء وجيد لا ثالث لهما. أما أنا فهل سأصير شيئا ما أكثر من مجرد شيء حزين؟ لطالما تألمت، ليس بسبب العيش بين الناس، ولكن بسبب أنني إنسان، فبأي حق أجعل من أتعابي قمة؟ مادة تستحي من نفسها تظل دائما مادة... ولكن...

حين سكت الذهن، لماذا ظل القلب ينبض؟

وعلى ماذا ينفتح الأخضر المزرق للعيون طالما مازال الدم أعمى؟

أي ضباب سميك يعبر الأحشاء، أي جدران تنهار في اللحم؟

وفيمن تصرخ العظام داخل السماء، ولماذا تثقل السماء حزني الذي يلهث نحو اللاشيء؟

وأي نداء للغرق يدفع بأفكاري نحو مياه راكدة؟

إلهي! بأي حبل يمكنني الصعود إليك لأهشم جسدي وذهني على لامبالاتك؟

لا يعيش الناس داخل أنفسهم، إنما داخل شيء آخر. لذلك لديهم إنشغالات لأنهم لا يعرفون ماذا سيفعلون بفراغ كل لحظة. وحده الشاعر، يوجد في داخله مع نفسه. والأشياء، ألا تقع مباشرة

على قلبه؟

مَن لا يمتلك الشعور بأن الواقع يتنفس من خلاله، أو حتى توهم ذلك، فهو لا يرتاب في الوجود الشعري.

يكمن سر الشاعر في أنه يعيش ذاته باعتبارها كونا؛ ولاسيما الأرواح الشعرية، التي تلاطف – عبر وساطة نقاء عجيب – المعاني في تكتم، لكي يستمر افتتان بلا حدود ودونها تعبير في خلود حالم، غير مكفن بالقصائد. لا شيء يقتل الشعرية الداخلية والسوداوية المبهمة المتسعة للقلب أكثر من الموهبة الشعرية. شاعر أنا من خلال كل الأبيات التي لم أكتبها أبدا...

الشاعر أناني بما أنه مهووس بنفسه: كون أناني. ليس الشاعر بالحزين، غير أن العالم برمته يغتم داخله. تتخذ نزوته شكل انبعاث كوني. أليس الشاعر هو النقطة الأضعف مقاومة؛ حيث يصبح العالم شفافا لنفسه؟ أليست الطبيعة مريضة فيه؟ بمجرد ما يصاب الكون يظهر الشعراء...

كيف لا يمكنني أن أتألم لأني إنسان، وأنا أرى البشر وهم يلهثون خلف مصائرهم؟

سوف يبدأ التاريخ، التاريخ الحقيقي، حين نعيش إحساس أن الإنسان لن يعود إنسانا في القريب. لقد عشنا إلى حد الآن مع مُثُل عليا، بعد الآن سوف نعيش بإطلاق؛ أي أن كل واحد منا سيرتفع في عزلته الخاصة، وقتها لن يكون هناك أفراد، بل عوالم فقط.

لقد سقط آدم في الإنسان، نحن علينا أن نسقط في أنفسنا، في أفقنا. ينتهي التاريخ عندما يعيش كل واحد منا حتى حدوده القصوى؛ وهذا هو التاريخ الحقيقي، انقطاع السيرورة في مطلق الوعي. لن تترك روح الإنسان بعد ذلك أي مكان فيها لأي إيمان، سنكون ناضجين جدا، حتى إن الوقت سيكون قد فات على تبني مُثل عليا. طالما نحن نتشبث باليأس والأوهام، فنحن أناس لا دواء لنا، ولا أحد منا نجح تقريبا في أن يستقيم واقفا أمام العالم ولا أمام اللاشيء. نحن أناس، أناس للغاية؛ ألا نشعر دائما بحاجتنا للمعاناة؟

أن تكون «فانيا» فذلك يعني عدم القدرة على التنفس بدون أن تكون ظمآنا للألم: فهو أوكسجين الفرد، والشهوة التي تتدخل بين الإنسان والمطلق؛ ومن هنا تنتج «الصيرورة».

إن لم أحب معالجة أخطائي برقة، وإن لم ألطف الوعي بخيانات رقيقة، فإلى أين سيقودني الأرق القاسي في عالم ضيق بشراسة؟

ليس هناك أي جنون يواسيني بالقليل من هذا العالم، في اللحظات التي يكون فيها القلب نافورة ماء في الصحراء.

لقد فشلت التجربة الإنسانية؛ بحيث إنها أصبحت مأزقا، في حين أن اللا - إنسان هو بمثابة إمكانية أكثر من ذلك.

انظر إلى شبيه من أشباهك في عينيه بعمق: ما الذي يدعوك للاعتقاد أنه لم يعد هناك ما يمكن انتظاره؟ الإنسان قليل جدا....

ما الخوف من الموت، من العتمة، من اللاوجود مقارنة بالخوف من الأنا نفسها؟ هل يوجد خوف آخر؟ ألا يُختزل كل خوف في هذا الخوف من الأنا؟ السأم اللانهائي من العيش، السأم من الأشياء التي تصير ولا تصير، رعب عالم وقع في الاهتزاز وضجيج الزمن يتعثر في أحاسيس ناعمة. من أين تنبع هذه الأحاسيس إن لم يكن من القشعريرة التي تجعلنا غرباء تجاه أنفسنا في قلب أنفسنا؟ كما لو أنه حيثما ذهبنا، لا نقع على شيء أشد كارثية من أنفسنا؛ لأننا أنفسنا هذا الشر الذي يغطي العالم مثل قبة، ولن نكون مع أنفسنا دون أن نكون ضدنا! تلك المغارات المخفية تثير الرعب أقل من الفراغ الذي نفتحه في كل مرة حين نرسل عينا في اتجاه قبو كينونته. أي شيء ذاك الفاغر في مركز دواخلنا؟ هل مازال من الممكن أن نبقى مع أنفسنا؟ لماذا مازالت الأشجار تنظر نحو السماء عوض أن تقلب أوراقها لتخفي حزننا وتدفن خوفنا؟

هل باستطاعة أحدهم أن يقرأ دراما ضرورة ترجمة الدموع جدليا، عوض أن يتركها تنساب شعرا.

من ذا الذي سيعلم ذات يوم أية حواجز يجب وضعها أمام الرغبات كي تستطيع الفكرة الانبثاق؟ كم من تخلٍّ يُكلِّف تبرعم الذهن؟ وإلى أي درجة يصير فيها الذهن خريف الشباب!

إلهي! خلصني من نفسي، فلقد تخلصت من عطور العالم وروائحه النتنة من مدة طويلة، ارفع نفسي نحو توبة مليئة بالغناء، ولا تتركني قريبا من نفسي، لكن مُدَّ صحاريك بين قلبي وفكرتي؛

ألا ترى أن الروح العدوانية لمصيري منذورة للتجديف والبكاء؟

أي صلوات قد أعثر عليها لك أيها العجوز العاجز، ومن عمق أي إرهاق سأصرخ باتجاه لا مبالاتك؟ لكن من يقول لي إنني أنا أيضا عجوز، بل وأشد منك طعنا في السن، وأن قلبي أشد بياضا من لحيتك؟

لو تركت المجال حرا لأصواتي، ففي أي الأصقاع سوف تجمعنا الفكرة؟ ألا ترى يا إلهي أن كل واحد منا سوف يموت من أجل الآخر، منذورَيْن للانهيار؛ فلا أنا ولا أنت عرفنا كيف نبتكر سندا لنا من خارجنا.

لقد أردت الاعتماد عليك وسقطت؛ لقد أردتَ الاعتماد عليَّ، ولم تجد على ماذا تسقط!

يمثل الشِّعر، مقارنة بالفلسفة، تكثيفا أكثر ألما وعزلة. ورغم ذلك يظل لحظة هيبة بالنسبة إلى الفيلسوف: حين يشعر أنه وحده مع كل ما لديه من معرفة، وقتها تبلغ التنهدات درجة المنطق. وحدها عظمة مأتمية تستطيع أن تجعل الأفكار حيوية.

الله هو الوسيلة الأنظف لإعفائنا من الحياة.

ليس الكلبيون «فوق» الإنسان ولا «تحته»، بل هم «ما بعد الإنسان». يمكننا أن نفهمهم، بل وحتى نحبهم، حين ينفلت من عذاب فراغنا اعتراف مُوَجَّه لأنفسنا، أو إلى لا أحد: لقد كنتُ إنسانا، والآن لم أعد كذلك. يحدث هذا حينما لا يكون بداخلك أي

إنسان، ولا حتى «ديوجين»، كل هذا وأنت فارغ حتى من الفراغ، ولا يصفر في أذنيك العدم...

الرومنسية الألمانية؛ ذلك العصر الذي عرف فيه الألمان عبقرية الانتحار...

حين نقترب من الله عبر الشر، ومن الحياة عبر ظلالها، فإلى ماذا يمكن أن نصل إن لم يكن إلى صوفية سلبية وفلسفة غامضة؟

إننا نؤمن بدون إيمان ونحيا بدون حياة... تتلخص المفارقة في حنانٍ مسلوخٍ يدعم الغسق ويعتم الأفْجُر.

مفتونون بهذا الإرهاق الذي هو المعرفة، لن نشعر إلا متأخرين بالتعب الهائل الذي ينجم عن أرق الذهن. وقتها نبدأ في الاستفاقة من المعرفة، والتأوه بعد فتون العمى.

بما أن الفكرة تنبثق من ضرر اللحم، وبما أن كل فكرة هي عيب إيجابي، يدفعنا فائض الذهن نحو نقيضه. هكذا، تظهر الرغبة الخفية للنسيان، وعدوانية الذهن بخلاف المعرفة.

يلتصق الإنسان جدا بفراغ الوجود إلى درجة أنه يهب حياته في أي وقت من أجل هذا الفراغ، وهو مبلل بالسأم اللانهائي إلى درجة أنه يحتمل تعذيب الحياة له كما لو أنه لذة.

كلما زادت قناعتنا بصِغر كل شيء، زاد تعلقنا به. ويبدو الموت قليلا جدا لإنقاذه. لهذا السبب كانت الديانات ضد الانتحار: فكلها تريد أن تسبغ معنى على الحياة في الوقت الذي تفتقد فيه هي أي

معنى. ولا يكمن جوهر الديانات إلا في كونها *عدمية ضد الانتحار*. كل خلاص للبشر يجد منبعه في النتائج الأخيرة.

ما الذي سنفعله بالوصفة الجميلة للمشاعر لدى الفلاسفة، بدون الأهواء المضطربة التي تمنحنا إياها الموسيقى؟

وما الذي سنفعله بالزمن الأبيض، الفارغ، المنفصل عن الحياة؛ بزمن السأم الأبيض؟

لا نحب الموسيقى إلا على ساحل الحياة. مع «فاغنر»، نحضر احتفالية المضيء - المعتم، نحضر نشكونية الروح، ومع «موزارت – Mozart» نحضر احتفالية الورود في فردوس حالم بسماوات أخرى.

كل يأس هو إنذار لله.

العصبية عند الإنسان هي ما تعنية الألوهية عند الله.

تهرب الأفكار من العالم إلى التبدد، وتُسْرِعُ المعاني نحو السماء. أين يهرب المنطق، حتى أسكر بغيابي وغياب العالم؟ إلهي! كم أنت صغير مقارنة بكارثة أبنائك! ليس فيك أي مكان نحمي فيه رعبنا؛ كيف سيكون هذا وأنت لا تملك مكانا حتى لنفسك! سوف أختبئ من جديد في القلب المُغْبَرِّ لذاكرتي!

ليس من كائن أبدي إلا الذي لا علاقة له بالحقيقة.

النساء اللاتي لا تجيز لهن الحيوية مجرد ابتسامة واحدة... [مثل] «جاكلين باسكال» أو «لوسيل دي شاتوبريان». أي سعادة في أن

الحياة ليس بإمكانها أن تنتزعنا من المالنخوليا! «سأرقد نوم ميِّت على قدري» (لوسيل). هذا العالم أنقذته بعض النساء اللاتي تخلين عنه.

فقر الدم هو هزيمة الزمن بالدم.

لا شيء يُعبِّر بشكل مضطهد عن خيبات الروح المتدينة سوى الرغبة النوستالجية في السم. أي ورود مسمومة، أي منومات قاسية تشفينا من وباء النور المرعب؟ وأي زوبعة توبة يمكنها أن تفرِّغنا من روحنا عند حدود الكائن؟

الزمن فصل من الأبدية: ربيع مأتمي.

لقد خلق انفصال الكائنات عن العدم الأولي ظاهرة الفردانية؛ وهو مجهود حقيقي بذلته الحياة في طريقها نحو الوضوح. لقد تشكلت الفردانيات مثل نداء صارخ نحو الوعي، ولقد انتصرت الكائنات في مجهودها للانفصال من غموض الكل. طالما أن الإنسان بقي كائنا فقط، فلن تتجاوز الفردانية أطر الحياة؛ لأنها تعتمد على الكل، وهي الكل. لكن الحماس نحوها، من خلال سحبها من مركز الكون، منحها وهم لا نهاية ممكنة عند الحدود الفردية. هكذا بدأ الإنسان في خسارة حدوده وصارت الفردانية عقابا؛ وهنا تكمن هيبتها الموجعة. فبدون المسار المغامر للفردانية، لن يكون الإنسان أي شيء.

حين لا نعطي قيمة لأي شيء، نقيس أنفسنا بالله؛ فكل إفراط

يقربنا منه، لأنه يمثل عدم قدرتنا على التوقف في جهة ما. كل ما ليس له حدود - كالحب، والهيجان، والجنون، والكراهية - له أساس ديني.

المالنخوليا هي من الجنون بالمعنى الذي يتجاوز فيه العطر الطبيعة.

الحاجة للانتهاء في الله ليست شيئا آخر غير رغبة أن نموت في الموت إلى أبعد حد، وإطالة أمده دون أن ينتهي، حتى تُحيينا الحياة التي لم نعشها. الخوف من عدم الموت إطلاقا يجعل منه شاقا جدا. نصاب بالسَّقَم إثر أبدية الله خوفا من أن لا نكون أحياء حين نكون، خارجيا، جِيَفًا. لقد انتظرنا أبدية لنولد، وعلينا أن ننتظر أبدية أخرى لنموت.

من دون نظرة مالنخولية، حتى الأحجار تبدو حالمة، وبدون جدوى نبحث عن النبل في الكون.

تعبر المالنخوليا عن كل الإمكانيات السماوية للأرض. أليست هي التقريب الأكثر بعدا للمطلق، تحقيق للإلهي من خلال هرب الله؟ بدونها، ما الذي سنعارض به الفردوس حين لا يعود هناك أي شيء يربطنا بالعالم سوى أن نحياه، وكذا الفراغ الإيجابي للقلب.

تتمثل مزية العدم على الأبدية في أن الزمن لا يستطيع تلويثه؛ لهذا السبب هو يشبه الابتسامة المالنخولية.

تنفذ ميزة الظرف البشري في الهيبة الميتافيزيقية للألم. على الإنسان

أن يتألم إلى درجة القرف من الألم ومن نفسه.

أليس الله حالة *أنا* العدم.

في ليالي السهاد – وحتى في كل الليالي – لا نتنفس في الزمن، بل في ذاكرته، كذلك في قلب النور الذي يجرحنا، نحن لا نحيا داخلنا ولكن في ذاكرتنا فقط.

المالنخوليا هي الشعور الوحيد الذي يمنح الإنسان حق الاستهلال. تُرَكِّز نكهتها من خلال خدر المعاني وأرق الذهن، وبدونها لن ننظر في أنفسنا بدون الندم على أننا لم نَفْنَ في الله.

يصبح لِسُمِّ الملذاتِ مريرةِ الوجودِ صوتٌ في الجحيم الموسيقي للدم؛ في التبخر الذي ترتفع فيه روائح جنائزية.

يرعبنا السأم الذي ينتظرنا في المستقبل أكثر من رعب اللحظة الحاضرة. يميط الحاضر في داخله اللثام عن حياة غير محتملة بشكل رائق.

الجنون هو مقدمة الأمل في المنطق.

تصدر عظمة الشهوة من فقدان الذهن. إن شعرنا أننا أصبحنا مجانين، تصير الجنسانية قذارة وإثما.

أليست الحاجة للسم سوى تذوق سلبي للأبدية؟ وبشكل آخر، لماذا نصارع أنفسنا بين ذراعي شيطان سماوي، في الوقت الذي تُسَمِّم فيه رغبتنا في التَّسَمُّم فكرتنا؟

تكشف هذه الرغبة عن أزمة في الملازمة، تبحث عن أقصى ما يمكن من التعالي بوسائل العالم؛ لكنها كلها أضعف من أن تسممنا بعالم آخر إلى درجة أن تنسينا في السم. هل ستُرهَق ضغينة الذهن ذات يوم؟

... إلى أي درجة يجب أن نعترف للسماء بجميلها علينا بما أنها سم لا ينتهي؟ أي ولع مدينون نحن به نحو السم الجبار لله؟ ما الذي سنفعله إن لم نَحْتَسِه حتى الثمالة في سهاداتنا؟ وأين سنكون إن لم نزحف داخل أعماقنا؟

تُلبِس النساء اليائسات المنفصلات عن العالم الجمود نورا مفتَّتًا.

يتوقف الإنسان على الله بالشكل الذي يتوقف فيه هذا الأخير على الألوهية.

كل تخبط في العدم هو العدم ذاته.

متعب من النزول في كل لحظة من عند الله... وهذا الافتقاد للراحة الذي يسمى «أن نحيا».

نحن لا ترهق أنفسنا في العمل، أو في المشقات، أو في العذابات، ولكن في ندم التقدم في العالم مع ظل الله على ظهرنا. لا شيء تملكه الكائنات حقيقة عدا التعب. فلينكسر ذهني وليترنح! من الذي سيطفئ المشاعر المظلمة في دمي، والزمجرة البلهاء في عظامي؟

في شغف الفراغ، ليس هناك سوى الابتسامة الرمادية للضباب التي مازالت تنشط التحلل الفخم والجنائزي للفكرة.

أين أنت أيها الضباب الفظ والمخادع، الذي يتأخر في الوقوع على ذهني المضطرب؟ أريد أن أمدد فيك مرارتي وأخفي فيك رعبا أوسع من غسق مشيتك العائمة...

أي برد قطبي ينزل في دمي!

أن أكون؟ هو غياب للعفَّة. يبدو لي الهواء ديرا حيث الجنون أمٌّ راهبة.

كل ما ليس سعادة هو عجز يصيب الحب.

لا يستطيع الإنسان ابتكار أي شيء بدون ميل خفي نحو تدمير نفسه. أن تحيا، أن تقيم داخل الوجود، يعني عدم القدرة على إضافة أي شيء للحياة. لكن حين نكون خارجها، نسلك اتجاها خطيرا، ملاحقين بالفضيحة الدائمة للحتمية، تقرضنا نخوة الغرور اليائس للمصير العنيد، المعطوب، مثل ربيع يسقط، والعيون ثابتة في جريمة المجانين، أو مزرقة تحت ثقل الهيبة، نشحن الحياة وقتها بكل ما لم تكن عليه فينا.

يولد من الألم كل ما ليس بديهيا.

ليس لنا من قدر إلا في الهيجان القهار لسحق مدخرات الكائن، يجذبه نداء تدميره الذاتي بشكل شهواني. يفترض القدر أن نقاوم فوق الحياة أو بجانبها، وأن نجعلها منافسة للشغف؛ أي تمرد ومعاناة.

إن لم تشعر أن ربًّا مجهولا أضاع دراماتيكيته فيك، وقوى عمياء

كبرت في سحر الألم تنبثق نيرانا لا مرئية! فأي اسم تسمي به نفسك كي لا تكون الكل؟

كل ما ليس ألما لا اسم له. ثمة سعادة لكنها غير موجودة. وفي المقابل، وفيما يتعلق بالألم، يبلغ الوجود ذروته في ما وراء الكائن. كثافة الألم هي عدمٌ أشد واقعية من الوجود.

إلهي، لو أمكنني تهشيم الكواكب حتى لا يمنعني بريقها أبدا من الموت فيك! هل ستجد عظامي راحتها في نورك؟ ارفع حجب ظلماتك، اجعل لياليك تهبط كي أضع عليها غبار مخاوفي، واللحم الميت للآمال! تابوت بلا بداية، ضعني تحت سواد سمائك وستكون النجوم مسامير غطائي.

ثمة شيئان اثنان: أولهما اكتشاف الله من خلال العدم، وثانيهما اكتشاف العدم عبر الله.

لا شيء يمكن تفسيره، لا شيء يمكن إثباته، كل شيء يُرى.

9



من هو الفنان؟ شخص يعرف كل شيء دون أن يدرك ذلك. من هو الفيلسوف؟ شخص لا يعرف أي شيء، ولكن يدرك ذلك.

كل شيء ممكن في الفن؛ في الفلسفة... ولكنها ليست سوى قصور الغريزة الخلاقة لحساب التأمل.

اللافلسفة: تختنق الأفكار بالإحساس.

الأمراض تطفلات الأبدية على اللحم.

يبدو لي أن الملائكة انتزعت أجنحتها من القبة الزرقاء لتطردني خارج العالم، في كل مرة أجرب فيها الدوخة.

أي جرح انفتح كربيع أسود، وجعل معانيَّ ذات البرعم المأتمي تخضرُّ؟ هل أعاد لي الله تجديفاتي؟

كل شتيمة تعود خلال لفظها ضد من نطق بها. فبتحطيمها، نقطع الغصن الذي نجلس عليه. بخنقنا للقبة الزرقاء نزعزع

انغلاقه. أما كراهية الله فجزء من قرفنا من أنفسنا: نقتله لإخفاء سقطته الخاصة.

هدف الإنسان هو أن ينوب عن الله في ألمه؛ على الأقل منذ المسيحية.

المتديِّن هو ذاك الذي بإمكانه أن يعفي نفسه من الإيمان، ولكن ليس من الله.

لماذا لا تمتد يد البشر نحو الصلاة، حتى أعتمد عليها في حزني الشيطاني وخوفي الإجرامي؟ لماذا لا تطلق الأحجار عنان رعبي وتعبي نحو سماء جامدة بغيابها الخاص؟ وأنتِ، أيتها الطبيعة، أية بكاءات أخرى تنتظرينها، لماذا لا تصرخين تمردك في صلوات وتجديفات؟ وأنت أيتها الأشياء الجامدة، لماذا لا تصرخين ضد القدر المُناوِئ للروح؟ أم تريدين أن تموت السماء وهي تنهار عليك، يا من لا تعرفين خوف التحوُّل إلى أشياء؟ ولا صخرة تحلق نحو القباب السماوية لتَسَوُّل الشفقة!

سابقا، كانت الأشياء تصلي لفائدة البشر، والبحار تغضب من أجل روح ما. أما الآن فكل الأشياء تموت، والنجوم لم تعد تسقط في البحار، والبحار لم تعد ترتفع نحو النجوم. وحدها الروح ترفع احتضارها نحو الامتدادات المهزومة وأدوية الليل.

تستبد بنا في المرحلة الأخيرة من الخوف رغبة تقديم اعتذاراتنا للمارة والأشجار، للمنازل والأنهار، لكل ما هو ميت، أو لم يمت

بعد.

الانفصال الأخير، القبلة الأخيرة التي نهبها للكون، أكثر موتا من ميِّت محبوب.

هل سيعذرني أحدهم لأنني كنت؟ لأنني لم تكن لدي ركبتان مثل جبال الألب لأجثو عليهما طلبا للغفران من الناس والآفاق!

من ذا الذي لم يساوره إحساس أن الكل عليه أن يقتل نفسه في سبيله، وأنه هو أيضا يجب أن يقتل نفسه من أجل الكل؛ لم يسبق لهذا الشخص أن عاش فيما سبق.

البطولة هي الرغبة في الموت، ولكنها أيضا الرغبة في الحياة حين يصبح كل يوم أثقل من الأبدية. من لم يكابد غير المُطاق الحياتي، لم يعش أبدا.

عندما نحمل على أكتافنا كل أيام الحساب الأخير...

الوضوح لقاح ضد الحياة.

هل يجب التعبير دائما عن الرغبة في الموت، للشعور بالقرف من الموت؟ بإشباعنا لأهوائنا حتى النهاية، نصل إلى نقيض الخوف من الإنطفاء. بالرغم من أن الموت مثل الله، يلتذ من هيبة اللامتناهي، فهو لا يعرف، مثله تماما، كيف يجنبُ الألمَ الإمتلاء، ولا تخفيف ثقل المبالغة، أو إثارة رغبة الحميمية المتواصلة. هل ستوجد حياة، لو لم نكن متعبين من اللانهائي؟ أي حيوية خفية تفصلنا عن المطلق؟

وحده دمي يلطخ شحوب الله... (هل ستغفر لي قطرات الحزن والجنون؟)

هناك آلام لن يواسيني فيها سوى غياب السماء.

يصعد الزمن في العظام، ويأسن الشقاء في الشرايين خلال تلك الليالي اللامتناهية. ليس هناك نوم يستطيع أن يوقف عفونة الزمن، وليس هناك فجر يلطف تخمر الهمِّ الشَّديد.

تستمد «الروح» حيويتها من الأهواء التي تغلي متوجعة، بينما «القلب» دم مُضطهَد. أليست نكهة الموت فظاظة ظمأى نُرضي بها أنفسنا بشكل محتشم؟ نحن لا نريد أن نموت، كي لا نقتل؟

«العمق» فظاظة مخفية.

لماذا يفهم سكِّير بشكل زائد؟ لأن السُّكْر معاناة.

لماذا يرى مجنون بشكل زائد؟ لأن الجنون معاناة.

لماذا يشعر من هو في العزلة بشكل زائد؟ لأن العزلة معاناة.

ولماذا تعرف المعاناة كل شيء؟ لأنها ذهن. لا تكشف لنا الأخطاء، والعيوب، والآثام الجوانب الخفية للطبيعة من خلال التماعات المتعة، بل من خلال تمزق اللحم والذهن، من خلال تجلِّي السلبيات. ذلك أن كل ما هو سلبي هو توبة، وبالتالي معرفة. سيصبح نهرا من الدم ذاك الذي يعرف كل شيء. لم يعد الله، المُودِع للكثير من الألم، منتميا للزمن؛ وإنما هو نزيف بحجم الأبدية، يبدأ

جرحه الدامي منذ اللحظة الأولى التي يخرج فيها من العدم.

الذي يمحو حياة شخص ما إنما يُطيع الهيجان المرضي للمعرفة، حتى ولو كانت هناك حوافز حقيرة تخفي السبب الرئيس. يكتشف المجرم أسرارا لا تزال غريبة عنا؛ لذلك يدفع ثمنها غاليا. من الأسباب التي تجعل المجتمع يعدم المجرم، أنه لا يمنحه الترضيات اللامتناهية للندم: تركه على قيد الحياة يمنحه حرية أن يتجاوزنا. تكتسب أعماق الشر تهيجا مثيرا؛ لعل الناس عشقت الله غيرة من الشيطان.

تتبعثر السماء في شكل ميلوديا، تستعيدها الجبال، والأشجار، والمياه في البريق الكوني للوعي. مذعورا من مطلق اللحظة، تكون صلاة موت الروح زوالا ومجدا [في نفس الآن].

أليس الأمر شبيها بضباب مأتمي لعالم أخروي يحلم بحياتنا؟

الجريان الداخلي للموت ضباب ارتفع إلى مرتبة مبدأ ميتافزيقي.

تشبه كاتدرائية ما أقصى ما يمكن من مادية الضباب: ظلمات مفتتة.

للإنسان رغبة سرية في الندم، تسبق الشر وتبتكره. يولد العمل الشائن، أو النزعة للشر، أو الجريمة، من هذا الهمِّ الشديد المخفي. يبرز الندم في الوعي، واضحا ومحددا، ويفقد نعومة الافتراضية ما أن يتم إنجاز الفعل.

يقودنا عطر الندم نحو الشر، مثل نوستالجيا أصقاع أخرى.

يُفترض في الروح التي تُفْرِدُ لله مساحةً فيها، أن تفتح الباب لأي شيء آخر؛ ألا تأتي من هنا تلك الحاجة للاعتراف لمؤمن ما بآخر ما يقلقنا؟ ما الذي يجعلنا نعتقد أنه لن يستطيع ألا يفهمنا؟ كما لو أن إيماننا بالله عيب داخلي نستطيع من خلاله الاعتذار عن كل شيء، أو هفوة يغدو كل شيء أمامها شرعيا. أو أن أية جريمة في هذا العالم يمكن أن تُغفر لنا، بما أننا لا ننتمي إلى هذه الأرض، وذلك عبر الله.

لا شيء بإمكانه الإفلات من مؤمن: القرف، واليأس، والموت. يسقط الناس في اتجاه السماء، لأن الله هاوية منظورٌ إليها من الأسفل.

التجلي المفاجئ: معرفة كل شيء، والقشعريرة التي تلي ذلك: لا نعرف كيف. لقد فككت الأفكار العالم بغتة، وتجمدت العيون في مياقد الكائن.

لقد فقد الزمن نَفَسَه. كيف يمكن إذن قياس دوامة النور التي تغمرك؟ يبدو أنها تدوم مثل الغياب المطلق للثانية.

تصبح المعرفة غير مفيدة إثر هذه الالتماعات، ويبقى الذهن حيا لنفسه، أما الله فيُفرَغ من ألوهيته.

تصدر إرادة التدمير الذاتي عن شعور مؤلم بالامتلاء حين نمدد في حياتنا. فلن نضنى في رغبة الموت إلا بتمديد كينونتنا إلى ما وراء فضائنا.

إنكار الحياة بالإمتلاء هي حالة شطح. ولن ننطفئ أبدا بسبب

نقص ما، ولكن بسبب المبالغة.

تعوِّض لحظة مطلقٍ فراغ كل الأيام؛ لحظة واحدة ترد الاعتبار لحياة ما. نشوة الذهن هي الاعتذار الأسمى للوجود. هكذا نفقد، بكثير من السعادة، أذهاننا في الله.

أياد شاحبة هي المهد الذي نتنهد فيه الحياة: لا تمد النساء أياديهن إلا لنستطيع البكاء فيهن.

الضباب عصبية الهواء.

أصوات الأعماق هذه التي تحتاج لنبرات «جوب» قاتل...

أي ملاك مجنون يتسول حاملا أَرْغُنًا بربريا قدام قلب مغلق؟ هل انفصلتُ عن معاناة الله؟

في سعادة وشقاء الحب، رغم أن السماء صُنِعَت من جليد، إلا أنها لا تستطيع أن تخفف الثمالة المتمردة للدم. يدفئ الموت أكثر، ويأخذ سراب الحياة شكلا من أبخرته المأتمية.

كل المياه لها لون الغرق.

في الأزرق السماوي للصباحات، يمنح شحوب نساء عدة، محبوبات كن أم لا، نفسه لنا مثل صحراء أزهرت بطعم اللامتناهي القاتل.

لماذا يبدو لنا اللامتناهي قريبا عند ظل النساء؟ لأنه بالقرب منهن ليس ثمة زمن. ويتضاعف اضطرابنا لأننا بلغنا حالة في العالم

تتجاوز العالم.

الحب مظهر فيما وراء الزمن: ألم تتوقف الصيرورة في قلب الحياة؟ هناك عناقات يكون فيها الزمن أشد غيابا من كوكب ميت.

طالما أن الحب علاقة مؤلمة ومُفارقة للسعادة واليأس، فلا يمكن للزمان أن يحتوي مبالغته اللابشرية. لذلك فكلما استفقنا من الحب، يبدو لنا الزمن وقد تعفن في قلب آخر لا علم لنا به.

ما يجعل من الإثم متفوقا على الفضيلة هو مبالغة الألم والعزلة اللذيْن لا يلتقيان في «االوعي الهادئ» ولا في «الحركة الطيبة».

هي حركة فردانية، في حد ذاتها، ننفصل من خلالها عن شيء ما: إنسان، أو أناس، أو كل شيء. أن تكون وحيدا في حالة تفشي إثم، من هنا تولد الحاجة إلى الله؛ من الخوف من أنفسنا. لا تخدم الفضائل السماء.

بعد أن تذوقنا أوهام الحياة، تنتشر الخيبات في نعومة، مثل الزيت، ويُلْبِس الكائن نفسه إشراقات التلاشي.

... ونتأسف وقتها لأننا لم نعرف أوهاما أكثر لكي نهدهد أنفسنا في مرارة غيابها.

الناس مجرد أطفال فقدوا الشعور بالموت. وحتى بهذا الشعور، من هم أيضا؟ حين ندرك معنى النهاية، يفقد الكائن عطر الوجود؛ لأن الموت يسرق نغمة الحياة. وفي الحالتين معا، لا تبقى سوى نكبة غامضة وموسيقية.

حين عشنا مرارات القلوب ونعوماتها، نأسف لأننا لا نملك سوى قلبا واحدا لنكسره.

منذ متى استقرت الصحاري في دم الإنسان؟ ومنذ متى يهتف النساك بأدعيتهم في الصحاري نحو الأعلى؟ كم يلزم من الوقت لتنتحب الامتدادات في تموجاتها المسمومة؟ ومتى ينتهي غرق المضطهدين في الأمواج الداخلية للموت؟

إلهي! دم الإنسان هو شهيدك الوحيد.

لو أن الموت أعرض عن إيقاف تعزيات الرغبة في الموت...

لكن بما أن الحياة محرومة من اللامتناهي، كيف يمكننا أن نموت بدون غاية؟

قارفا من نفسه، أصبح الإنسان مسرنما يبحث عن الضياع في صحارى الله.

إذا لم تعتقد أنك مؤلف الغيوم التي تغطي السماء، فلماذا تتحدث عن السأم إذن؟ وإن لم تشعر كم تسأم السماء بداخلك، فما الداعي للنظر في اتجاه الله؟

وقحة تلك السعادات التي لا توقظ بداخلنا رغبة الموت. لكن حين يصبح الكون زبد النشوة واللاواقعية، وتذوب السماء في حر قلب، ويسيل الأزرق السماوي في فضائه المجنون باتساعه؛ وقتها تصدر أصوات النهاية من الفوضى الصوتية للامتلاء، وتصبح السعادة شاسعة مثل الشقاء.

على اللامتناهي أن يتخذ لون كل لحظة، وبما أنني لا أستطيع أن أُشرِّفَه وأنا حي إلا من خلال الأزمات، فارفعني أيها الموت إلى درجة هيبته اللامتقطعة، وسربلني بأرق لا ينتهي! هل ستكون لي دموع لكل ما هو ليس ميتا بداخلي؟

الحب هو الوسيلة الوحيدة الفعالة لننخدع في إطار المطلق. لهذا السبب لا يمكننا أن نكون قريبين من الله في الحب إلا من خلال أوهام الحياة.

من أصابته عدوى الأبدية لن يستطيع المساهمة في التاريخ إلا من خلال إرادة التدمير الذاتي. فعلى غرار أشباهه، ليس الإنسان خالقا إلا من خلال خرابه الذاتي.

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي استطاع زعزعة سُكْر الزمن، وكل جهده أن يعود إلى نفسه؛ أن يصبح زمنا.

مزية العزلة في الطبيعة مشتقة من قطيعة الوعي والصيرورة. وبمشيه جنبا إلى جنب الزمن، أصبح الإنسان إنسانا. ومن هنا أنه كلما ضايقه شَرْطه، تبتعد في نظره اللحظات عن أن تكون انسيابية أو أكثر عمقا لإرواء عطشه للاتساع.

عندما يكون الذهن متجها نحو الله، فلن نبقَ متعلقين إلا من خلال الرغبة في أن لا نكون فيه أبدا.

الإحساس بالشيخوخة الأبدية يعني حمل الزمن على الظهر منذ اللحظة الأولى... يبقي الإنسان مستقيما لكي يخفي على نفسه كم

تحذَّب من الداخل.

السأم: عدم العثور على التوازن في الزمن.

القلب هو الموضع الذي يلتقي فيه الليل مع رغبة الموت، لكي يتجاوز نفسه في اللا- نهائي.

ليس الله، ولا البحار، ولا السماء، ولا العالم كَوْنًا. وحدها لا واقعية الموسيقى كون.

يداوي النسيان العالم كله، ما عدا أولئك الذين لديهم وعي بوعيهم؛ وظاهرة الوضوح هذه تموقعهم بشكل متوازٍ مع الذهن في ازدواجية نهائية.

لا ينتظر الأرخبيل البشري في البحر السماوي سوى التدفق الحتمي ليغرقه.

نحن مرتبطون بالله عن طريق الكبرياء مثل شبه جزيرة؛ ننتمي إليه بدون انتماء؛ نريد الانفلات منه، بينما نحن جزء منه.

عناصر من جغرافيا سماوية...

هنالك شيء واحد موجع في الحزن؛ استحالة أن تكون سطحيا.

أن تكون أشد «كسلا» من قديس...

يولد الشغف في الموت من كل ما لم نحبه، ويتنامى في كل ما نحبه، بشكل يستمر فيه بنفس الحرارة في الأفكار المعادية للحياة، بخلاف الأفكار المشجعة عليها. يجتاحك [الشغف] في قلب

الشارع، أو عند الفجر، أو عند الزوال، أو في الليل، مستيقظ أو مُخدرا، بين الناس أو بعيدا عنهم، في الأمل أو في غياب الأمل. مأخوذين من خلال قشعريرات -تُماثل عناقا متزهدا - نذوب داخليا في نشوة غير مكتملة، نصغي دون جدوى إلى ذبذبات الدم، والهمسات النوستالجية للفصول الداخلية.

لو انتزعتُ من روحي أيقونة فردوسية، فستزيل الحجاب عن عالم تنغلق فيه الورود وتنفتح مع الرغبة في الموت؛ وسأكون البستاني الخدوم لاحتضارها.

تعيش بعض الكائنات داخلنا بشكل مكثف، إلى درجة يصبح فيها وجودهم الخارجي فائضا زائدا، وإلى درجة أن لقاءً جديدا معهم يصبح مفاجأة شاقة. أن نحيا وفعلَ الفاحش حسب وجهة نظر من كنا نعشقه. عليه أن يتحمل، وبشكل نهائي، الثقل الذي تكفّل به الآخر وهو يحياه. لذلك هناك فاشلون أكبر من الأبطال الافتراضيين، أو من النساء المعشوقات؛ ذلك أنه من خلال الموت لا يكثر العشاق، بل يزداد المحبوبون.

أن تكون إنسانا فذلك أمر مهم، وهو أيضا أمر بلا أية أهمية، والشيء الوحيد الذي يجعله محتملا هو المعاناة الهائلة التي يتضمنها هذا القرار. أن تكون إنسانا لهو أكثر إيحاءً من أن تكون إلهًا، أن تشعر أن هذا الكائن منشغل باللا كائن الذي يصنع الشرط البشري، لَهُو أمر دالٌّ بشكل مؤلم؛ ورغم ذلك فهو كائن هشمته الحدود الملموسة لمأساة يبدو أنها غير قابلة للقياس.

لِمَ التيه البشري أشد تمزقا من التمزق الإلهي؟ لم تبدو الوثائق الثبوتية لله كلها سليمة، أما الإنسان فليست له أية وثيقة إثبات؟ أليس لأن الإنسان، متسكعا بين السماء والأرض، يخاطر بأن يعاني الألم أكثر من الله الذي استقر في رفاهية المطلق؟

ما الذي تبحث عنه بين البشر، أنت الذي يعزف على الأرغن وهم يعزفون المزمار؟

يحمل الناي حسراتي لكل النسوة اللاتي ابتكرتهن في الارتياب النوستالجي من عوالم أخرى. دائما هن اللواتي جعلنني أكتشف وجودا ينكسر على كل اللحظات.

أريد أن أموت، غير أنني لم أجد لي مكانا بين هذا العدد الكبير من الموتى.

حين تسرف في الحزن، نتحول من إنسان إلى شاعر. كيف يمكنك ألا تكون لا هذا ولا ذاك؟ الجواب بسيط: الحديث عن الموت نثرا.

متفاجئا في وضح النهار بالرعب اللذيذ للدوخة، ما سببها يا ترى: المعدة أو السماء؟ أو هو الضعف الكائن بينهما، عند منتصف الطريق من النقصان؟

حزانى نحن حين نفتقد المسافة مع دمنا الأصلي: ومن هنا ينبثق العطر الميتافيزيقي للاشيء.

يقاس حجم الحقيقة حصريا بالألم الذي تخفيه. التألم من أجل

فكرة؛ هذا هو المقياس الوحيد لحيويتها.

تحيا «القيم» من الهم الشديد الذي أفرزها، وما أن يُنهك هذا الهَمُّ، تفقد هذه القيم فاعليتها، وتتحول إلى أشكال فارغة، ومواضيع للدراسة، حاضرة بوصفها ماضيا. زد على هذا أن كل ما ليس بمعاناة، يتحول بشكل غير قابل للعلاج إلى تاريخ؛ وهو، لعمري، دليل جديد على أن الحياة لن تبلغ راهنيتها الأسمى إلا في الألم.

يفرقنا الأفق المأتمي للألوان، وللأصوات، وللأفكار في لامنتهى يومي. نوره الاحتفالي الممتلئ باتساع النهاية، يهب حدة لا دواء لها لكل ما هو سطحي، إلى درجة أن غمزة عين بسيطة تصبح انعكاسا للمطلق. ولسنا نحن مَن سيسلط بصره على العالم، بل هو الذي سينفتح لأبصارنا.

تُعلي نوستالجيا الموت الكونَ كله إلى مرتبة الموسيقى.

لقد كان المسيح شاعرا بمقدار ضئيل لم يجعله يدرك شهوانية الموت. لكن هناك استهلالات موسيقية بالأرغن تُظْهر لنا أن الله ليس غريبا إلى هذه الدرجة عن الموت، كما أننا مجبولون على تصديقه؛ هذا بالإضافة إلى تتابعات لا تترجم إلا ملاطفة هذه الشهوة.

بعض الموسيقيين - مثل «شوبان- Chopin» - لا علاقة لهم بالموت إلا من خلال المالنخوليا. لكن، هل نحن في حاجة للتأمل

حين نكون داخل الموت؟ فالمالنخوليا إذن إحساس يلهمنا إياه الموت لنبقى على اتصال بالحياة من خلال الندم...

تتأتى هيبة اللغز الشرقي الناعم من تعميق شيئين نحن لا نساهم فيهما إلا أدبيا: الورود والتخلي.

لم يجلب الأوروبيون منهما بذورا للعالم السفلي فقط، ولكن لعوالم أخرى أيضا.

لا وجود لشيء أقل فرنسية من مسرح الجن. لا يسمح شعب ذكي وساخر وواضح مع نفسه بالمزج بين الحياة والفردوس، ولا حتى عندما يتطلب ذلك الاستعمال الشرعي للوهم المخادع.

مسرح الجن هو العلاج الأكثر مواساة ضد الإثم. ألم يبتكرها شعوب الشمال للإفلات من ذوقه المُرّ؟ أليست شكلا من أشكال اليوتوبيا مطعمة بعناصر دينية، لكن ضد الدين (مفارقة تُعَرِّفُ أي يوتوبيا)؟

وهي تترجم بشكل تقريبي محايثة الحنين إلى الفردوس، لن يتلذذ بمسرح الجن من لا يعرف هذه النوستالجيا.

في اللحظة التي تثبت فيها العيون بشكل مباغت وعنيف نحو السماء، لن تقدر كل صخور الجبال على تهشيمها...

هناك الكثير من أسماء الأعلام عند «فاغنر»! الطبيعة هي القلب.

يعكس البحر كسلنا أفضل من السماء. لكم هو رائع أن نترك

أنفسنا نتلذذ بمديح امتداداته!

ليس هناك ما هو أكثر مشقة من اللامنتهي بالنسبة إلى عامل، أما بالنسبة إلى كسول فذلك سِلوانه الوحيد.

لو كان للعالم حدود، فكيف سأعزي نفسي لأني لم أكن كبير أساقفته؟

الاستبطانات هي تمارين مؤقتة لكاتب سجل الوفيات.

يصبح «القلب» رمز الكون في التصوف كما في الشقاء. تشير ذبذبته في لغة كائن ما إلى أي درجة يمكنه إعفاء نفسه من العالم. وتأخذ الجراح مكان كل شيء حين يجرحك كل شيء. وكذلك جراح القلب تعوض السماء والأرض.

10

تجعل منك العزلة «كريستوف كولومبوس» يبحر نحو أراضي قلبه الخاص.

كم من سارية ترتفع في الدم حين تكون البِحَار صلتك الوحيدة بالعالم! سوف أبحر في كل لحظة نحو مغارب شمس الزمن.

ابتسامة لا تتعب في فضاء دمعة...

يصعد كَسَلِي إلى حدود السماء، وأقضي إجازتي الأبدية في منأى عن العين الإلهية... هل يبلغ وزن الله مقدار وزن البحر؟ ولكن لماذا حين هزمتني الأمواج، تراءى لي أن علم اللاهوت علم مظاهر فقط؟

البحر – باعتباره موسوعة شاسعة للتلاشي – أكثر امتدادا من السماء؛ بوصفها الكُتَيِّب الفقير للمطلق.

الأفكار الخطيرة مسبوقة دائما بضعف بدني: سرية الجسد أمام كل مَن ينكر العالم.

اتجهنا جميعنا نحو الشعر بما أن الفلسفة لا تمتلك أي عضو لجماليات الموت...

لم يكن الله في حاجة ليرسل إلينا جلادين؛ فهناك الكثير من الليالي بلا دموع... وعند فجر الحياة ترتجف ظلال الموت؛ أليس النور هلوسة الليل؟

بيني وبين الناس تتوسط البِحَار؛ حيث غُصت في شكل فكرة. كذلك هو الأمر بيني وبين الله، وتحت هذين الاثنين لم أمت.

هناك الكثير من تبذير الروح في العطور، لدرجة تبدو فيها الورود غير قادرة على التحلي بالصبر حتى تعيد ذهنها إلى الفردوس. وحين نفقد كلنا صورتها، يعيدون تركيبها غافين في قلب عطر، أو مهدّئين معانيها في نظرة مُكَبَّرة بالمالنخوليا.

في اللحظة التي دمر فيها «آدم» معنى السعادة، اختبأ الفردوس في عيون حواء.

مستعمل وقديم هو كل ما ليس نابعا من نضارة الحزن. ومن يدري إن كنا لا نفكر في الموت من أجل إنقاذ شرف الحياة.

لم يتفوَّه القرن الثامن عشر الفرنسي بأية تفاهة، بل إن فرنسا اعتبرت الحماقة نقيصة، وغياب الذهن لا إخلاقيا. بلد لا يمكن أن نؤمن فيه بأي شيء، وليس، في نفس الآن، عدميا!... جعلوا من الصالونات حدائق ارتياب، والنساء مريضات بالذكاء، يتنهدن في قبلات شكوكية... مَن ذا الذي يمكنه أن يفهم مفارقة هذا الشعب،

الذي لم يتعب من الحب، رغم إفراطه في الوضوح؟ بين صحراء المرارة والمنطق، أي المسالك عثر عليها في اتجاه الإيروتيكية؟ هذا الشعب ساذج؛ ما الذي دفعه نحو نقصان السذاجة؟ هل وُجد صبي ما في فرنسا ذات يوم؟

لم يبتكر الفرنسيون في الموسيقى شيئا مهما، لأنهم أحبوا الكمال كثيرا في هذا الميدان. غير أن الذكاء في المحصلة هو خراب اللامتناهي، وخراب الموسيقى أيضا.

هناك نظرات منذورة أساسا لمواساتنا على كل الميلوديات التي لم نسمعها...

يتجمد الضوء بيننا وبين الله حين نريد العودة إليه. يشتكي الإنسان، إذن، من ظلمة ربيعية.

في الحزن يصبح كل شيء روحا.

تُعبِّر السماء عند المساء، وهي تتحول من الأزرق إلى الرمادي، بشكل جلي عن الحداد غير المكتمل للذهن.

الجنون نغمة رمادية للإدراك.

لكي تكون سعيدا في العزلة لابد من الانشغال الثابت بفكرة محددة أو بالمرض. لكن حين يمطط السأم المعاني في الفراغ ويغادر الذهن العالم، تصبح العزلة شاقة وعديمة الطعم، وتبدو الأيام عبثية مثل تابوت يتدلى من شجرة كرز مزهرة.

السأم هو الإحساس المرضي الجلي للزمن الذي ينتظرنا؛ حيث يجب أن نحيا دون أن نعرف ماذا سنفعل به. أنت تحاول عبثا خداعه، غير أن السماء تمططه، والليل يزيد من سُمْكه ويكبره فينتشر مثل زيت يُكدِّر بريق خوفك.

من أين تستمد اللحظات ثقلها؟ كيف لها أن لا تنام بدورها حين تلتحم بتعبنا؟ متى يزيح الله الزمن عن الإنسان؟

إن كنت حزينا لمرة واحدة بلا سبب، فستظل كذلك طيلة حياتك دون أن تعلم.

لكم هو غريب أن نبحث من خلال الحب عن نسيان كل ما لا تنسينا فيه كل زرقة السماء، وكل أساطير الروح. غير أن ذراعيْ امرأة لا تستطيع أن تخفي عنا الحقيقة، رغم أنها تضمنا في دفئها بشكل أفضل من كل الأنوار البعيدة لله.

ليس هناك أي عالَم يعطي بشكل غير محسوب خداعات الحياة، وحده الخوف من الاستفاقة منه يعطي هذه القدرة بشكل تناوبي لهذا أو لذاك.

أعيش كل الأشياء الموجودة، ثم انسحبت عند حدود القلب...

يتراءى لي في بكاءات الساعات المتأخرة أنني أسمع أصوات تلك الكائنات التي قتلتها في الحلم...

لن نظفر براحة على الأرض إلا في تلك العيون التي لم ترَ هذه الأرض. أريد أن أتحنط بكل النظرات الفارغة للعالم.

فوق كل فكرة، تنتصب قبة سماء.

الله وريث كل أولئك الذين ماتوا فيه. وهكذا، ننفصل في ارتياح عن أنفسنا وعن العالم، تاركين له افتفاء أثر الكثير من الأحزان والتخليات.

من الممكن أن الناس لم يُطردوا من الفردوس، فغير مستبعد أنهم كانوا هنا منذ الأزل. هذا الارتياب الذي له منبعه في المعرفة، يجعل الناس تفر مني. كيف يمكن التنفس عند ظل كائن لا يتألم من ذكرياته السماوية؟

هكذا نصل إلى تهدئة حزننا في مكان آخر، وننسى في قرف من أين يأتي الإنسان.

يبدو لي أن كل لحظة هي تكرار مستمر ليوم الحساب الأخير، كل موضع في العالم هو هامش العالم.

فاشل هو مَن لم يعرف الإغواء؛ فعبره نحيا؛ وبفضله نجد أنفسنا داخل الحياة.

قيدتنا الإغراءات السماوية حين انتهينا من العالم، دليلا على الاحتياطي الأخير للحيوية. ومع الله، نخسر الخيبة المسجلة في المرارة المبالِغة.

وحين جففت هذه الإغواءات معانينا، عوَّضت شهوانية القلب بحذق الطيش الأعمى للدم. السماء، شوكة في الغريزة؛ بينما المطلق شحوب اللحم.

تبدو الحياة غريبة منذ ذلك الوقت الذي لم أعد أنتمي فيه إليها.

تمر سنوات من الألم، ومن الأفكار المشدودة إلى السماء والأرض بدون أن نتساءل عن الهدف من هذا الفراغ المسمى هواء، والذي يتوسط بشكل واسع بين هاتين الحقيقتين الظاهرتين. فجأة، خلال ظهيرة ثقيلة بالسأم والأبدية، يتجلى اتساعه الذي لا يقاوم، غير المحسوس والمخدر. ونستغرب، تبعا لذلك، لأننا نبحث عن امتدادات للغرق، بينما السماء، بوصفها فضاء شاسعا شفافا، تنادينا للتمزق والضياع.

تضيف نشكونيتي للعدم الأولي نقاطا متتالية لا نهاية لها...

سوف يواصل التاريخ أن يكون إزعاجا من الصعب فهمه، طالما أن الناس متشبثون بالافتتانات المخادعة للمستقبل. لكن، هل يمكن أن نأمل في عودتهم من جديد وعيونهم متجهة نحو أبدية اللا انتظار، وكل واحد يجعل من قدره بئرا ارتوازية؟ هل سيدركون صيرورة عمودية؟ وهل سيجعل نهر السيرورة الكونية قطراته تجري نحو الأعلى، محولا مجراه عبثيا بشكل أفقي في الانتظار غير المُجْدي للسماء؟

متى تسقط البشرية على نفسها، على غرار ما تفعله نوافيرها؟ متى تمنحُ أوهامَها المخادِعة مجرًى آخر؟

لو أن الحياة تواصلت كما لو أنها جاءت من اللاشيء! غير أن الناس – بتضاعفهم – يواصلون التمسك بعذر المستقبل.

إن كان لابد من الاختيار بين الأخطاء، يظل الله طبعا الخطأ الأفضل تعزية، ذلك الخطأ الذي يبقى حيا دونًا عن الحقائق الأخرى كلها؛ لأنه اتخذ شكلا بلغ درجة أن المرارة أصبحت أبدية، مثل الحياة تماما – باعتبارها خطأً عابرا – وُلد في التقاطع بين النوستالجيا والزمن.مكتبة سُر مَن قرأ

لماذا أفهم النبات أكثر من الناس حين يبلغ التعب من العمق درجة الحلم؟ لماذا لا تتفتح الورود إلا خلال الليل؟ ولماذا لا تنبت أي شجرة في الزمن؟

هل مررتُ مع الطبيعة بجانب الوقت؟

المالنخوليا هي بمثابة حدود الشِّعر التي نستطيع بلوغها *داخل* العالم. هي لا تشارك فقط في إعلائنا، بل في إعلاء الوجود ذاته؛ ذلك أنه يزداد نبلا ببطء إلى درجة اللاواقعية، بحيث تصير كذلك أكثر فأكثر وهي تقترب من حالة الحلم. اللاواقعية فائض أنطولوجي للواقع.

وحدهم الناس الذين لا ينتمون إلى هذا العالم يتعرفون على الوجود. هؤلاء النسوة اللواتي لم تُضَيِّعْن الفرصة السرية للموت يوميا من المالنخوليا... كما لو أننا لم نعشق سوى «لوسيل دي شاتوبريان»...

يتراءى لي أحيانا أنني سوف أكتشف كل أسرار العالم، عدا ذاك السِّر المتعلق باجتثاث العالم.

يتأتى نبل الروح من عدم التكيف مع الحياة. لكم تتعاظم انفعالاتنا بالقرب من القلوب المكلومة!

من هنا يغيب الشعور بالتكدس اللامتناهي للزمن، لاجتياح الشيخوخة في عز الشباب وأوهامه؟ عبر أي ألم خفي نصبح أطلسا للزمن في عمر الأوهام؟

لا شيء يثقل عليك مما عشته بلا وعي؛ لقد كانت اللحظات بداخلك حية، ولم يتبق منها غير جثث على الطريق بين الآمال والأخطاء.

غير أن كل ما عرفته، كل الوضوح الملازم للزمن، يُشكِّل ثقلا تختنق حماساتك تحت وطأته.

تنتج الشيخوخة المبكرة، والتعب اللانهائي على الخدود التي مازالت ذهبية، من كل اللحظات التي راكمت بشكل متوحش انسياب الزمن على سطح الوعي.

شيخ أنا من خلال كل ما لا يشكل نسيانا من ماضيَّ، من خلال كل اللحظات التي طرحتها من الجهل المتكامل للزمنية، وأنا مجبر على البقاء وحدي مع نفسي، ووحدي معهم.

تنكسر في رأسي تجديفاتي الصيرورة، التي لا يسمح الوعي بها أبدا بالاغتصاب الفظ للوضوح، وينتقم الزمن بسبب إخراجه من أخدوده.

إلهي، متى موعد الطوفان القادم؟ وبالنسبة إلى الفُلْكِ فبإمكانك

أن ترسل ما شئت من سفن، لن أكون سليل جبن نوح!

تشعر الكائنات المُجهدة من حضورها الخاص بالرغبة الحادة في الموت. وبموقعتك لنفسك في مركز وسواسك، مُحاصَرا بأناك، تحتاج إلى الإفلات منه. هكذا تقتحم الحماسات المتأتية من الموت تركيبات الفردانية.

يتأتى شقاء الناس من عدم قدرتهم على النظر للسماء إلا شزرا.

لو التفتت العيون نحو السماء بشكل متعامد، لاتخذ التاريخ وجها آخر.

المرض؟ هو صفة متعالية للجسد.

أما فيما يخص الروح فهي مريضة لأنها ببساطة كائنة.

يهتم علم الأمراض بالاجتياحات النفسية للأنسجة.

غيوم تفكر، وتتراءى غريبة عن الأرض كما عن السماء... رويسدايل

أصبح كل شيء ممكنا منذ اللحظة التي أطلقتَ فيها أعِنَّة الزمن.

استعمل العقل طالما يسمح الوقت بذلك.

هناك الكثير من الضباب في قلب الإنسان، إلى درجة أن أشعة أي شمس ما أن تلجه فلن تخرج منه. وهناك الكثير من الفراغ في هذه المعاني المُبَدَّدة، والتي نرى الحمائم المجنونة تتسكع فيها، وقد مزقت الريح أجنحتها، على الطرق التي تقربها من العالم.

من أي طبقة من طبقات اللاكائن يأتي سأم الأيام؟

هل بمُكنتنا أن نتعرَّف على العته الذابل للحم، وشقاء الدم المطحون؟

كم يتفتت جوهر الحياة، في هذا اللغز النائح، مثل السأم كُلي الوجود، يعرف كيف يُنضب نوافير الوجود، مُحرِّفا بشكل سلبي مبدأ الألوهية! شاسع هو السأم مثل الله؛ وأكثر نشاطا منه.

بدون الله تصبح العزلة عويلا أو عزلة متحجرة. لكن برفقته يُلَطِّف نُبل الصمت غباءنا أمام الأشياء اللامسلية. وبعد ما خسرنا كل شيء، نعثر على توازننا بعناقنا لحلمنا في تلك الممرات العارية من الأوراق.

وحدها فكرة الله تجعلني واقفا. هل يمكنني أن أعيش في مهده برحمة عميقة إن قمت بإبادة غروري، ودفع سهاداتي لتنام، مُعَزَّاةً في كل ما أرقت به.

لن يبقى لنا فيما وراء الله سوى الرغبة فيه.

يخبئ كل تعب نوستالجيا لله.

كيف يمكن لشخصين معاناتهما ليست على نفس المسافة من الله أن يتجادلا معا؟ ماذا يقول شخصان لبعضهما البعض، ليس الموت في نفس المرتبة عندهما؟ ما الذي يقرآنه في نظرات بعضهما البعض حين تعكس كل واحدة منها سماءً أخرى؟

لا نعرف الآخرين إلا لنبقى وحيدين أكثر مع الله.

بإمكان مهندس معماري منفي من الأرض أن يُشيِّد من مراراتنا ديرا في السماء.

نقصان الكبرياء أهم قيمة من الأبدية.

يا لخيبة الناس الذين بحثوا طيلة حيواتهم عن أنفسهم دون العثور عليها أبدا، ولا حتى في الله. الخشوع الشاسع والساكن هو الوسيلة الوحيدة لتحويل تعب الكائن إلى فضيلة.

من يرغب في ألا يكون أبدا، يُعبِّر سلبا عن تطلعه إلى كل شيء. تُرضي الرغبة في العدم باحتشامٍ شهوةً سرية ومضطربة للتَّأَلُّه. لن نتلاشى في الله إلا من أجل أن نكون الله نفسه. تمر المسالك الصوفية عبر أسرار فخر المخلوق الأشد إيلاما.

لماذا أشعر بنفسي أقل وحدة في الإشراقة العضال للموت أكثر مما أشعر بذلك وأنا في قلب الحياة؟ هناك نكبة شرسة جدا في الوعي بأننا سنموت، بأنها تتعزى من غياب الناس والحقائق.

تمزج الأنغام المتناغمة للأرغن ونوستالجيا الموتِ الأبديةَ والزمن إلى درجة الاختلاط. كم من مطلق يتوه في صيرورات، بينما روح هزيلة موقوفة على حمْل مقدارٍ هائل من السماء والأرض!

نموت بما هو جوهري حين ننفصل من كل شيء.

الله؟ هو عدم مفترض في شكلِ مُوَاسٍ؛ نفخة إيجابية في اللاشيء،

غير أننا من أجله نرغب في أن ننزف مثل شهيد... معفي من الموت.

يبدو أن السر الأعظم للتاريخ البشري ليس شيئا آخر سوى الموت في الله أو من أجل الله. ننطفيء كلنا بين يديه، وفي مقدمتنا الملحدون.

الإحساس الغريب أن كل أفكاري تهرب في الله، أنه يحتفظ لي بذهني عندما أضعته.

أو حين أتوه داخله، يمنعني ظمأ باد للعيان من التنفس.

يمثل التعارض بين الله والحياة المأساة الأشد فظاظة في العزلة.

إلهي! لم يتبق لي إلا أنت! أنت أطلال العالم، وأطلالي أنا، أنا نفسي. يا زبد تخلياتي، أريد أن أضع نهاية ذهني فيك والانتهاء من اضطراباتي اللامجدية، أنت القبر الذي نحلم به خلال الساعات البئيسة للكائن، وأنت المهد الأسمى للأتعاب الهائلة.

انشر عطورا منوِّمة على تمرداتي النزقة، امتصني فيك، اقتل حماسي نحو الأفْجُر والنداءات، أغرق الارتفاع المجنون لتفكيري واحلق قممي المستنيرة بقربك! مدد ظلالك، وغطني بظلماتك القاسية، لا أطلب منك العفو الإلهي للحظات الرحمة، ولكن أطلب منك الذبول الحار وكرم ليلك.

اسرق آمالي حتى أكون صحراء فيك، غائبا عن نفسي، ليس لي من أصقاع أخرى غير امتداداتك!

بعد أن ننتهي من قراءة الفلاسفة، نلتفت نحو الصبيانيات المطلقة للذهن، نوشوش بصلاة لكي نأوي فيها.

كما لو أن البقية الأخيرة من الجوهر النقي لليل، تلك التي تأملها الله بعينيه لأول مرة، تنتهي فيك...

هناك ليال بيضاء تدوم طويلا، الى درجة أنه إثرها يصبح الزمن مستحيلا... لا يعرف شيئا عن البداية أو النهاية ذاك الذي في حركاته الطائشة يراكم العناصر المؤلمة للعالم. فكل شيء مهما كان يصير أبديا. يبلغ عدم الإنجاز في ألم الأشياء صفة الأبدية.

حين لم نكن في موضع جيد البتة مع الحياة: تارة بشكل مبالغ يتجاوز الحدود، وطورا بشكل عشوائي نجر أنفسنا تحتها، على غرار هذه الأنهار التي ليس لها من سرير؛ تنصب أو تنضب.

مُقَدَّر لنا الشقاء حيثما ألقينا مرساتنا، في القليل أو الكثير، مثل كل كائن تم انتزاعه من خيط الوجود. أن أكون فذلك عائق للامنتهى القلب.

يا لغموض ظاهرة نمو شخص بشكل يفوق نفسه! عند استيقاظه، لن يرى أحدا بالقرب منه. يدير بصره نحو السماء؛ باعتبارها الارتفاع الأقرب. فيما يخص العزلة، لا يتعلم الإنسان إلا من العالي للغاية.

يزهر الذهن على خرائب الحياة.

نقول: أحدهم يعرف «سبينوزا – Spinoza»، أو «كانت –

Kant»، الخ، بيْد أنّي لم أسمع البتة أحدا يقول: هذا يعرف الله، رغم أن ذلك هو الشيء الوحيد المهم.

حين ينفتح ذهنك خلال الليل على حقيقة، تصبح الظلمة هشة مثل الفضاء الشفاف لبَدَاهَة.

يمنح المرض للحياة، إضافة لقوة ما هو محترم وهيبة الحتمية، يمنحها اتساع اللامُحدَّد الذي يُثقل بشكل مؤلم ونبيل إيقاع الكائن. كل ما هو عميق يتأتّى من مجاورته للموت.

وحين لا نكون مرضى بأمراضنا، لكن بحضور عوالم أخرى في مبدأ وجوده... يبدو تعب إلهي وكأنه ينزل في قلب الكائن... كما لو أن النخاع الشوكي للحياة أجهدته السماء.

الرعب ذاكرة للمستقبل.

يا لَاختلاحات الأذى المأتمي حين نرغب في قتل الهواء... ويُراد لابتسامة ما أن ترتجف كأيادي الموت خلال الكوابيس.

أن نحيا فذلك ليس نبلا، ولكن النبل أن نلتف بهالة من التلاشي.

نركض دون جدى خلف الوجود والحقيقة؛ فكل شيء عدم؛ حلقة من الهلوسات بلا إيقاع. وهذا يعني أن هناك شيئا ما، هو حالة ارتفاع حرارتنا، وحيوية اضطراماتنا تعرض حقائق عن عالم من الغيابات. نفخة الجوهر الذي يُحوِّل إلى واقع لاكائن العالم الصادر عن كثافاتنا. سواء كنا أكثر برودة أو أكثر هدوءا، فلن

يحدث أي شيء. تدعم النيران الداخلية الصلابة الظاهرية للعالم، وتُنَشِّط الديكور الفارغ؛ بل إنها بمثابة المعماريين الحقيقيين للحياة. ليس العالم سوى تمديد خارجي لشعلتنا.

هل سيغفر الله للإنسان دفعه بإنسانيته نحو أبعد حد؟ هل سيفهم أن الظاهرة المركزية للتجربة البشرية تتمثل في أن لن تكون إنسانا [من الأساس]؟

أن توجد فذلك يعني أن تزخرف كل لحظة انفعاليا. وعبر تلوينات في الأحاسيس، نُسَلِّم الواقع إلى اللاشيء. بدون تكاليف الروح، نعيش في كون أبيض؛ لأن الأشياء ليست سوى أوهاما مادية بمبالغة داخلية.

آخر درجة لفقداننا للربيع هي الله.

الذهن نقص إيجابي للحيوية، تنبثق الأفكار حبلى منه من خلال مبدأ تعويضي.

كلما كانت الرغبات أقل اختصاصا، نحقق اللامتناهي عبر الحواس. يسير المبهم في الغرائز بشكل لا رجعة فيه نحو المطلق.

يولد إيحاء اللامنتهي الميلودي للمالنخوليا من ذكرى الزمن الذي لم نكن فيه موجودين، ومن استشعار الزمن الذي لن نكون فيه موجودين.

ليس القلب مُصاغا وفق صغر العالم. هل سأتبعه نحو السماء؟ أم سأستعمله منزلقا فقط نحو الموت؟

ما أن نتطهَّر من الزمن حتى نصبح غير منفتحين إلا على النفحات الإلهية.

هذا الهذيان السِّري والمتسع نُبْقِي من خلاله كونا منذورا للتحلل على قيد الحياة، وهذا الاندفاع المؤلم والقهار وهو ينفخ الأمل والحرمة للأرض وللكائنات، يُقَوِّي حالات ضعف اللحم، ويُحرِّف الذهن عن أهواء اللاشيء. أية طاقة تنمو وسط العالم وقنوطه لإعادة تشييد الصرح الكوني ومجد التفكير؟

أليس الخَلقُ ردَّ الفعل النهائي أمام الخراب وما لا يمكن مداواته؟ ألا ينبعث الذهن بالقرب من عُقَد القدر ومآزقه؟ بتعبير آخر، لماذا لا تأتي السقطة، لماذا نبقى واقفين في الوقت الذي أصبح فيه الكل واحدا من خلال رتابة القرف ورتابة اللاشيء؟

نشبه عندما نتألم بعنف من الإنجازات غير المكتملة للحياة، ذلك الغريق الذي يهرب نحو الضفة؛ بحيث نخلص إلى ألَّا نبحث سوى عن الأمواج، والسباحة على الامتداد اللانهائي للتموجات.



11

المالنخوليا هي الزمن وقد صار مجموعة انفعالات.

أريد أن أعيش في عالم من الورود الجريحة بالشمس، والتي بالتفاتها ناحية الأرض تنفتح بتلاتها في اتجاه مغاير للنور. الطبيعة مقبرة تمنعنا أشعة الشمس أن نستلقي فيها. وبانحرافنا عن جوهر الموت نغرق في أزمة اللاضروري. في النور نحن ما يبدو للعيان، أما في الظلمة فنحن أنفسنا على طبيعتها القصوى، وبسبب هذا لم يعد لنا وجود.

السأم: حشو كوني.

مَن لم يصغ أبدا للأرغن لن يفهم كيف يمكن للأبدية أن تتطور.

ألا يعد عدم امتلاك الحياة صفة الوجود إلا من خلال تكثيفاتنا دليلا من أكثر الأدلة وثوقية بفراغ العالم حين يكون الحب غائبا؟ يظل اللاشيء عائق كل لحظة بدون الإغواءات الإيروتيكية. لكن محيطات الحب الهشة تجبر العالم أن يكون وأهواؤُه تخنق صوت

العدم.

يشبه غياب الحب خطأ وجوديا، ويُطَهِّر صمت الإيروس الكون من الطبيعي. أليس السأم إجازة من الحب، توقفا في ضرورة وهمه الخلَّاق؟ ألسنا نسأم لقلة الهذيان؟ هذيان يدمج ملاحظة مفادها أن نكون في رتابة اللاشيء. ينبثق الكون من الذبذبات الأخيرة للروح، ويكرر تحليق الأفكار الشغوفة خلقها دون توقف.

في قلب السأم، نعرف أن الوجود لم ينل حظ أن يكون؛ ننسى خلال تناوباته كل شيء ونكون.

أشباهك هم أكثر منك تعبا أنت نفسك الذي تحمل بمشقة مؤلمة عبء كينونتهم.

في درجة ما من الانفصال عن العالم، لن يوجد الناس إلا من خلال المبالغة في التذكر، وأنت نفسك لن توجد إلا من خلال علامات الأنانية.

كيف ينظرون إلى السماء أولئك الذين لا يكابدون الندم؟

كي نعشق يجب أن ننسى أن أشباهنا مخلوقات؛ فالوضوح لا يقرب إلا من الله أو العدم. سعداء أولئك الذين يعتبرون الحب كُلًّا لا يزيل الحجب عن أي شيء، أولئك الذين يعشقون في قشعريرة من الجهل والكمال.

حين ننظر إلى الله من أفق العالم، يظهر أيضا بعيدا شأنه شأن العدم.

هذا الاجتياح الشاسع والمرهق لبعض الصباحات، حين يبدو لنا أننا استفقنا ونحن نعرف كل الأسرار النهائية، مصابين بحمى المعرفة والرؤيا النهائية؛ حيث تنحل تلك الليالي في بنفسجي مترنح، تمنح نفسها لنا ذابلة وكاملة مثل حدائق الذهن...

من ذا الذي يمتلك الكلمات ليقول باستحالة عدم معرفة كل شيء؟ وكم هناك في هذه الحياة من لحظات سعادة ممزقة من أجل المعرفة؟ ليس هناك أي حجاب يخفي أي شيء. ولكن، لنعد إلى الأسرار كي نستطيع التنفس.

لماذا تتصف ساعات ما بعد الظهيرة بموضوعية أكثر من ساعات هبوط الليل؟ لماذا الغسق داخلي، ولماذا الامتلاء الزائد بالنور يظل خارجنا داخل نفسه؟... يمثل استدعاء النهاية تطورا في الذاتية. الحياة باعتبارها حياةً لا تحدث في القلب، بل وحده الموت [يحظى بذلك]؛ لهذا السبب هو الظاهرة الأكثر ذاتية، مع أنه كوني أكثر من الحياة.

لو كنت أمتلك ثباتا في الله أشد مما لديَّ! أي بقايا من الحياة تشدني إليه باعتباره أنا؟ لو كان باستطاعتي الغياب في حضنه!

الغيوم البيضاء الجامدة التي تغطي سماء الجنون... ونحن نشاهد عادة غياب الفروق اللونية المعتمة، الرمادي الجلي للارتفاعات، يبدو أنه يتم عرض الظلال الآسنة للدماغ وامتقاعات الذهن على القباب السماوية.

ليس لهُوَّاتِ الإنسان قاع؛ فهي تهبط في الله.

الله هو الذي يرانا من خلال كل دمعة.

إلهي! لأي سبب استحققت سعادة خارقة للطبيعة لهذه اللحظة حيث ذبت في الاثنين؟ اسكب على رأسي آلاما أخرى أشد هولا إذا كانت لها نفس المكافأة! هل فقدتُ أثري بين الملائكة؟ اجعلني لا ألتقي بنفسي مرة أخرى على الإطلاق! ساعدني لأُغْرِق ذهني في فردوس المعاني التي أصبحت مجنونة بسبب السماء!

ليس من حق الإنسان أن يعتقد نفسه ضائعا طالما أن اليأس يمنحه المزيد من التدمير الشهواني في الله.

حالما تصبح الرغبات متلاشية، نستطيع أن نعيش من خلال الرضى الممنوح لكل لحظة. مُكرهون على الانسجام مع الوجود مع نفسه، نُكَبِّر الفضاء بيننا وبين العالم في التكرار المستمر للجهد.

يخنق حذر الذهن قرار أن نكون في زمن صار مجنونا. ألن تبتلعنا مروحة الزمن إن لم نُهدِّئها في جهد قبول الطبيعة؟

بقية الكائنات تحيا، أما الإنسان فيقوم بجهود كبيرة ليحيا؛ كما لو أننا نشاهد أنفسنا في المرآة قبل كل حركة. الإنسان حيوان يرى نفسه يحيا.

الفكرة شكل من أشكال الميلودية التي كونت ثروة.

تقذف الفكرة العدم كما لو أنه التعزية الأسمى، تحت ضغط

أنانية لا نهائية جريحة. نريد أن نكون الكل، والكل يعترض، ما الذي سنفعله بدون البعد المطلق للغياب؟

تُبخِّر أهوال الأنفة المشوهة الطبيعة، وتتوج العدم بهيبة العظمة؛ حيث يهدأ شغف الأنانية. اللاكائن هو إشراق مأتمي يطفئ غيرتنا الإلهية. يُرضي استدعاء الهدم شهوتنا للمطلق الذاتي، تماما مثل رحمة الموت التي تستجيب للرغبة في التناغم داخل الكارثة.

متى يمكنني التعود على نفسي؟ كل الطرق تؤدي إلى هذه الروما الداخلية غير المُتاحة. الإنسان خراب لا يُقهر. مَن ذا الذي فرَّغ كثيرا من الحماس في خيباته؟

أن تحيا بالمعنى النهائي: أن تصبح قديس عزلتك الخاصة.

مسحورا في عزلتك، تسمع أن الساعات توقفت وبدأت الأبدية تدق. والله يدق الأجراس نحو سمائك...

العزلة مُهيجة شهوة الذهن، مثلما هو شأن الحوار بالنسبة إلى الذكاء...

هناك طرائق متعددة للموت في الموسيقى الداخلية، لدرجة أنني لا أعثر على نهايتي... لسنا جثثا إلا في حال غياب أصوات داخلية. ولكن حين تهتز الحواس تحتها، تتجاوز إمبراطورية القلب إمبراطورية الكائن، ويصبح الكون وظيفة تناغم داخلي، واللهُ الامتدادَ اللانهائي للنغمة.

حين نسيطر بصعوبة في خضم سوناتة على «إلهي! لا يجب أن

ينتهي أبدا هذا!»، يمتصك جنون صوتي نحو الحالة الإلهية؛ لأنفِي نفسي هنا، مع كل الموسيقى...

الإنسان وحيد جدا إلى درجة أن اليأس يتراءى له عشا والرعب ملاذا.

يبحث الإنسان لنفسه، بدون جدوى، عن مسلك في أدغال الكائن، يظل مكروبا، الوجه ملتفت نحو مآزق ذهنه الخاص. ذلك أن النور في داخله لم ينفصل عن الظلمات. وبفضل الذهن الذي يُتوِّج عملية الخلق، ينتمي الإنسان إلى بدايات العالم.

لا شيء يزيح غبار وعيه بليالي الزمن. ألا يكبر نبل مصيره من عوامل هذه الوراثة الغامضة؟

ومن جهته يمتلك الإنسان ليالٍ كثيرة.

في كل مرة تحضنني فيها التعويذات المؤذية للسأم، أدير بصري نحو السماء. وأعرف وقتها أنني سأموت ذات يوم من السأم في قلب النهار تحت أنظار الشمس أو الغيوم...

«... إن أمكن أبعد عني عن هذا القدح». قدح السأم...

أنا نفسي أريد أن أصرخ «أبتاه»، لكن في اتجاه مَن، مادام السأم في حد ذاته ألوهية؟

لماذا كان يجب أن أفتح عيني على العالم لأكتشف أنه مثل «جيتسيماني» السأم؟

الأرض عقيمة جدا لتمنح السموم القاهرة والذابلة التي تحررني من هذا الانشغال الذي هو الوجود... كم من محلولات سماوية تصدر عنها نكهات مُسْكِرَة باللاشيء، كم من ارتفاعات توقع نذائف مخدرة على جراح لا تندمل... أو كم من أمطار مسمومة تنساب من خلال أزرق سماوي مختل على الامتداد المريض للذهن...

إلهي! لن أقول إنك لست موجودا، بل سأقول أنا الذي ليست موجودا.

لو فقط يمنحنا العدم ذوقا منحرفا للمطلق، ولكنه عندما يعطيك أيضا ألما معقدا بالتفوق، يجعلك تنظر نحو الأسفل، نحو الكائن، ويواسيك عن النوستالجيا بالازدراء.

حول «أنا» لا يجب أن يتكلم إلا «شكسبير» أو الله.

ليس الحب ممكنا بين شخصين يجدان نفسيهما على نفس الدرجة من الوضوح. وحتى يكون اللقاء «سعيدا»، يجب أن يكون واحد منهما أقرب أكثر من لذائذ اللاوعي. نفس التباعد عن الطبيعة يجعلهما بنفس الإحساس لِحِيَلِها؛ ومن هنا يولد ضيق تجاه إبهامات الإيروس، وخاصة الاحتياط في تواطؤ لابد منه. حين تنكشف أمام أعيننا خدع الوجود، من المستحسن أن تكون المرأة أدنى إلى حالة براءة. لا يمكن للحب أن يُستهلك فيما بين غيابين اثنين للوهم: يجب على الأقل ألا يعرف واحد من الاثنين، أما الآخر، ضحية

وضوح الذهن، فيراقب شهوة هذا الشبيه المستقبلي وينسى، بعد أن تناله عدْوى الآخر، نفسَه.

يشبه الانقلاب السديمي للمعاني، مع النشوة المبسطة والسطحية، تنازلا موجعا؛ حيث أسرار الحياة شفافة للرجل والمرأة، فيبدوان في تناغم كي لا يخرقان يقظة الذهن، لكنهما لن ينجحا إلا في تأمل نسيانهما، والتخفيف من سحر الحلول فيهما الاثنين. هكذا، يدمج الوضوح علامة غسقية في تنهدات هذا المطلق الجيد لهما.

ليس بإمكان الخيبات، أو الكراهية، أو الأنانية أن تعفينا من الإنسان بنفس درجة قوى الروح التي تتحكم فينا، مع عنف تجل مباغت. ما الذي سوف نقوله إذن لشخص ما، ولماذا سنقوله له، عندما يكون الارتجاف الداخلي مثل نهر يجري فجأة نحو الأعلى؟

تقذف بنا أمواج سعادة مدوخة خارج الناس، وهي تضاعف هويتنا، وتمحو الابتسامات الموجهة للنساء أو الأصدقاء. يضيع الأنا في لا نهائيته، وتتضخم الحياة في تكثيفات تجعلها مترددة بين عوالم عدة. من كل ما أنت عليه، لن تبق سوى نفخة حزينة. يبدو لا نهائي الليل حدا لأفق هذا التمطط، ونرغب في الانطفاء بوصفه حدا لنا، والاحتضار باعتباره نهاية. من الذي قام بتطعيم اللانهائي في قلب بائس؟

يفتقر الناس إلى الشِّعر، فأين يمكن إلقاء المرساة إن لم يكن في

الموت؟ أية هيبة تلك عندما لا يُسْقَطُ قُرْبُ اللا كائن على مشهد شاحب وممتقع للكائن.

تأتي الرغبة في الغرق والارتفاع نحو السماء بالتأرجح من خلال حبل، أو القضاء على الحياة في صخب من درجة سامية جدا للسأم؛ بمزمار في عمق الجحيم.

أن نستلهم نشيدا للتّيه من اللحظات، وأن نبتكر في خضم سأم الزمن سموما متسامية، وأن نبعثر وحوشنا في الدم وفي الصيرورة.

الهدف الميتافيزيقي للزمن هو أن يُفرِّغنا من عبء الفردانية. أن أكون فذلك مشروع صعب نرفعه نحو اللا كائن: فراغ يندفع نحو تقهقر سامٍ للوجود.

الزمن صعدة نحو اللا كائن.

أطمح للذات النهاية بكل المعاني... أي رغبة لإنجازات سرية تدفعني نحوها؟ كيف لا يمكن اكتشاف عظمة الموت بعد أن خانتنا الحياة!...

ذاك الذي رأى عبر الناس وعبر نفس، يلزمه، بسبب القرف، أن يُشيِّد حصنا منيعا في أعماق البحار.

لا نلتقي بالشقاء إلا في مزاج متناقض بالضرورة.

ذاك الذي أتعبته نفسه سيُتعِب أشباهه الذين هم بدورهم يُتعبونه.

تفترض الخيبات المتكررة طموحات لا بشرية. الناس الحزانى فعلا هم أولئك الذين عجزوا عن قلب أي شيء، قبلوا أن يكونوا خراب مُثُلِهم العُليا.

الزمن هو الصليب الذي يصلبنا عليه السأم.

في اجتياح التعويذات، وفي نفحات النشوة التي تبعثر رغباتي نحو اللامحدود، يبقى قرفي من نفسي هو حاجزي الوحيد.

ما الذي سأفعله مع هذا القدر الكبير منِّي.

«باخ» شخص منحط لكن بالمعنى السماوي. بهذا الشكل فقط يمكن أن نفسر التفكيك الجهوري الذي نشعر به لا محالة حين نقابل العالم الذي ابتكره.

بقدر ما يزيد السأم من سُمْك الزمن، بقدر ما يرقق الأشياء في صفات شفافة. لن تثبت المادة أمام تشويه قاهر من هذا النوع.

أن نسأم فذلك يعني أن ترى من خلال الأشياء؛ أن نبخِّر الطبيعة. حتى الصخور تتحلّل في شكل أدخنة حين يهاجمها الشر الذي يأتي في شكل الوضوح.

لا أعرف لي إحساسا دفنته في التفكير (الذهن قبر الطبيعة)

الانتحار - مثله مثل أي إغواء بالخلاص - هو فعل ديني.

الإخلاص بوصفه تعبيرا عن عدم التكيف مع المبهمات الجوهرية للحياة، يأتي من حيوية غير ثابتة. من يطبق الإخلاص لا يعرض

نفسه للخطر كما في الاعتقاد السائد: فهو أساسا في قلب الخطر، مثل كل شخص يفصل الصدق عن الكذب.

إن الميل نحو الإخلاص لهو أحد الأعراض المرضية بامتياز؛ إنه نقد للحياة. من لم يقتل الملاك في داخله مُقدَّر له الهلاك. بدون أخطاء لن نتنفس ولو لحظة.

لن يشرق نور العيون المطفأة مجددا إلا من خلال الرغبة النوستالجية في الموت؛ فالدم لا يلتهب إلا في نشيد الاحتضار.

هل أنا بصدد الصعود في عقبات الكائن أو النزول منها.

حيوان عاش الحياة ويريد أن يعيشَ الإنسانَ مرة أخرى. تنهار مأساته في هذه الضراوة.

في قلب استقر فيه اللاشيء، تكون هجمة الحب مُمَزِّقة بشكل يفوق الوصف، إلى درجة أنها لا تجد الأرض التي تتفتح عليها. كم سيكون الأمر سهلا لو تعلق فقط باقتحام امرأة! لكن الأمر يتعلق باستصلاح العدم الخاص بنا، والعودة بمشقة إلى الكراهية بوصفها سيدة روحنا، وتعبيد طريق لحبه نحو نفسه ذاتها! هذه الحرب - التي تلقي نفسها بعنف عليك - تفسر لماذا لا نريد أن نتقاتل بشكل أكثر عنفا إلا في قشعريرات الحب.

ليس هناك من جمال طويل أو تعب كاف عند «بيتهوفن- Beethoven»...

آخر ما جادت به قريحة الشيطان: الفرق بين الجحيم والقلب.

في الآلام الهائلة فقط، حين نكون قريبين جدا من الله، نتأكد كم هو غير مجد دور الوساطة الذي قام به ابنه، وكم هو قاصر جدا القدر الذي يخفيه رمز الصليب.

يُدين الذهن بكل شيء للآلام الجسدية؛ فلولاها لا تكون الحياة سوى مجرد حياة.

لكن المرض يأتي بشيء آخر جديد؛ أليس فصلا خامسا؟

النيرفانا اليومية عبر التفكير والألم...

حين نحمل في داخلنا الكثير من الموسيقى بدون ميلوديا...

ليس الإنسان حيوانا خُلق من أجل الحياة: لذلك يبذل الكثير من الحيوية جريا وراء رغبته في الموت.

لا واقعية الحياة ليست مُربكة في أي جهة أخرى إلا في حالات من السعادة. من هنا ينبع الوصف الفائق الأليم للحب.

تُختزل كل شعرية الأصوات الداخلية في استحالة الفصل بين الرغبة في الحياة والرغبة في الموت.

تشبه الآمال أعشاشا ناعمة للنهايات. أن نحيا ونموت: علامتان لنفس الوهم.

كل الدموع التي لم أَبْكِها سُفحت في دمي، لكنني لم أولد من أجل بحار متعددة، ولا من أجل مرارات كثيرة.

12



لا أجد مفتاحا لهذا الفعل: في البهجة المستلهمة نحن نقلد الله، وفي الحزن نبقى مع رمادنا في نفس الجوهر.

تفكير ما يجب أن يكون له شيء ما من المخطط الداخلي لسوناتة. فن اختصار التمزقات... تدخل المعمار في تقطيعاتنا الموسيقية.

ليس الحزن سوى لا نهاية من خلال الضعف، سماء من النقائص...

تختزل حياة الإنسان في العيون. لن نستطيع أن ننتظر أي شيء منها دون ترميم البصر.

الحب قداسة أكثر منه مجرد الجنس. لا شيء، لا أحد يمكن أن يلطف هذه المفارقة الوعرة المتسامية.

لم ينس «هامت» أن يذكر الحب ضمن «الأوجاع» التي تجعل من الانتحار شيئا مفضلا في الحياة. لكنه يتحدث عن «آلام الحب المُحْتَقَر». كم كان سيكون أكبر ذلك المونولوغ الشهير لو قال فقط:

الحب!

على ضفاف البحر، يلخص الجفاف الداخلي للأيام المقفرة - حتى من الظمإ - الرغبة في السعادة والألم معا. ودائما على نفس هذه الضفاف، نعفي أنفسنا دينيا من الله...

البحر الأبيض المتوسط هو البحر الأكثر هدوءا، والأكثر شرفا، والأقل تصوفا. بسبب غياب أمواجه يتدخل بين الإنسان والمطلق.

لأنها وحدها، تكون المرأة.

تنبع قوة الإنسان من الإنجازات غير المكتملة للحياة. بفضلها يكفُّ عن كونه طبيعة.

يمر تعريف الافتتان عبر «فاغنر»، الذي أدخل نقط الحذف في الموسيقى، والمذيب اللانهائي... والانتكاسة الصماء في قبو ميلودي وغير محدد، عصبية الـ... دم، عند فنان قذف بأعصابه في أُبَّهة وعظمة داخل الميتولوجيا.

ولذلك تنكسر داخل الافتتان الفاغناري موجات بعيدة ممتلئة بالغسق على جبله متعبة، وتسكب في الشرايين الطرية أدوية للتيه والحلم.

تبرقش الضربات الجافة والعنيفة المشهد النحوي للوجود، كما يرسمه السأم من خلال مبالغة النظام، وكي يُخفي غياب المفاجآت، يضعنا في كمائن مثبتا مركز حراسة في قلقنا.

نستطيع من خلال السأم، وعبر سيرورة مُطَوَّلة أن نلقي مرساتنا في الله. والله في حد ذاته ليس سوى غياب للدين.

نتسى الحياة ونحن نفكر في الأسلوب: تخفي جهود التعبير صعوبات التنفس، ويخنق شغف الشكل الاضطرام السلبي للمرارة، ويحررنا سحر الكلام من عبء اللحظة، وتخفف القاعدة الضعف.

السبيل الوحيد لعدم السقوط هو معرفة كل الانتهاءات؛ إنهاك سمومك في الذهن.

لو قصرنا الأشجان على مجرد إحساسات، لكُنَّا فقدنا وجودنا من زمن...

لا يخدم الذهن الحياة إلا من خلال التعبير: شكل تدافع به عن نفسها من عدوها الخاص.

تعب فترات الظهيرة، مع زنجار الأبدية في الروح، ونفخات الدوخة في حقل حديقة ممسوسة بالربيع...

الأبدية هي القلنسوة التي يذبل فيها الله منذ البدايات، والإنسان أيضا من حين لآخر عبر التفكير.

عندما لا تتميز الحيوية من بين حالات الضعف، بل تضيع فيها، فذلك يكشف التركيب الداخلي لشخص متناقض. عند ممارسة علم النفس على حساب أحدهم، فذاك يعني إماطة اللثام عن نقص في نقاء القوى التي تحركه، وعن الخليط الشاذ واللامتوقع للعناصر.

من زاوية نظرية، نجد مشقة في التفكير في التأليف بين البربرية ومالنخوليا منحطة، بين حيوية وموجة، بين غريزة وإفراط في الدقة. غير أن عديدا من الناس، في الواقع، يبقون مضطهدين بنقص غسقي للحياة في قلب تأملات مؤكَّدة للغاية!

من أين تنطلق تلك الرغبات التي تقبِّل المجريات الكونية وتجنبها لايقين الحلم، إن لم تصعد منحدر ضعفنا وتهبط منه؟ ولماذا لا تمتلك الرغبات مجرى مغلقا؟ من الذي يربط الصلة بين النبضات إن لم يكن هذا المزيج بين التأكيدات والإنكارات للدم؟ لو كان لغرائزنا اتجاه، ولحالات ضعفنا اتجاه آخر، ألن نكون كاملين مرتين؛ ألن نبلغ الكمال في كلتا الحالتين؟ يخلق اللقاء المُفارق للميولات تلك الصلة المعقدة والمتعذر تبسيطها، تلك الحدة التي تُرَكِّب وتفكك كائنا ما بشكل غريب. كذلك، ليس من السهل حمل الجحيم الناعم والمُسْكر للانحلال تحت سماء رتيبة ونضرة للبربرية، ليس من السهل تدبُّر المرء لأمره خلال فترة شبابه بالثقل الهائل للشيخوخة، ليس من السهل جر نهايات القرن من خلال قشعريرة الأفْجُر! أي مصير عجيب لكائنات تزهر في الخريف وقد أضاعت فصول الحياة في الأبدية الضالة للحظات.

لماذا تُدير بصرك اتجاه الشمس في الوقت الذي تصارع فيه جذورك نبضات الموت؟ بأي هيجان وأي ألم تلقي بنفسك في اللجج الإلهية! لا وجود لنقطة النهاية في الذهن، ولا أفق في العالم يمكن أن يوقف تسكع اليأس في صحراء الله، ولا فردوس يزهر

منذ الآن مُلقيا ظلاله على شقائهم الجماعي. سيعيد الخالق نفخته الأخيرة في المخلوق؛ في هذا المخلوق الخِلْوِ من التنفس.

أي طعم لرماد يصدر عن ما وراء العالم!

وجها لوجه مع الشيطان؛ لماذا يظهر نادرا جدا أقل من الله؟ أين يعيش بشيطنة أكثر هذا الأخير، بشكل يُحَوِّل معه هذا المزيج الغريب من تجلي الجوهر الشيطاني النقي فائضًا.

يصعد درب الرغبات اليومية من الأرض إلى السماء، في حين أن الطريق المعاكس نادر جدا. لذلك فإن الشيطان احتمال مرعب، أقل ترددا من عدوه اللدود.

حين يتحرر الذهن من الكائن، لن تعود للشهوة أية إمكانية للاختيار بين المتعة والألم؛ فهي تُتَوجهما معًا.

يُعلِّق كمال الأحاسيس العجيب الفوارق، ويصبح الألم والمتعة مترادفين.

لماذا نُضَيِّع القلب أولا ثم الذهن من بعده حين نفكر؟

يتمثل سحر الرعب في هول الحلول، في حقيقة معرفة كل شيء منذ بداية الاستجواب. كل جواب هو ملطخ بفروق من الفظاظة. ينبع تفوق الأديان في الإيمان مِن أن الله يمكنه أن يجيب عن كل شيء.

أريد أن أُدفَن في بكاءات الناس، وأن تكون كل دمعة قبرا لي.

كل ما يبتكره الإنسان يتحول ضده؛ ليس فقط كل ما يبتكره، بل أيضا كل ما يفعله. في التاريخ خطوة إلى الأمام وأخرى إلى الوراء. من خلال كل ما تصوره وعاشه، لا شيء ينقلب ضده سوى العزلة.

لماذا لم تعد للذكريات أية صلة بالذاكرة إذن؟ لماذا فقدت الأهواء تجذُّرها في الدم؟ بَلْقَانية سماوية...

لن تظهر لك الأشعة المتشتتة الصادرة عن الله إلا عند غسق الذهن.

قرب النشوة هي المقياس الوحيد لتراتبية للقيم.

لقد نجحت تجربة الإنسان في اللحظات التي آمن فيها بالله.

في كل مرة يُضيِّق فيها الموت الخناق على المعاني بفتنته المهدمة، أو تهبط الغيوم مع السماء بأكملها في الأفكار، يتمزق الزمن في تموجات مُبهمة مثل زبد جهوري.

أُكَفِّر عن غياب خيبة الأجداد، أعاني تبعات سعادتهم. أدفع غاليا آمال احتضارهم. وأنا أحيا، أجعل نضارة جهل الأسلاف يتعفن؛ هذا هو معنى الانحطاط. وعلى المستوى الثقافي، لا بد من تخليص بعض القرون من الابتكار والوهم، بدون تعزية، ولكن بوضوح. أدب سكندري [من ذلك العصر الثقافي في الإسكندرية قبل ميلاد المسيح].

ليس من السهل تعويض القرويين عن بعض قرون، لعدم امتلاكهم لحقول في الدم... أو عدم سباحتهم في البريق الآفل

للذهن.

وحدهما الموسيقى والقشعريرات تتضمنان النشوة. وحين نُضَيِّع طهارة الحدود والاعتماد الخرافي للشكل، يمكننا أن نفصل نهائيا الحياة عن الموت، يمكننا أن نبلغ النبضان الموحد للموت الحيوي، أن نبلغ الجمع بين الوجود والانطفاء. يدرك الناس من خلال الفكر، أو من خلال أوهامهم، ما تحويه الصيرورة الموسيقية من سحر غامض للأبدية، ومن تدفق وإعادة تدفق لنفس القطعة الموسيقية. الموسيقى هي من الزمن المطلق، جوهرية اللحظات، أبدية مندهشة بتموجات جمهورية...

أن تمتلك «عمقا» يعني أن لا تترك نفسك تحت رحمة سوءُاستعمال الفروقات، أن لا تكون عبدا للمشاريع، أن لا تبتر حياة الموت. حين نذيب الكل في غموض ميلودي للعوالم، تتطهر الحركية اللامنتهية والمعتمة والمتألفة من عناصر مختلفة، في قشعريرة العدم والامتلاء، في تنهيدة تصعد من أحشاء الكائن، فتترك لنا طعم الموسيقى والدخان بشكل أبدي...

يمكن تبرير وجود الناس من خلال الأفكار المريرة التي يلهموننا إياها. أمام محكمة المرارة، سوف يُطلَق سراح الجميع، وعلى رأسهم المرأة...

لا شيء قد يرضيك، ولا حتى المطلق، وحدها الموسيقى تقدر؛ باعتبارها تمزقا للمطلق.

لن نستطيع تحمل عبء الحياة إلا من خلال سُكْرِنا بآثامنا الخاصة. لا بد من تحويل أي غياب إلى لذة: فلنرفع نقصنا بالتعبد، وإلا سوف نختنق.

أنت، يا مَن أراد تغيير العوالم، أي أخطاء مازالت تربطك بالفردوس العبثي ذي العينين المملوءتين باللامنتهي وبالفراغ؟

وهو يخطط لسقوط الإنسان، منح الله الإنسان التعويض الوهمي بالمرأة. هل يمكنه بفضلها نسيان الفردوس؟ تقدم الحاجة الدينية جوابا بالنفي.

سوف تقول ندوة تجمع بين «أفلاطون» والرومنطيقيين الألمان كل شيء عن الحب. غير أن الأساسي يتمثل في أن الشيطان هو الذي يجب أن يضيفه.

ذاك الذي رفض القداسة، وليس التخلي عن العالم، يجعل من ألوهية متحررة من الوهم هدف صيرورته.

حين تخاطب الله، تكلم معه باسمه، كن وحيدا لتستطيع أن تكون معه. بعبارة أخرى، أنت إنسان، ولن تستطيع أبدا البقاء وجها لوجه مع نفسك في عزلتك.

لم يحتفظ علم اللاهوت لله سوى باحترام حرف البداية الكبير.

هناك الكثير من النبل الفظ ومن الفن في عملية إخفاء الآلام عن الآخرين، والقيام بدور مصاب خبيث بالسرطان...

حين تذوب زرقة السماء في قطرات من السأم، ويقطّر كمًّا هائلا من الأزرق والانحسار، أدافع عن نفسي مني ومن السماء في مياه البحر الأبيض المتوسط للذهن.

نتطهر من الشقاء في معابر الكراهية الاحتفالية، أو في اختزال كل شيء في لاشيء، وأولا وقبل كل شيء يأتي الحب الذي نُطَهِّر أناه من كل ملوثات الطبيعة. والذي لا يعرف كيف يكره لا يعرف أي شيء عن الأسرار العلاجية. فكل شفاء يبدأ من عمل تدميري، هكذا يمكن الظفر بالنقاوة. نحن لسنا أنفسنا إلا عندما ندوس أنفسنا بشكل قاس.

ليست ثمة إلا معاناة جسدية: تلك حقيقة لا يجب الإفصاح عنها لأي أحد.

في إغواءات الحب، ليس هناك أي فراغ بين الأنا والموت.

يستقر المطلق في شكل إيروتيكية مطهرة للكون. كل ما يتجاوز الحب الأرضي يشيد أسس الله. من المستحيل أن نصالح الحب مع العالم...

أكثر من أي شيء آخر، في الحب نكون ولا نكون. وعدم التفرقة بين الموت والحياة ميزة فعل الوقوع في الحب.

يمكنك احتمال التاريخ باعتبارك عالم لاهوت أو كلبيا. لكن أولئك الذين يعتقدون في الإنسان وفي العقل، كيف لا يصبحون مجانين الخيبة، كيف يحافظون على توازنهم في الفشل المؤبد للأعمال؟

لكن باستدعاء الله أو القرف، نتدبر الأمر بشكل مُرضٍ في الصيرورة... التذبذب بين علم اللاهوت والكلبية هو الحل الوحيد المُتاح للأرواح الجريحة.

تلك الليالي الفظة، الطويلة، القاسية بشكل مكتوم، مع رعود غارقة في المياه الميتة للأفكار، والتي نحتملها عبر الظمأ المتطفل لمعرفة كيف يمكن أن نرد عن هذا السؤال الأبكم: «هل سأقتل نفسي أم لا من الآن إلى حلول الفجر؟».

المادة مبللة بالألم.

حين كبر الذهن إلى ما وراء مرتفعات العالم، جعلك أسلوب الحياة الخانق تختبر قشعريرات فيل في ضيق.

أي أمواج مجنونة لبحار مجهولة تلطم جفوني وتجتاح ذهني؟ أي عظمة تلك التي لا يخفيها تعب أن تكون إنسانا!

تمنحنا ذكرى البحر خلال الليالي البيضاء، أكثر من الأرغن أو اليأس، تمنحنا صورة الاتساع؛ فكرة اللامنتهي ليس سوى ذاك الفضاء الذي يبتكره غياب النوم في الذهن.

على ميناء الساعة الشمسية كُتِب: التعدد الأخير.

... لن نستطيع أن نتحدث عن الموت إلا باللاتينية.

من له رأي نهائي حول أي شيء ما، يثبت أنه لم يقترب من أي سر من أسرار الكائن.

الذهن هو بالأساس مع الطبيعة أو ضدها.

في جسد أنهكه السُّهاد، تلتمع عينان تائهتان في هيكل عظمي. وفي السحر المربك للاختلاج، نبحث عن أنفسنا بين ما لم نَكُنْه، وما لن نكونه أبدا.

لن يستطيع إنسان أن يتحدث بصدق إلا عن نفسه أو عن الله...

نجد أنفسنا في قلب الحياة في كل مرة نتفوَّه فيها بتفاهة من أعماق قلبنا...

عبر أي سر نستيقظ في بعض الصباحات بكل أخطاء الفردوس في أعيننا؟ وفي أي منجم للذاكرة تشرب الدموع الداخلية السعادة، وأي أنوار عتيقة تدعم النشوة الإلهية فيما فوق صحراء المادة؟

... أفهم عدم مقاومة الله في صباحات مثل هذه.

المستقبل: الرغبة في الموت مترجمة في بُعْد الزمن.

نبل عدم ارتكاب أي إثم ضد الموت...

لقد أنار الكون أصواته فيك وأنت تمر وسط الشارع العريض...

تحرق السماء ظلالها في دمك وأنت تبتسم لأشباهك... متى ستقلب أديرةَ قلبكِ عليهم؟

هناك الكثير من اللامنتظر والبذاءة في لامنتهى الذهن؛ فكيف يا ترى يحتملها عُقْم العظام وإنهاك الذهن.

يشبه سحر الحزن التموجات اللامرئية للمياه الميتة.

الحاجة للإشارة لكل التأملات المريرة، من خلال ذلك الخوف الملغز مِن أن يأتي يوم لا نكون فيه حزانى.

بما أنه ليس في متناولنا النشوة مثل المتصوفة، نكتشف الجهات الأكثر عمقا للكائن في الانتكاسات الحادة للتعب... تتراجع الأفكار ناحية منبعها منغمسة في الالتباس الأصلي، بينما يطفو الذهن فوق مصالح الحياة.

يسلخ الإدراك الحسي الحاد للعالم، في التعب المُهلوس، الأشياء من بريقها المخادع، ولا شيء يمنع من العبور إلى المنطقة الأصلية النقية مثل فجر نهائي. هكذا يختفي كل ما أضافه الزمن من افتراضات أولية. يزيح الوجود الحجاب عن نفسه كما هو: في مقطورة العدم، وليس هو اللاشيء الذي يوجد عند حدود العالم، بل إن العالم هو الذي يوجد عند حدود اللاشيء.

التعب بوصفه أداة للمعرفة.

يسبح الذهن في النور الغامض لليأس.

قليلة جدا علاجات الذهن؛ ذلك أنه علينا نحن أن نبرأ أولا منه. نقترب من الطبيعة والمرأة، ثم نهرب منهما ونعود إليهما دائما، رغم خشيتنا من السعادة غير المحتملة. هناك مشاهد وعناقات تترك فينا طعم المنفى، مثل كل ما يمزج المطلق والزمن.

نحن واقعون باستمرار في فخ الحياة، حين نشاهد السماء في عيني

امرأة، لن نستطيع نسيان الأصل.

القدرة على الألم بجنون، وبشجاعة، وبابتسامة، وبيأس.

البطولة ليست شيئا آخر سوى مقاومة القداسة.

الخطر في الألم أن تكون مهذبا، أن نعاني بتفهم. هكذا، نشعر أننا ننزلق في أيقونة، انطلاقا من الإنسان الذي كُنَّاهُ؛ ذلك الإنسان المقدود من لحم فان.

لا تكن لأي أحد مثالا للكمال؛ دَمِّر في داخلك أي شكل وكل مثال يحتذى به.

وليتعلم الناس منك خشية مسالك الناس؛ ذلك هو الهدف من الألم.

باجتثاث الذهن من جذوره، بقي وحيدا مع نفسه.

يمكن اختزال كل الأسئلة هكذا: كيف يمكن أن أكون الأقل شقاء؟

وقح من لم يمسسه المرض، وخِلْوٌ من الأسرار من لم يتنفس الموت.

نشيد الأعماق الأبكم: يقيم المرض صلاته في العظام.

لا تستحق الحياة أن تعاش إلا من أجل اللذات التي تزهر فوق خرائبها.

حين نعثر على نبل ما في الانتحاب، تصبح المفارقة هي الشكل الذي من خلاله يخنق الذكاء البكاءات.

أي الأفْجُر سوف توقظ ذهني الثمل بكل ما هو معطوب؟

13



متى سأكف عن الموت؟

هناك جراح تتطلب تدخل الفردوس.

يجلس الذهن في قاع الجحيم رفقة كل الآثام، ورفقة لا شيء، ينظر بعينين جامدتين، نحو العالم.

وحده الشيطان يشفق عليك حين تحب الحياة بشغف وقرف، ويوفر الملاذ الحتمي لألمك المُخبَّل.

تمزقات اللحم هذه واختلالات الذهن عندما نستسلم لقداسة كلية، إذا تدخل الله لمد يد العون لنا. غير أن تردداته تحبسنا في هذا العالم.

إلهي، لماذا لم تجعل مني أبلها أبديا تحت قبابك الغبية؟

الذهن: لحم أصابه جنون متسام.

لم تقع المعركة بين الإنسان والإنسان بل بين الإنسان والله. لهذا

السبب لا المشاكل الاجتماعية، ولا التاريخ بإمكانهما تقديم حلولٍ.

لا تصلح فكرة الله إلا للموت؛ فليس بإرادتنا نتجه إليه بل لأنه لا خيار لنا.

لا أحد يستطيع أن يعرف إن كان مؤمنا أم لا.

بالنظر إلى العديد والعديد من الأشخاص الذين يُقبرون أنفسهم في فكرة، في موهبة، في عيب أو في فضيلة، نستغرب من أن المسافة التي تفصل الناس عن الأشياء التي يمتلكونها طفيفة جدا. هل رأوا قليلا جدا؟ لا تُطيق المعرفة الطبيعة إلا من خلال إرادتنا أن نبقى فيها. نتحرك وقتها بين الأشياء والمثل العليا، منخرطين في بقايا أهواء، مانحين من خلال الورع والمرارة نفحة وجود لظلال بصدد البحث عن نفسها.

ليس الكون جادا. علينا أن نسخر منه بشكل تراجيدي.

أن نعمل فذلك نقيض أن نفكر.

تَنْذُرنا الترددات بين السماء والأرض لمصير «جانوس – Janus»؛ حيث تصبح الوجوه وجها واحدا في الألم.

القلب معلق بين الارتجاف والتردد: شكوكي مفتوح على النشوة.

يزيل العقل الحجاب عن نفسه في ساعات ما بعد الظهيرة من يوم الأحد – أكثر من الأيام الأخرى- والأفكار تتحول نجوما

سوداء على العمق الفارغ للأبدية. يولد السأم من تغليف نهائي للحواس؛ بحيث إنه يكون منفصلا عن الطبيعة.

تبدو الغابات كما لو أنها تنحني لترفعك في مجد الأوراق خلال الامتداد الكوني للسأم - تثاؤب الكون- بينما القلب تائه بين العساليج الميتة.

تولد موسيقى السأم من ارتجاف الزمن - نبرات مكتومة لانطفاء الزمن.

قلبي - المخترق بالسماء - هو النقطة الأبعد عن الله.

لا شيء يمكن أن ينسيني في الحياة، رغم أن كل شيء يجعل منها غريبة بالنسبة إليّ. نفس المسافة تفصل بين القداسة والحياة.

لا أمتلك قوة لمعاناة إشراقات الحياة: بينما فقدت نَفَسي ولم يعد لي أي صوت إلا من أجل يأس الجمال.

يهرب الناس من الموت مثلما يهربون من التفكير فيه. لقد تعلقت كثيرا بهذه الفكرة، وفيما يتبقى هرولت في الصف مع الآخرين؛ هذا إن لم أكن أسرع منهم.

يعاشر السأم روحا إيروتيكية لم تعثر على المطلق في الحب.

لإخفاء دراما الوجود بأبَّهة: ارم سهما ناريا عبر الذهن، تعهده ليلا ونهارا، ابتكر بالقرب منك بريقا زائلا وأبديا للذكاء المجنون بلعبته الخاصة؛ اجعل من الحياة لمعانا فوق المقبرة. أليست روح

الإنسان قبرا ملتهبا؟

أعط درسا رائعا بالنسبة إلى المشاعر، افرض على الجسد مجاورة النجوم، وارفع اللحم باللطافة أو بالجريمة إلى حدود السماء، وليكن رمزك: زهرة فوق الفأس. تعلم شهوة أن تمنح الأفكار فراغ لحظة، أن تحب الكائن من دون أن تمنحه أي هدف، أن تكون نفسك دون أن تكون أنت. تعلم الانتظارات الحالكة وسط الطبيعة وأنت تشاهد أجنحة الملاك تلمس التَّوْشية الممزقة للغيوم.

... وأنت تتخيل أنك تحلق نحو أعماق الحياة، وتداعب بأجنحة اللا عزاء سماءً من الثمالة، يبدو هذا غير كافٍ لإرواء عطشك للَّجج.

كم من واحد يمكن أن يقول: «أنا شخص وُجد من أجلي الشيطان؟» كيف لا يمكن الشعور بوحدة مصير مع أولئك المجبولين على هكذا اعتراف.

من الممكن سحب صورة مكتملة للعالم من أفكار تولد خلال سهادات مجرم، ملطفة بعطر يفوح من توهان ملاك.

مهما فعلنا، وبعد أن فقدنا دعم أنفسنا لأنفسنا، لن نجد دعما آخر إلا من الله. وإن بقينا نتنفس من دونه، فبدون فكرته سنتوه في استسلامات الذهن.

ما يفتن في اليأس أنه يلقي بنا فجأة أمام المطلق: قفزة عضوية قاهرة، عند أقدام النهائي. إثر ذلك تشرع في إنارة (أو تعتيم) من

خلال التفكير؛ الحالة الناجمة عن الغضب الميتافيزيقي لليأس.

منفصلون عن أشباهنا بالعزلة الحتمية للقلب، نتعلق بالله كي لا تَرفع بحار الجنون الأمواج أعلى من عزلتنا.

كما في الشِّعر، لا نعتقد في أي شيء، بل نضيف درجة من السحر على الإلهام لأن الدمية تتمة موسيقية؛ بينما لا بد من الانخراط في شيء ما في النثر، كي لا نبقى عراة أمام فراغ الكلمات. ليس حظا جيدا أن تكون مفكرا حين لا يكون بمستطاع الذهن أن يلتفت نحو الحقائق «الرفيعة»؛ منتوج العماء.

الهدف الوحيد للأرض هو امتصاص دموع البشر.

تُظهر لنا الموسيقى كيف سيكون الزمن في السماء.

هناك نوع من الغناء في كل مرض.

لم يعد من الممكن إطلاقا مد جسر بين الإنسان المطارد بالموت وأشباهه. ومهما فعل، فمحاولات الاقتراب لا تزيد إلا تعميق الهوة وتأكيد الكارثة.

عليك أن تكون مع قريبك لا مباليا أو منشرحا. لكن إن كنت لا تعرف الإثارة والحزن، فهدفك شبيه بشكل خطير بمصير الناس، وليس من دواء لذلك. ونصل شيئا فشيئا إلى عدم اللقاء مع أي أحد وإلى الأبد.

في الحزن - الموت والجنون يتباريان- تعود الآمال المضطهدة في

شكل أفكار قتيلة. وبسبب الغبي البشري الذي كنا عليه، نصبح رهينة اللاكائن.

لماذا لا تمتد عليَّ ظلال الأبدية الحمقاء وطزاجة الجهل؟ حُمَّى براري اليأس...

في دماغٍ ميت، لن يكون بمستطاع الأزمان الذاهبة إلى حرب صليبية نحو التدمير قتل ذِكرى إله اختلقته التنهدات والعزلة.

في عالم لم يعد لي فيه أحد، لم يتبق لي إلا الله.

الصمت الذي يتلو كثافات هائلة: الإلهام، والجنس، واليأس. كما لو أن الطبيعة هربت وبقي الإنسان بلا آفاق في سهرة مجاورة للتلاشي؛ فالطبيعة وظيفة حمى الروح. يتم خلق الوجود في اللحظة الذاتية بامتياز؛ وذلك لأنه لا وجود لأي شيء عدا اجتياحات القلب.

يشكو الإنسان من عدم قدرته على تصريف الرعب، فلم ينجح في توسيع أفق عقله إلا من خلال الرعب.

الظمأ لفردوس حليم، مُشيد على ابتسامة التشوهات السماوية.

العُصاب هو «عقدة هاملت» الآلية. يمنح المصاب به صفات العبقرية، بدون سند الموهبة.

يُحولك التردد بين السماء والأرض إلى قديس سلبي.

على مرتفعات الألب أو البيريني، مع الغيوم من تحتي، متكئا على الثلج والسماء فهمت:

- على المشاعر أن تكون أكثر نقاوة من الهواء القليل عند المرتفعات؛ عليها أن لا تحويَ لا الإنسان، ولا الأرض، ولا أي شيء من العالم؛ فهمت أن اللحظات نسائم نشوة ونظرة دوامة ارتفاع؛

- أن الأفكار تداعب الأشياء التي لم تعد سوى وشوشة مالنخوليا الريح وهي تلمس الأزرق السماوي والثلج. أن كل قمم الجبال، حيث لم تكن إنسانا، تنعكس على ذهنك، وكذلك كل حواف البحر حيث لم تكن حزينا. يصبح السأم موسيقى على حافة البحر، ونشوة عند قمم الجبال؛

- أنه ليس هناك «أحاسيس»: فإلى من ستتجه في كل مرة تتوقف فيها عن أن تكون إنسانا؟ لن «تحس» البتة إلا بقوى اللاكائن؛

- أننا لن نستطيع العيش إلا في التِّيه. عد أدراجك وامش نحو النجوم. ردد كل يوم درس هذه الليلة حين تجلت فيك النجوم ساخرة.

يربطك التطور نحو العدم بشكل لا رجعة فيه إثر كل سفر. باكتشافنا لأخبار جميلة، نفقد، بسبب جاذبيتها، الجذور التي نبتت عندما لم نكن نرتاب فيها. ما أن يستبد بنا سحرها، في رائحة «اللاعالم» الصادرة عنها، ترتفع في الفراغ النقي المُكبَّر بسبب خراب

الأوهام.

أن أؤمن بالأقل من الأشياء، إني أموت أكثر عند ظل الجمال: أكثر من ذلك، بما أنه ليس لدي أي شيء يربطني بالحياة، فلا شيء يجعلني انقلب ضدها. لم أبدأ في حبها إلا بقدر ما تبعثرت آمالي. حين لا يبقى لدي شيء لأخسره سأكون ندا للند معها.

«الدونجوانية» ثمرة قداسة غير مستعملة - في كل اعترافات الحب، شعرت أن المطلق هو المعني - ولهذا أستطيع أن أفعل ذلك متى شئت ومع أي كان.

مِزَق الثلج على الخلفية الرمادية للجبال عند صباحات الصيف: فُتَات سماء سحيقة.

الأفكار ميلوديات ميتة.

كان يجب أن نترك الخناجر تصدأ عندما عجزنا عن كشف أسباب قلبنا دون الله للناس. يميل القلب بطبيعته نحو وردة الانتحار، وسط حديقة التيه التي هي الحياة.

مصير الإنسان هو في الغياب المستمر للـ «الآن»، وفي الذبذبة الملحة لـ «سابقا» - كلمة الحتمية هذه: قشعريرة لا دواء لها للتيه ترتفع من صداها المستمر.

لا شيء يلمس سذاجات الدم أكثر من تدخل الأبدية. أي شقاء سوف تسكبه على نضارة الرغبات، كي تشتتها وتجعلها تتلاشى بدون أثر؟ ليست الأبدية وليدة أنفاس الحياة: هيبتها المأتمية تخنق

الحماسات، وتختزل الواقع في غياب.

على أمواج العدم التي تغطي الكائن بدون أحشائه، وحدها الرغبات تتنفس نسيم الوجود.

في كل الديانات، وحده ما يتعلق بالألم مربح من أجل تفكير غير مهم. ما تبقى ليس سوى تشريع صاف، أو ميتافيزيقيا المناسبة.

يعوض الزمن الدم في السأم. بدون السأم، لن نعلم كيف تنساب اللحظات ولا حتى هل هي موجودة أم لا. لا شيء يوقفه حين ينطلق: نسأم، إذن، مع الزمن كله.

هدف المفكر هو أن يبتكر أفكارا شعرية، أن يكمل العالم بصور مطلقة، متفلتا من شمولية القوانين. يتجلى جوهر الطبيعة في رفض الهوية ورعب المبادىء؛ فالفكرة تنبت من بين أنقاض العقل.

أحب تلك النظرات التي لا تخدم الحياة في أي شيء، وتلك القمم التي أصغي للزمن فوقها. (ليست الروح معاصرة للعالم.)

هناك بلدان لم أكن قادرا فيها على أن أُفَوِّت ولا لحظة واحدة. إسبانيا، مثلا، فيها أماكن عظيمة ومعتمة؛ حيث تتحدى الحجارة الآمال، حيث تنتشر الأبدية على الحيطان بشكل كسول تتذكر الزمن، ومواقع مفضلة لقيلولة الألوهية؛ مواقع تفرض عليك أن تكون أنت نفسك بشكل مطلق. في فرنسا، نذكر مون سان ميشيل، وإيغ-مورت، ولي بو إي روكامادور. أما في إيطاليا؛ فكلها.

يلتبس السأم المطلق مع الموضوعية الشهوانية لفكرة الزمن.

على الفكرة أن تكون غريبة مثل خراب بسمة.

يبدو لي الفضاء الذي يحوم فيه الذهن بعيدا وخاليا من المعاني، مثل أوروغواي سماوية.

يتمثل خطأ الناس الذين يؤمنون بشيء ما في بخسهم الموت قدره. لن يُمْسِك بالموت باعتباره مطلقا إلا مَن يمتلكون شعورا حادا بالطريقة العرضية للفردانية، لديهم شعور حاد بالخطأ الذي يواجه دقة المبادىء. ليس العقل الذي يضعك في مواجهة الموت، ولكن هو الشرط الوحيد للفرد. مَن لديه قناعات يخفي مأساة التفرد هذا. التفت إلى الموت العاري والطاهر، باستثناء تجليات الذهن، وتلطيفات الأفكار. لابد من النظر في وجهه مباشرة، مع العذرية الداخلية للحظات حين لا نؤمن بأي شيء؛ بل أكثر من ذلك: كشهيد للاشيء.

لا يَختِبر حب الحياة الممتلىء بالارتجاف والألم إلا أولئك المغمورين بالقرف. تزهر بعض الصباحات بغتة في صحاري التعب، وتُسمِّرنا جامدين بين ذراعي الوجود. في القرف من كل شيء، ذلك القرف الهائل الصادر عن خدر الدم والأفكار، عن تجليات متفلتة للسعادة تأتي في شكل اقتحام، وتمتد غامضة فوق تنهداتنا مثل قبور الأزرق السماوي. نبحث وقتها عن توازن بين قرف أن نكون أو لا نكون.

حشد فوضوي من الملائكة أو الشياطين قد وضعت على جبيني

تاج السأم. لكنها لن تستطيع أن تصنع ظلا لقوة الآمال العبثية لقلب عاشق للعالم بشكل شغوف.

إنها السماء وليست الأرض التي جعلت مني «متشائما». العجز في أن أكون ناتجا عن التفكير في الله...

هناك معاناة، معاناة لامتناهية في التصوف؛ وهو ما لا نجده في التراجيديا. النشوة نقيض ما لا يمكن ترميمه. ليست التراجيديا ممكنة إلا في الحياة كما هي، هذا الغياب للمَخْرج، ممتلىء بالعظمة، واللافائدة، والسقطة. «شكسبير» عظيم، فلا فكرة عنده تنتصر، وحدهما الحياة والموت يحضران. من «يؤمن» بشيء ما ليس لديه الإحساس التراجيدي.

بعد وقت ما، لن نفكر أبدا في السأم، بل سنتركه يفكر في نفسه. يمتد السأم نحو الجوهر في غموض الروح. ثم يصل: جوهر الفراغ.

بالنسبة إلى ذلك القريب من المطلق، فهو لن يستطيع الإفلات من إغواءات الحياة، ليس هناك أي انتحار يمكن أن يضع نهاية لاتساعه الداخلي. لا شيء يساعده لحل المأساة الفظيعة للذهن. يتآكل الأسلوب الصلب للفكرة في هذا الصراع. سحر الواقع ثقيل جدا على الميزان، وليس هناك من وسيلة لإلغائه، رغم أن هناك أفكارا تنزلق على السطح البراق للا كائن. أن يعيش المرء شعوريا في اللاشيء...

ما الذي بحثت عنه حين عشقت الحياة بشغف زائد؟ الذهن خطأ هائل حين يمنح الضعفُ الحياةَ أوهام البديهة المسلمة.

أنا صحراء قرضتها الشهوات، تابوت حجري للأزهار.

الشوارع مقفرة في المدن الكبيرة: يبدو أن هناك من يشنق نفسه في كل بيت.

... ثم قلبي - مشنقة على مقاس أي شيطان كان.

القداسة هي الدرجة العليا من الحركية التي يمكن أن نبلغها بدون وسائل الحيوية.

العدمية: الشكل المحدود للرفق.

السأم هو أحيانا فظ وأحيانا أخرى سام. كذلك هو الكون الذي تارة يتنفس البصل، وتارة أخرى يصدر عن مجانية شعاع ضوء.

14

لا أشعر أنني «في بيتي» إلا على ضفاف البحر، فلا أستطيع أن أُشيِّد جزءا مني إلا بزبد الأمواج.

أعرف جيدا أنه لم يعد لي أحد في مد أفكاري وجزرها: بلا بلد، بلا محيط، بلا عالم. باق مع تنهدات جلية لحب هارب في ليال تجمع السعادة بالجنون.

العذر الوحيد للشغف بالتفاهات: أن نعيش دينيا لا منفعة العالم.

لقد شهد الله عليَّ أنني مزجت السماء مع كل الأحاسيس، أني رفعت قبة من الندامات فوق كل قبة، ورفعت أزرقا سماويا فوق هذه الغيبوبة.

لا شيء يخدم الطبيعة بشكل أقل غير الحب. حين تغلق المرأة عينيها، تنزلق نظرتنا فوق جفنيها بحثا عن قباب زرقاء أخرى.

في اليأس المباغت غير المشيد، تبدو الروح بحرا قد غرق الله فيه.

المحتوى الإيجابي للحياة هو محتوى سلبي: الخوف من الموت. الحكمة – بوصفها موتا للتفكير – تهزمها.

لكن كيف يمكن عدم الخوف من الموت بدون الوقوع في الحكمة؟ بدون الفصل، بأي طريقة كانت، بين فعل الحياة وفعل الموت، بالالتقاء بالحياة والموت في شهوة التناقض. لن يستطيع ذهن نبيه مسامحة تعارضات الطبيعة، بدون ملذات التناقض، كما لن يستطيع أن يشتكي من مشاكل الوجود الصعبة.

ونحن على الدرجة الأخيرة مما لا دواء له، نتخذ قرارنا لفائدة الله. أن نؤمن فذلك يعني أن نموت مع كل مظاهر الحياة. يُلَطِّفُ الدِّين مطلق الحياة، كي يمنح الله الفضائل التي تنتج عن هذا التخفيف. هو كبير بالنظر إلى أن الموت ليس كل شيء. وإلى حد الآن، لا أحد امتلك الوقاحة لدعمه – عدا أخطاء الحماسة – والتي لن تكون كل شيء...

كلما فقدت إيماني في هذا العالم، صرت في الله أكثر بدون الإيمان به. هل هو مرض سري، أم شرف الذهن والقلب بما يجعل من المرء في نفس الوقت متصوفا وشكوكيا؟

ليس للشقاء مكان في كون الكلمات.

ليست الأبدية سوى عبء غياب الزمن. لهذا السبب نحن لا نشعر بها أبدا بشكل حاد إلا في التعب؛ باعتباره شعورا جسديا بالأبدية.

يولد كل ما هو ليس زمنا، كل ما هو أكثر من الزمن من نضوب العمق، من الخدر التأملي للأعضاء، من فقدان إيقاع الكائن. تمتد الأبدية على صمت الحيوية.

كسرت حواجزي من خلال كل ما هو أنا نفسي. هل بإمكان الذهن إعادتها حين يلغي نفسه في يقين العماءات؟ بأي عجائب أو تعويذات يمكننا أن نجعل المعرفة تمشي إلى الوراء؟ متى تتحطم السهادات في التقاعد؟ لا يمكن إنقاذ العالم بدون جبن الذهن.

إلى متى سيظل هدف القلب أن يغني احتضارات العقل؟ وكيف يمكن وضع نهاية للذهن الممزق بين الريبة والهذيان؟

الغنائية هي المزيد من الأخطاء التي من خلالها يمكننا أن ندافع عن أنفسنا من تبعات المعرفة والوضوح.

عدم التفرقة بين مأساة اللحم ومأساة الفكر... هو بمثابة إدماج للدم في المنطق...

القرف من العالم: هجمة الكراهية في السأم. هكذا، تدخل الصفة الدينية للإنكار في غموض السأم.

تبدو لي الحياة ديرا نبحث فيه عن ملاذ لنسيان الله؛ حيث الصلبان تثقل لا شيء السماء.

بعد أن قطَّرت الروحُ اللهَ، فالثمالة المتبقية، وكأنها عقاب، صارت جوهرا.

كل شيء باطل ولا هدف له، عدا، ربما، الميلوديا الخفية للمعاناة. لكن بعد ما نكون قد عانينا مطولا، لنا الحق أن نعتبر العالم كما لو أنه مبرر جمالي، عرض للتفهم النبيل والمرضي. نتألم وقتها من خارج الألم. لا أحد يعرف أنه بأي ثراء في الآلام نصبح متذوقي جمال، دينيا.

تنبثق الأفكار من رهبنة الغرائز، ويجعل الذهن قوى الحياة أرملة. هكذا يصبح الإنسان قويا، لكن بدون وسائل الحيوية. الظاهرة البشرية هي الأزمة الكبرى للبيولوجيا.

بما أنني لم أستطع تحمل آلام الآخرين، تحملت الارتيابات. في الأسلوب الأول، سينتهي بنا الأمر على الصليب؛ في الأسلوب الثاني تصعد الجلجلة إلى السماء.

الآلام أبدية، أما الارتيابات فلا تنتهي.

حين لن يعود بإمكاننا الصلاة، عوض أن نقول الله نقول المطلق، أسبقية العبثية نقص في الصلاة. المطلق إله خارج القلب.

نتقدم في مسار إنهاك الشخص الإلهي بقدر ما ندمج عبادة اللامفيد في الذهن. فيما قد ينفعنا المطلق؟ في الأبدية، كل شيء لا فائدة منه. يجب أن يتم تطهير الحماس الصوفي بنبل الحركة الجمالية. لنقترب من الجذور الأخيرة للكائن بوفرة في الأسلوب. لنسبغ على يوم الحساب الأخير نفسه هيبة الفن، ولْنُذِب أنفسنا في الهدف النهائي للعالم بإنكارنا المؤثّر لأنفسنا. المطلق بالنسبة إلى حساسية

عالية هو شذرة مجانية من اللاشيء، مثل تمثال مكسر.

لماذا لا يسجد الناس أمام الغيوم؟

لأن الغيوم تُطفو بخفة فوق الدماغ أفضل من السماء.

تمتلك الأفكار الوليدة في الرعب سر الأيقونات البيزنطية وعيونها المتحجرة.

كل الطرق تؤدي منِّي أنا إلى الله، ولا طريق منه نحوي. لهذا السبب القلب مطلق - والمطلق لا شيء.

المنفى الداخلي هو المناخ الأسلم لأفكار بلا جذور. لن نبلغ اللافائدة الكبرى للذهن طالما لدينا موضع في العالم. نفكر دائما لأنه ينقصنا وطن؛ ذلك أن الذهن لا يستطيع حبس من ليس له حدود، لذلك فإن المفكر مهاجر في الحياة. وحين لا نستطيع التوقف في الوقت المناسب، يصبح التسكعُ الدربَ الوحيد لآلامنا.

تدمج المالنخوليا الكثير من الموسيقى في انهيار العقل!

بالتصاقهم بكل ما هو فوري، يتغذى الناس من الفظاظة. في ما يمكن أن نتحدث معهم إن لم يكن عن الناس؟ بل وعن شؤون متفرقة، عن أشياء ومشاغل، لكن لن نتحدث معهم أبدا عن أفكار. وبالتالي يبقى المفهوم وحده غير فظ. لكن نبل التجريدية غير معروف عندهم، فبما أنهم بخلاء في إراداتهم، فهم غير قادرين على بذل طاقاتهم لتغذية ما هو غير موجود؛ أي الفكرة. الفظاظة: غياب التجريد.

يحدد الإنكار المؤثر للأشياء قطبي الحساسية؛ حب بلا حب وكراهية بلا كراهية، ويتحول الكون إلى لا شيء نشيط، حيث كل شيء نقي وبلا فائدة، مثل العتمة في عيني ملاك.

المرض لذة كارثية، لا يمكن مقارنته سوى بالخمر أو المرأة. ثلاث وسائل يكون من خلالها الأنا دائما بَيْنَ بَيْنَ، شبابيك نحو المطلق، تنغلق في الاتساعات المعتمة للعقل. فالجنون عائق تضعه المعرفة أمام نفسها- اللامحتمل بالنسبة إلى الذهن.

كلما كان للإنسان حدود غير واضحة، اقترب بسهولة من غياب الأساس عند الله. هل كان من الممكن أن نلتقي بالله لو كان طبيعة، أو شخصا ما، أو شيئا آخر؟ لا يمكننا أن نقول عنه شيئا سوى هذا فقط: ليس له حد في العمق. كذلك هو الإنسان باتجاهه نحو الاتساع الإلهي، ليس له من جسر غير اللامحدد. غياب الأساس هو نقطة الاتصال بين اللُّجة الإلهية واللُّجة البشرية.

ميلنا نحو فقدان الحدود، نزعتنا نحو اللامنتهي والتدمير، هما قشعريرة تجعلنا نقيم في الفضاء حيث تفوح نفخة الإلهي. إن نحن تمسكنا بحدود الشرط الكوني، كيف يمكننا أن ننزلق نحو الله؟ يمثل غموضنا ولا يقيننا منابع ميتافيزيقية أهم بكثير من الثقة في مصير، أو التخلي المكابر عن هدف ما. ضعف الإنسان هو إمكانيات دينية، بشرط أن يكون عميقا؛ لأنه يصل وقتها إلى الله.

أمواج العدم التي تحرك الإنسان تمتد في شكل تموجات إلى درجة

الغياب اللامتناهي للألوهية. ليس معنى الإنسان سوى غياب الأساس في الله.

أنا أيضا شهيد: أريد أن أموت من أجل الارتيابات - الشكوكية بدون جانب ديني - هي تقهقر الذهن. ليس من أجل ارتيابات الذهن، ولكن من أجل ارتيابات الصَّلب. فلندق مسامير ضخمة في نواة الذهن. فلنَحْنِ الوعي بشكل أليم نحو آفاق العالم؛ فلننزف ونحن نبتسم. متى سأوقد نارا في الأفكار؟ هناك الكثير من الجمر في تذبذبات التفكير! ليس من السهل الارتياب ونحن ننظر نحو الله!

هل من الممكن أن أنفذ داخل الأرض وأنا على ركبتيَّ؟ هل من الممكن أن أدفع برفض صلاتي إلى أبعد حد؟ هل سأهين الله بفجوري فوق الطبيعي؟

كلما صعدت أكثر نحو السماء، نزلت بقوة نحو الأرض.

منفصلا عن كل شيء، يتجه الذهن بنفس القوة في اتجاهات معاكسة. لا يمكننا الانخراط في شيء ما دون التزود بمدخرات متساوية؛ فكل شغف يوقظ معه نقيضه. المتنافرات؛ هي جوهر تنفس الإنسان. مُذ لم أعد أنتمي لأي شيء، أصبحت أملك كل اتجاهات العالم.

تُعَبِّر المفارقة عن عدم القدرة على أن يكون المرء بشكل طبيعي في العالم.

الكون هو توقف مؤقت للذهن.

هدف القلب أن يصبح نشيدا.

في تحليل أخير، لا تنبثق الشكوكية من استحالة أن نكتمل في النشوة، أن نبلغها، أن نحياها. وحده عماؤها المضيء، المُمَزِّق والكاشف، يعالجنا من ارتياباتنا. موت بقشعريرات بلسمية. كيف يمكن أن نرتاب حين يختلج الدم وصولا إلى حدود السماء؟ ولكن، لكم هو نادر أن يختلج بهذا الشكل؟

الشكوكية: لا عزاء لعدم وجودك في السماء.

إدخال أشجار صفصاف باكية ضمن الأنواع...

بالنظر إلى أننا نتألم فقط، فلنا الحق في مهاجمة المسيح. مثلما لا يمكن، بما تقتضيه النزاهة، أن نكون ضد الدين إن لم نكن متدينين. ليس هناك أي نقد من الخارج يثبت أي شيء أو يلزم أحدا.

حين نهاجم داخل وضعية ما، من داخل الوضعية نفسها، فلا نسدد على المنافس، ولكن على أنفسنا. نقد فعال هو بمثابة تعذيب ذاتي، ما يتبقى هو مجرد لعب.

سوف ينتهي التاريخ حين يثبِّت الإنسان نفسه في حقيقة ما. غير أن الإنسان لا يحيا فعلا إلا بقدر ما تضايقه أية حقيقة. منبع السيرورة هو الممكن اللامتناهي من أخطاء العالم.

يستند عصر ما إلى حقيقة ويتطور فيها، لأنه لا يزنها جيدا. وما

إن نضعها على الميزان حتى تتحول إلى حقيقة ما؛ إلى خطأ. عندما نحاكم كل شيء، يتحول يقين راسخ إلى مبدأ يتذبذب بدون سبب. لا يمكن أن نكون واضحين تجاه حقيقة ما دون أن نجازف بها. على كل فرد أو عصر أن يتنفس بشكل لا واعٍ في لا شرطية المبدأ، كي يعرفه كما هو. أن تعرف يعني أن تقلب كل أثر لليقين. الوعي - بوصفه ظاهرة محدودة للعقل - هو منبع الارتيابات التي لا يمكن هزيمتها إلا في غسق الذهن اليقظ. الوضوح كارثة بالنسبة إلى الحقيقة، ولكن ليس بالنسبة إلى المعرفة، التي على أسسها يرتفع معمار معقد من الأخطاء يسمى ذهن؛ وذلك لدواعي التبسيط.

لم يعد ذهني يجد الرضى إلا في الميتافيزيقا وفي كتاب الصلوات.

يتنهد الله في كل لحظة؛ فالزمن صلاته.

تتدثَّر أفكارنا بالرماد وينسحب ذهننا، حين يفعمنا الحظ والصحة.

الشقاء هو المنشط الأقوى للذهن.

لو يختزل القلب نفسه في جوهره المثالي، يعني الصلب، سوف تنتصب عليه صلبان حيث ستشنق نفسها بالآمال؛ مع كل السحر العبثي لجنونها.

الوضوح: خريف للغرائز.

لست خائفا من الآلام، لكن مما يتبعها من استسلامات. لو كان بإمكاني أن أتألم بشكل أبدي، بدون تعاز ولا طلب صدقة!

يقع المرض عند حافة المادة: يصبح الجسد بفضله دربا نحو المطلق؛ ذلك أن انكسارات الجسد تجعل من الألم فردوسا في الكارثة.

يخدم المرض الذهن دون تحايل. أو ربما أكثر، فالذهن مرض على المستوى التجريدي، على غرار الإنسان بما هو مادة مصابة.

خلال العزلة، كل ما يتفلت من رقابة المعنى هو اللا مرئي أولا، الذي يأخذ شكل الفورية. أن تكون بلا ناس ولاعالم، يعني أن تجد نفسك في الأساسي بدون وساطة. هكذا تنفتح في قشعريرة نادرة الرؤيا الجوهرية لليل، وللنور، وللتفكير. ونجني منها الباقي المطلق؛ وهو ما يتبقى من شيء ما حين يتوقف عن الوجود من أجل المعاني. نفهم السر الأخير لليل، غير أن الأحاسيس لا تتنسم الليل إطلاقا؛ هناك حيث نثمل بالموسيقى، بدون أي صوت يشنف الأذن. تكشف العزلة القاهرة للذهن عن العدم الطاهر لأسس المظاهر، النقاوة الإلهية أو الشيطانية لقاعدة كل الأشياء. ونفهم وقتها أن الهدف النهائي للذهن هو أن يقع مريضا باللامنتهى.

متى أضمحلُّ في الشيطان والله بدون نداءٍ؟

للأزرق السماوي وظيفة الأرض في الفردوس. يمشي الرجل والمرأة في صحراء زرقاء؛ ولهذا السبب لا يمكنهما أن يعرفا هناك. بينما هنا على الأرض، على اللون الموجع للأرض، فليس لهما سوى أن يعرفا.

انتزعوا وردة أو عشبة فاسدة، ولاحظوا في ماذا تعتقد: توبة متصلبة.

لقد جعلَتْ أول دمعة لآدم التاريخ في ارتجاج. هذه القطرة المالحة، الشفيفة والملموسة للغاية، هي أول لحظة في التاريخ، والفراغ المتبقي في قلب جدنا الكئيب، أول مثلنا العليا.

شيئا فشيئا فقدت الناس ملكة البكاء، وعوضوا الدموع بالأفكار. ليست الثقافة أصلا سوى إمكانية البكاء.

هناك تعب جوهري حيث الأتعاب اليومية تتشابه، ويضعنا دون تحايل في قلب المطلق. نمشي بين الناس ونوزع البسمات، هناك حيث نبحث في العادة عن الحقائق، وفي ضميرنا الداخلي نعتمد على الركائز الأساسية للعالم. ليس لنا من خيار، بل إننا مدفوعون إلى ذلك. نرقد، طوعا أو كرها، في الطبقات الأخيرة للوجود. تبدو الحياة عندئذ - هذه العندئذ المأساوية كل لحظة - حلما تجري أحداثه في مشهد للمطلق، خرافة وليدة تبعدنا عن كل شيء. وبانزلاقنا بهذا الشكل على منحدرات كون غير محدود، وتعلقنا في نفس الوقت بغرائز غامضة، يظهر تناقض مصيرنا أشد إيلاما من يقظة الربيع في مقبرة ريفية.

الإنسان غريق المطلق. لن يستطيع الارتفاع إلى هذا المطلق، فليس له إلا أن يغرق فيه. ولا شيء يجعله يفعل ذلك نحو الأعماق إلا أتعابه الهائلة، هذه الأتعاب التي تفتح الفضاء في تثاؤب

اللامتناهي والسأم.

لا نمتلك الحق بوصفنا كائنات في أن ننظر فيها وراء حدودنا. لقد أصبحنا أناسا تم إخراجهم من فردوس الكينونة. كنا مطلقا، أما الآن فنعرف أننا أصبحنا فيه؛ وهكذا لم نعد لا المطلق ولا نحن. لقد شيدت المعرفة جدارا بين الإنسان والسعادة. الألم ليس شيئا آخر سوى الوعي بالمطلق.

على الأفكار أن تكون متسعة ومتموجة مثل ميلودية الليالي البيضاء.

ذاك أكثر اتساعا، وأقصد الله. وحدها فكرته فقط أوسع منه.

... أما هذا الاتساع، فهو الألم الأشد تمزيقا للإنسان، منذ الأبد. لا يُدخل الموت فيه أي تدقيق، بل يُدخله فقط في الفرد؛ ذلك أننا حين نموت لا نعرف الله عن قرب، بما أننا ننطفيء بكل ما في الكائن من ثغرات، وهكذا نتعلم ما لم نكن، أو ما كان يجب أن نكون. بهذا الشكل يُفرغنا الموت للمرة الأخيرة من عبء المعرفة.

هذه الخشية من السأم التي لا يمكن أن نقرنها بأي شيء... ألم غريب يدفئ الدم ويعلن الفراغ الأصم الذي ينخرك لساعات بلا أسماء. يقترب السأم، سم الزمن المسكوب في الشرايين. والخوف الذي يجتاحك يدعو إلى الهرب: هكذا نبدأ في فقدان السِّلم في أي مكان كان.

لا بد من أن نعيش هموم هذا العالم إلى أبعد حد في الألوهية

والشيطانية. في جميع الحالات، لا يجب أن نبقى في مرحلة المشاعر، بل إلحاق كل شيء بالله وبالشيطان في نفس الوقت.

في الظاهر، «باخ» و«فاغنر» موسيقيان، غير أنهما في العمق مختلفان جدا، وفي الحقيقة يتشابهان أكثر مما نعتقد. لا يتشابهان من خلال معمارهما الموسيقي، بل من خلال جوهر حساسيتهما. هل هناك في تاريخ الموسيقى مبدعان استطاعا أن يُعَبِّرا بطريقة أكثر اتساعا وأكثر اكتمالا عن الحالة اللامحددة للكآبة الحالمة؟ لا يهم إن كانت عند الأول ألوهية، وعند الثاني إيروتيكية؛ ولا إن كان الأول يكثف ضنى الروح في بنية جهورية ذات عنف مطلق، بينما يجعل الآخر الروح تتسكع في موسيقى صريحة في فتورها؛ فهذا لا يؤكد أي شيء فيما يتعلق بالوحدة العميقة في الحساسية. مع «باخ» لم نعد إطلاقا في العالم بسبب الله، مع «فاغنر» لم نعد في العالم إطلاقا بسبب الحب. المهم في كل هذا أن الاثنين منحطان، يمزقان الحياة في شكل حماس سلبي، ويدعواننا إلى أن نموت خارج أنفسنا. ولا يمكن فهم الاثنين إلا وسط التعب، في حالات العدم الحيوية في ملذات التلاشي. لا هذا ولا ذاك يمكنه أن يكون نقيضا لمحاولة عدم الكون [الوجود].

الجنس في كل الأحوال عجيب، لكن خاصة حين لا ننتمي إلى هذا العالم. نعود عندئذ إلى كشوفات باستغراب دقيق الوصف، ونحن مجبورون على التساؤل إن كنا في الحقيقة لا ننتمي إلى هذا العالم، مقهورين لأننا كنا، وأنه تم غزونا من خلال تمرين قديم جدا.

غير أن هدف الفكرة، التي مضت في اتجاهاتها الخاصة، ليس شيئا آخر سوى حدة التناقضات وتعميق المعقد. لا يمكننا بلوغ ذلك بسهولة في أي مكان آخر إلا في التخلي عن العالم. يثقب الانتشاء اللامتناهي وغير المنكمش أعالي الانفصال، ويخلق انحرافا هو منبع مشاكل، وارتعابات، وأسئلة. في ذهن مثقل بالمبالغة في التفكير، توحد العناقات واللذة مستويات متباعدة وعوالم غير مستعدة للتصالح. يتصالح وجها الكون في الإيروتيكية؛ وأقصد بذلك قسوة الذهن واللحم. يتصالحان للحظة ليعود الصراع مجددا أشد شراسة وأعنف ضراوة. ما يهم هو أن نستغرب مرة أخرى. ولا يجب أن ندع أي فرصة من هذا القبيل تفلت من بين أيدينا. يخضع الناس الآخرون لاستغرابات اللحم، لكنهم لا يعرفون الاستغرابات التي تنبثق من تقاطع الذهن والجسد، ولا يعرفون أيضا الاضطراب الشديد للشهوة والألم في تشاركهما.

العصبية: لحظة سلافية للروح.

لو لم تكن لدينا روح لخلقتها الموسيقى.

كل ما لا ينتمي إلى الطبيعة هو مرض. تعبر الصيرورة التاريخية عن درجات هذا الأمر. ليس هذا نقصانا، بل لحظات أزمة في ارتفاع؛ لأنّ «الصحة» ليس بإمكانها أن تعرض مفهوما إيجابيا إلا عند ظهور الذهن.

لقد جاء العالم من الصمت الأولي عبر غيظ الهوية. ليس بإمكاننا

أن نعرف ما الذي أصاب التوازن الأصلي، لكن من الواضح أنه السأم من أن نكون أنفسنا، إضعاف للامنتهي الساكن جعل العالم في حالة ارتجاج. المرض عامل صيرورة، هذا هو هدفها الميتافيزيقي... ولهذا السبب يعود في كل لحظة سأم أفكار الكآبة الأولية، كما في المشهد الزحلي للروح تمتد واحات الزمن؛ حيث الأشياء متجمدة في داخلها تنتظر أن تكون.

هناك الكثير من العقل والرداءة في مؤسسة الزواج كما لو أن القوى الشريرة للجنون هي التي ابتكرتها.

لا أريد أن أفقد عقلي، لكن هناك الكثير من الفظاظة في الاحتفاظ به! أن نرعى بلا فائدة غموض العالم والله، وتعلم آلام من العلم! أنا ثمل بالكراهية وبي.

الحزن مَلَكة، مثل السُّكْرِ، أما الإيمان فلا يعني سوى الوجود وكل ما هو كبير، موجع وقهار. نعمة الحزن...



إميل سيوران

غسق الأفكار

لقد التهمنا بالفعل مكتبات بكل محتوياتها، لكننا لم نعثر إلا على ثلاثة كُتَّاب أو أربعة يستحقّون أن نقرأهم ونعيد قراءتهم. والاستثناءات من هذا النّوع تخص جهلة عباقرة نُعْجَب بهم، وعند الحاجة، نتعلم منهم، غير أنّهم بالأساس لا يقولون أي شيء. أريد أن أكون قادرا على التّدخل في تاريخ الذّهن البشري بفظاظة جزَّار مصحوب بكلّ تلطف الدّيوجينية.

فإلى متى سنترك أنفسنا مُداسين بأقدام مبدعين شتّى لا يعلمون أيّ شيء، هم أطفال رهيبون، وملهَمون، فاقدون لإدراك معنى السعادة والشّقاء؟ لا يمكن أن نستحسن عبقريًّا لم يدرك جذور الحياة، مهما كان تعدّد تعبيراته، إلّا في لحظات اللامبالاة. من المرعب التفكير في أنّ الذين عرفوا شيئا مّا قلّة قليلة جدًّا، وأنّ عدد حالات الوجود المتكامل تزداد انحسارا. ولكن، ما المقصود بوجود متكامل، وما معنى المعرفة؟ لا مراء في أنّ المقصود هو الاحتفاظ بظمإٍ للحياة عند ساعات الغَسَق.




ISBN 978-603-91478-0-0
9 786039 147800

WWW.PAGE-7.COM